ومكر اولئك هو يبور

د. محمد البكاء

بعدما يزيد على احد عشر عاماً من فرض الحصار الجائر على شعبنا المجاهد الصبور، اصدر مجلس الامن قراره (١٤٠٩)، هذا القرار الذي نسجت خيوطه، ودبرت امره بليل اميركا وبريطانيا لاحكام طوق جريمة الابادة الجماعية المنظمة التي مارستها بحق شعبنا طيلة السنوات المنصرمة وليس لتخفيف معاناته كما ادعيا زوراً وبهتاناً، بعد ان مثل القرار - اهدافاً ومضامين - التفافاً واضحاً على حق العراق المشروع في رفع الحصار الجائر رفعاً شاملاً من دون اية مساومة، او ابتزاز، او الاجتهاد في فرض قيود اضافية، وشروط تعسفية لا صلة لها بقرارات مجلس الامن السابقة التي مهدت لهذه الجريمة النكراء، ثم فرضها، واحكام طوقها، بما يتنافى والشرعية الدولية، والقانون الدولي الذي يتباهى مجلس الأمن بالحرص عليه.

وبذا يحق لنا ان نتساءل عن مكر اولئك الذين يتشدقون بالتعاطف مع شعب العراق، والبحث عن مخرج لتخفيف معاناته الانسانية، بعد ان قدم العراق تضحيات سخية لانهاء معاناة شعبه بالرغم من ايمانه بعدم شرعية تلك القرارات، وافتقارها الى المصداقية التي تخرجها من دائرة التآمر المكشوف!! بدءاً من فرض (الحصار) ثم العمل على استمراره، والتهرب من الالتزامات المتقابلة التي فرضتها قرارات مجلس الامن ذاتها بعد ان وفى العراق بالالتزامات المترتبة عليه، في تنفيذ جميع متطلبات رفع الحصار رفعاً شاملاً بشهادة اللجنة الخاصة، وجواسيسها الذين انتدبتهم اميركا وبريطانيا لمتابعة هذا الشان.

لقد تكشفت الحقائق جميعها، سواء في فرض الحصار الجائر، او اطالة امده بدون مسوغ قانوني، فالعراق الذي خرج سليماً معافى بهمة قيادته التاريخية، وجهد ابنائه في افشال المخطط الاميركي الرامي الى تدمير العراق، واعادته الى عصر ما قبل الصناعة في العدوان العسكري

الغادر لم يدع امام الاعداء بعد ان سقطت احابيلهم في وحل الهزيمة المرة ، الا العمل على استمرار الحصار الجائر الوسيلة الابشع التي انتهجتها اميركا وبريطانيا لحرمان شعب العراق من ابسط حقوقه المشروعة في الغذاء والدواء ، فضلاً عن تعطيل نهضته العلمية التي ظلت وماتزال ـ بالرغم من الحصار ـ تثير مخاوف التحالف الاميركي ـ الصهيوني ، لان العراق كما يراه هذا التحالف الشرير ليس دولة مواجهة فحسب ، بل دولة تختط لنفسها سبيلاً يجعلها دائماً في موقف متصارع مع الفكرة الصهيونية والوجود الصهيوني ، فنزوع العراق العلمي ينهي خرافة (الواحة المتحضرة) في وسط متخلف ! ! وان التنمية الشاملة التي ينتهجها العراق تسقط حسابات الصهيونية ، السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، لذا كان قصف مفاعل تموز (١٩٨١) جزءاً من الجهد الصهيوني الرامي الى النيل من قوة العراق والحيلولة دون انتصاره في الحرب الظالمة التي فرضت عليه ، بعد ان عمدت الى تغذية التها الحربية ، واطالة امدها في رهان خائب للنيل من قوة العراق وصموده ، ثم ما اعقب ذلك من عدوان عسكري غادر استهدف بنيته التحتية ومشاريعه التنموية .

لذا لا غرابة ان يتضمن قرار مجلس الامن (١٤٠٩) حظر استيراد كل ماله علاقة بالتطور الصناعي ، والنهضة العلمية التي تمس حياة العراقيين ، وتأكيد حقهم المشروع في الحياة الحرة الكريمة تحت ذريعة بائسة ملّ العالم سماعها الا وهي (الاستخدام المزدوج) ، ناهيك عن سلسلة الاجراءات المعقدة الاخرى ، واشراك جهات اخرى بعيداً عن الامانة العامة للمنظمة الدولية ، هدفها حرمان شعب العراق من حقه المشروع في مواكبة التطور العلمي والتقني ، ومتابعة خططه التنموية الشاملة .

ان العراق بقيادته التاريخية لن يفرط بحقه المشروع في الحياة الحرة الكريمة التي قدم من اجلها اغلى التضحيات ، وان (الحصار الجائر) الذي ارادوه طوقاً يكبل ارادتهم ، ويفل عزيمتهم لن يصمد ازاء اصرارهم وهم يحاصرون الحصار الذي تآكلت جدرانه ، وان مكر اولئك الذين اجتهدوا واهمين بالاحتيال على حقنا المشروع في رفع الحصار رفعاً شاملاً لن يعمر طويلاً « ولا يحيق المكر السيء الا باهله » .

جهود أبي عبيدة في رواية الشعر

د . زكي ذاكر الفجر
كلية الاداب ـ الجامعة المستنصرية

أبو عبيدة معمر بن المثنى من أشهر علماء البصرة في اللغة والنحو والاخبار . عاش الشطر الاكبر من حياته في القرن الثاني الهجري وعاش الشطر الاخر في القرن الثالث[١] . قال المبرد : « كان أبو عبيدة عالماً بالشعر والغريب والاخبار والنسب »[٢] . أما هو فكان شديد الاعتزاز بما حصله من أخبار العرب . قال : « ما التقى فرسان في جاهلية ولا اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسيهما »[٣] . وقد كان هو وزميله الاصمعي فرسي رهان في حلقات العلم والدرس بالبصرة . ويتضح أن ما يرد في المصادر من خلافات أو خصومات بين العالمين لم يكن يرجع الى أسباب سياسية أو دينية وانما هو نزاع في العلم لا غيره . وتظهر الروايات لنا العالمين وقد جمعتهما المجالس البصرية ، وهما مجتمعان اجتماع الاصدقاء والقرناء . ولا نشك في أنّ كلًا منهما كان يرمي الى توسيع حلقته العلمية وجذب طلبة العلم اليه .

لقد خدم أبو عبيدة تراث العرب خدمة جليلة وخدم الدين الاسلامي الحنيف ما وسعه جهده : فقد ألف في القرآن الكريم والحديث الشريف . غريب القرآن ومعاني القرآن ، واعراب القرآن وغريب الحديث . ومن كتبه الاخرى : مكة والحرم ، وقصة الكعبة[٤] . إلى جانب كتابه الشهير مجاز القرآن ، هذا الكتاب الذي أثار جدالًا أو نقاشاً طويلًا بين العلماء من أقرانه وتلاميذه . بيد انهم أنكبوا عليه جميعهم رواية ودراسةً . خالفوا في الدرس والفهم أبا عبيدة أم وافقوه . فابو حاتم السجستاني الذي لم يرق له الكتاب قال : « انه لكتاب ما يحل لاحد أن يكتبه . وما كان شيء أشد عليّ من أن أقرأه قبل اليوم . ولقد كان أن أضرب بالسياط أهون عليّ من أن اقرأه » .

وبيّن أبو حاتم سبب عدم رضاه عن الكتاب بقوله إن أبا عبيدة « أخطأ وفسر القرآن على غير ما ينبغي »[٥] . وهذا هو رأي الاصمعي نفسه في كتاب المجاز . قال الاصمعي في أبي عبيدة : « يفسر ذلك برأيه »[٦] . وقد لا نجانب الحقيقة اذا قلنا : إن ابا حاتم أنكر كتاب أبي عبيدة لما استعصى فهم شيء منه عليه . وآية ذلك أنه ذهب الى أحد العلماء البصريين ، وكان « يفهم كتاب أبي عبيدة »[٧] . فاوقفه على أشياء ندت عن فهمه ، وغابت عن معرفته . وكان من أشد خصوم أبي عبيدة أبن الاعرابي وقد كان « يصغر من شان أبي عبيدة » . لكنه كان معترفاً بانه قد اجتمع له « علم الاسلام والجاهلية . وكان ديوان العرب في بيته »[٨] . لقد كان أبو عبيدة واسع الرواية كما اعترف بذلك خصمه ابن الأعرابي ، غير ان سعة علمه لم تكن حائلًا بينه وبين سهام النم التي أصابته جراء المنافسة الشديدة بين علماء المدرستين البصرية والكوفية ، أو بين علماء المدرسة الواحدة ممن يهجن بعضهم بعضاً ، ولا يبقي له سماءً ولا أرضاً ، على حد تعبير ابن جني . ولذلك فاننا لا نستغرب قول ابن قتيبة في أبي عبيدة بانه « كان مع علمه ربما لم يقم البيت اذا انشده »[٩] . وقد يكون ابن قتيبة سمع هذا القول أو قرأه فاورده على علاته . ونعتقد أنه مما أفرزته

الخصومة الشديدة بين العلماء البصريين والكوفيين في القرن الثالث الهجري . فقد كان ثعلب يصغر من شأن أبي عبيدة ويرفع من شأن أبي عمرو الشيباني . قال : « كان مع أبي عمرو من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة »[١٠] . وجاء أبو الطيب اللغوي فكرر ما قال ابن قتيبة اذ ذكر أبا عبيدة« كان ربما أنشد البيت فلم يقم وزنه حتى يكسره »[١١] . ولكن البطليوسي ـ وهو عالم لغوي كبير ـ فطن الى حقيقة هذا الاتهام ، فلم يشأ أن يردد تلك المقولة بل قال : « وأما ما ذكر عن أبي عبيدة من أنه كان لا يقيم وزن كثير من الشعر ، فما أظنه صحيحاً »[١٢] وسنزيد ايضاحاً هذه المسألة التي لم يطل البطليوسي الوقوف عندها :

لا نريد أن نتحدث عن نشاط أبي عبيدة في العلوم والمعارف التي كان يحسنها اي التي عرف بها ، وانما الذي يهمنا هنا أن نتعرف روايته للاشعار ونهجه فيها اذ المعروف أن نشاط أبي عبيدة العلمي متعدد فهو عالم بالانساب والاخبار والسير فضلاً عن كونه عالماً في اللغة والنحو والاشعار وما يتصل بهذه المعارف ، وفي البدء يحسن بنا أن نوضح ان الرواية رواية أبي عبيدة للشعر لا تعني حمله له أو نقله اياه فقط ، فمفهوم الرواية ومدلولها لدى جيل أبي عبيدة أصبح مختلفاً عما كان لدى الرواة القدماء الذين عاشوا في القرن الأول الهجري فالرواية في معناها المتطور تعني الرواية لدى أبي عبيدة تتضمن فهم معاني الشعر وتعرف ما فيه من غريب والتثبت من قائله والتعمق في اعرابه وايراد الاوجه المختلفة والمحتملة في قراءة الشعر ومعرفة مناسبة القصيدة ونسب الشاعر اي ان الرواية على وفق هذا المفهوم تقترب كثيراً مما ندعوه في عصرنا الحاضر بـ « تحقيق النصوص » لذا سيكون حديثنا عن تحقيق أبي عبيدة للشعر ، وليس حمله أو انشاده فقط . ونود أن نتكلم أولاً عن مصادر رواية أبي عبيدة ، فهي متنوعة . وأولها :

١ ـ الشيوخ :

لابي عبيدة شيوخ ضربوا بسهم وافر في العربية . وقد أمدوا أبا عبيدة بقدر كثير من الاشعار . وقد قرأ هو عليهم الاشعار وصححوها له . وأبرزهم على وفق صلة أبي عبيدة بهم وقوتها أبو عمرو بن العلاء .

وهو رأس علماء البصرة في اللغة والشعر والغريب . قال أبو عبيدة : « أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالغريب والعربية والقرآن والشعر ... »[١٣] . ولم تكن دروس أبي عمرو تقتصر على ما كان يمليه لتلاميذه في المسجد الجامع بالبصرة . ففي أخباره أنه كان يجلس في مسجد بني عدي . وقد روى أبو عبيدة أنه حضر وأبو الخطاب الاخفش عند أبي عمرو في مسجد بني عدي ، ودارت مسألة في الصرف والفرق في الدلالة بين أيدٍ وأيادٍ[١٤] . وقد حدث أبو عبيدة تلميذه الجاحظ عن سعة علم أبي عمرو وما كتبه في دفاتره عن أعراب البادية فقال : إن أبا عمرو كتب ما بلغ سقف بيته ، ثم تنسك ، فعاد الى ما كتب واحرقه كله . فلم يكن عنده الا ما حفظ[١٥] . وكانت وفاته سنة ١٥٤ هـ[١٦] .

يونس بن حبيب :

نشأ يونس بالبصرة وأخذ اللغة والنحو والغريب عن أبي اسحاق الحضرمي ولزم رؤبة بن العجاج . فأخذ عنه كثيراً من الغريب . وكان يونس عالماً بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه[١٧] . قال أبو عبيدة : « اختلفت الى يونس أربعين سنة ، أملا كل يوم ألواحي من حفظه »[١٨] . توفي يونس سنة ١٨٢ هـ[١٩] .

الاخفش الكبير .

هو أبو الخطاب عبدالحميد بن عبدالمجيد ، أحد العلماء اللغويين النحويين الأجلاء . روى عنه سيبويه والاصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الانصاري وغيرهم[٢٠] . كان من جيل أبي عمرو بن العلاء . أشار الى ذلك السيرافي . وقال الزجاجي في شأن تلمذة أبي عبيدة للاخفش : « وقد حكى عنه أبو عبيدة وسيبويه أشياء كثيرة »[٢١] . وذكر أبو البركات الانباري أن الاخفش الكبير « كان مؤدباً لابي عبيدة »[٢٢] .

عيسى بن عمر

وهو أحد أكابر علماء اللغة والنحو في البصرة . تتلمذ لابي اسحاق الحضرمي . وشغف كثيراً بالغريب . ولزم الاعراب طويلاً[٢٣] . وقد نسب اليه أقدم كتابين في النحو هما الاكمال والجامع[٢٤] . وذكر أبو الطيب اللغوي أن أبا عبيدة أخذ العلم عن عيسى بن عمر . وكانت وفاة هذا الشيخ سنة ١٤٩ هـ .[٢٥]

٢ ـ الاعراب

يكوّن الاعراب مصدراً مهماً من مصادر رواية أبي عبيدة للشعر واللغة . وعلى الرغم من أن مصادرنا لم تحدثنا عن رحلات أبي عبيدة الى البادية مثلما حدثتنا عن رحلات علماء آخرين كأبي عمرو بن العلاء والكسائي والاصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم ، فاننا نعتقد أن أبا عبيدة لم يتأخر عنهم في الذهاب الى البادية ولقاء أعرابها . ومن المعروف أن الاعراب حين شعروا بحاجة العلماء اليهم تقاطروا الى الحواضر . وقد كان منهم من دأب على حضور حلقات علماء اللغة في البصرة . وأسهم في المناقشات التي كانت تدور بين الشيوخ وتلاميذهم[٢٦] . ومن الاعراب الذين روى عنهم أبو عبيدة : أبو الوجيه ، وأبو الوثيق ، وأبو مهدية ، وأبو طفيلة ، وأبو خيرة ، وأبو البيداء ، وأبو مالك عمرو بن كركرة ، وأبو

الدقيش ، وشبيل بن عزرة[٢٧] . ومن الاعراب الذين كانوا يحضرون مجالس أبي عبيدة أبو الورد الكلابي[٢٨] . ويبدو ان أبا عبيدة استمد أشعاراً كثيرة من الاعراب الذين كانوا يحلون بظاهر البصرة . فلقد كان حريصاً أشد الحرص على لقائهم . قال : « قدم علينا رجال من بادية بني جعفر بن كلاب . وكنا نأتيهم فنكتب عنهم »[٢٩] .

٣ ـ الكتب

توافرت لدى العلماء الرواة الذين عاشوا قبل أبي عبيدة كتب ومدونات تحتوي على أشعار . وقد ذكر ان هشاماً الكلبي كان يرجع الى بعض تلك الكتب . فقد بحث عن قصيدة لعامر بن الطفيل ، فوجدها في كتاب حماد خلاف ما لديه قال : « أصبتها في كتاب حماد خلاف روايتنا »[٣٠] . وكان أبو عمرو الشيباني يحتفظ بقدر كبير من الكتب . التي تحتوي على الشعر . وقد قال ابن سلام في صدد اعتماد قسم من الرواة على الكتب وحدها في رواية الشعر : « وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب . لم يأخذوه من أهل البادية . ولم يعرضوه على العلماء . وليس لاحد ـ اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه ـ أن يقبل من صحيفة . ولا يروى عن صحفي »[٣١] . ونحسب أن أبا عبيدة لم يصدر في روايته للشعر عن أعراب البادية وحدهم ولم يكتف بالشعر الذي أخذه من الشيوخ العلماء . وانما استعان أيضاً بما توافر لديه من الكتب التي تهيأت له من علماء سابقين ، وقد وقف في هذه الكتب على روايات أخرى للاشعار التي كان سمعها من الاعراب . وأجرى موازنة بين ما سمعه من الاعراب والشيوخ وبين ما عثر عليه مدوناً . فقد روي ان أبا عبيدة قرأ قول الاعشى :

اني لعمرو الذي خطّت مناسمها
تخذي وسيق اليه الباقر الغُيُلُ

الباقر الغُيُل . فارسل اليه أبو عمرو الشيباني : إنك قد صحفت انما هوالغُيُل : جمع غَيْل وهو الكثير[٣٢] . وهذا من تصحيف النظر لا السمع أي ان أبا عبيدة أخذ هذا الشعر من كتاب او أنه في الاقل قرأه في كتاب اضافة الى أخذه مشافهة ان كان أخذه بهذه السبيل . كما انه مما لا شك فيه أن قدراً مما أخذه معاصرو أبي عبيدة على قراءته الاشعار كان بسبب اعتماد أبي عبيدة على اشعار وجدها مدونة وقد أدى هذا النظر في الكتب الى حصول ما حصل في روايته للشعر من تصحيفات ، ولو لم تكن الكتب منتشرة بين الرواة العلماء ولو لم يكونوا يعتمدون عليها في رواية الشعر ما كانت في ابن سلام حاجة الى تلك الحملة القاسية التي حملها على رواة الاشعار من الصحفيين . وقد روى أبو عبيدة ان أبا الخطاب الاخفش أنشد أبا عمرو بن العلاء قول الشاعر :

قالت قُتيلة : ماله
قد جُللت شيباً شواتُهُ !

فقال له أبو عمرو : عظمت عليك الراء فظننتها واواً[٣٣] .
فالاخفش اذاً اعتمد في انشاد البيت على خط ناسخ . وقد وجده ضمن قصيدة مدونة . ومما يؤسفه عليه ان العلماء الرواة لا يصرحون بانهم يستقون من الكتب . بل نجدهم يتحدثون دوماً عن أخذهم الشعر مشافهة .

منهج أبي عبيدة في روايته للشعر .

سبق ان تحدثنا عن مصادر أبي عبيدة في روايته الشعر . وقد رأينا أنها متعددة متنوعة . ومن المؤكد ان معرفة مصادر الراوي العالم تعين على تعرف منهجه في اكتساب العلم وتحصيل المعرفة . فمن صفات العالم الراوي الثبت أن يحيط بجوانب المعرفة التي يعنى بها ويستقصي مصادرها استقصاءً واسعاً . وقد عرفنا أن أبا عبيدة لم يكتف بالاخذ عن العلماء البصريين ولم يستغن بهم عن سواهم : فله مناقشات ومناظرات مع المفضل الضبي الكوفي . وله مراسلات ومحاورات مع أبي عمرو الشيباني[٣٤] . فقد وسع من دائرة مصادره بأخذه من علماء الكوفة . فكانت علاقته بهم تقوم على أخذ وعطاء . وأمر آخر استبان لنا من تتبع جهوده في الرواية وهو أن روايته للشعر تتسم بالحذر من الخطأ والاحتياط له . فهو يمحص المروي ، ويتأكد من صحته حين يخضع ما يروي من الشعر الى الدرس والتدقيق والتأمل ليخرج من هذا النظر الطويل فيه والفحص الدقيق له الى نتائج علمية مجدية . ففي الشعر الجاهلي ما هو صحيح سليم . وفيه ما هو منحول مشكوك فيه . وكان لابي عبيدة من الفهم الثاقب والبصر النافذ والحس المرهف ما يمكنه من فرز الصحيح من المزيف : فعندما قدم ابن داود بن متمم البصرة توجه اليه ابو عبيدة ليأخذ منه شعر جدل متمم فلما أخذ ابن داود يتصنع في الرواية ويتزيد ، تيقظ أبو عبيدة لهذا الانحراف أو هذا التزييف في الرواية . قال : « فلما نفد شعر أبيه ، جعل يزيد في الاشعار ويصنعها لنا . واذا كلام دون كلام متمم . واذا هو يحتذي على كلامه . فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها . فلما توالى ذلك ، علمنا أنه يفتعله »[٣٥] . ولم يطمئن الى صحة ما روي له من شعر شاعر يقال له : العرندس ، فعد ما سمع من هذا الشعر منحولاً أو مصنوعاً . وذلك لان العرندس من بني بكر بن كلاب . والشعر المنسوب له في مدح بني عمر الغنويين ، قال أبو عبيدة : « هذا من المحال : كلابي يمدح غنوياً » وينسب هذا الموقف أو هذه العبارة الى الاصمعي غير أن أبا حاتم السجستاني يقول : « والذي قال هذا المحال : كلابي يمدح غنوياً هو أبو عبيدة لا الاصمعي »[٣٦] . ولم يطمئن الى قسم من قصيدة جيمية

للحارث بن حلزة ، فتوقف عند قدر معين منها . وعد ما بعده مما أضيف الى القصيدة وحمل على الشاعر . قال أبو عبيدة في صدد هذه القصيدة : « أنشدنيها أبو عمرو وليست الا هذه الابيات والباقي مصنوع »(٣٧) . وذكر أبو حاتم السجستاني أنه أنشد شيخه أبا عبيدة رجزاً ، كان المفضل الضبي رواه لبعض أهل اليمن ، فانكر أبو عبيدة هذا الرجز . وقال لتلميذه أبي حاتم : « انقط عليه . هذا من قول المفضل »(٣٨) . وفي رواية أخرى : « انقط عليه . هذا صنعه المفضل »(٣٩) ويبدو أن سبب انكار أبي عبيدة لهذا الرجز ما فيه من شذوذ ففي قول الراجز:

أيَّ قلوصٍ راكبٍ تراها
طاروا عليهنَّ فَشُلْ علاها
واشدُدْ بمثْنَيْ حقبٍ حقْواها
ناجيةً وناجياً أباها

ترد « علاها » بدل « عليها » . لان بني الحارث بن كعب يقلبون الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفاً ، فيقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت الثوبان ، والسلام علاكم . وهذا الرجز على لغتهم(٤٠) . اما قول الراجز : ناجياً أباها ، فمخالف للقواعد النحوية التي توجب مجيء أبوها بدل أباها . لكن بني الحارث بن كعب وقبائل اخرى يجرون المثنى بالالف دائماً . ومثل هذا ما أنشده الفراء للمتلمس الضبعي ، وهو :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى
مساغاً لناباه الشجاعُ لصَمَّما

وقد قال الأزهري فيه : « هكذا أنشده الفراء : لناباه ، على اللغة القديمة لبعض العرب »(٤١) . ولكن أبا عبيدة وصحبه من اللغويين البصريين لا يعترفون بمثل تلك اللغات القديمة التي أشار اليها الأزهري . ولا يوافقون المفضل الضبي على روايته شعراً فيه ما يخرج على قواعدهم ويشذ عن قوانينهم . فهم في مثل هذه الاحوال يرمون الشعر بالوضع والراوي بالصنعة أياً كان ومهما بلغ من العلم والمعرفة في اللغة والاحاطة بها . ولم يكن الراجز الذي أنشد أبو حاتم السجستاني شعره لابي عبيدة نطق الا بلغة قومه بيد ان ذلك لم يكن شفيعاً له لان يحتج أبو عبيدة بشعره . وقد أفاد أبو عبيدة من معاصريه من الشعراء الرواة معرفة بما لحق بالقصائد من زيادات . قال : « ان بشاراً أعلم الناس بالشعر وألفاظ العرب . قال لي وقد أنشدني أول هذه القصيدة للأعشى ، فمر هذا البيت : وأنكرتني .. كأنَّ هذا ليس من لفظ الأعشى ، وكان قوله هذا قبل أن اسمع هذا من قول أبي عمرو بعشرين سنة »(٤٢) . ولم يرو أبو عبيدة فيما روى من مطولة امرىء القيس الأبيات :

وقربة أقوام جعلت عصامها
على كاهلٍ مني ذلولٍ مُرَحَّلِ
وواد كجوف العير قفرٍ قطعتُهُ
به الذئبُ يعوي كالخليع المُعَيَّلِ
فقلتُ له لما عوى : إنَّ شأننا
طويلُ الغنى إنْ كنتَ لما تَمَوَّلِ
كلانا اذا ما نال شيئاً أفاتَهُ
ومن يحترثْ حرثي وحرثك يَهْزِلِ

وذكر « أنها ليست منها »(٤٣) . قال الزوزني : « لم يرو جمهور الائمة هذه الأبيات الاربعة في هذه القصيدة . وذكروا أنها لتأبط شرا »(٤٤) . بيد ان كثيراً من الرواة والشراح كالطوسي والسكري وأبي سعيد الضرير وابن الانباري والنحاس والتبريزي وأبو زيد القرشي أوردوا هذه الأبيات ضمن مطولة امرىء القيس(٤٥) . وكان الأعلم الشنتمري والبطليوسي(٤٦) اعتمدا موقف أبي عبيدة أو روايته لنص المطولة ، فلم يوردا الابيات الاربعة المذكورة ضمن النص . لقد ادى اختلاف مصادر أبي عبيدة في الرواية عن مصادر سواه من الرواة الى ان تكون له مواقف مختلفة عن مواقفهم فيما يتعلق بعزو الشعر . فالأبيات التي يصف فيها الشاعر السحاب من القصيدة الحائية المشهورة .

دانٍ مُسِفٌّ فويق الارض هيدبه
يكاد يدفعه من قام بالراح
فمن بنجوته كمن بمحفله
والمستكن كمن يمشي بقرواح ..

رواها أبو عبيدة لعبيد بن الأبرص(٤٧) . بينما رواها المفضل الضبي والاصمعي لاوس بن حجر(٤٨) . ويذكر ابن سلام أنه سمع أبا الورد الكلابي يسأل أبا عبيدة عن قائل الشعر :

من سبأ الحاضرينَ مأرب اذ
يبنون من دون سيله العَرِما

وأن أبا عبيدة أخبر أبا الورد ان الشعر لأمية بن ابي الصّلت . ويقول ابن سلام : « ثم أتينا خلفاً الأحمر ، فسألناه فقال : للنابغة . وقد يقال : لأمَيَّة »(٤٩) . وأورد ابن قتيبة وأبو علي القالي من شعر أبي دؤاد الإيادي قوله(٥٠)

طويلٌ طامحُ الطَّرْفِ
الى مفزعةِ الكلبِ
حديدُ الطرف والمنكـ
ـبِ والعُرقوب والقَلْبِ

غير ان أبا عبيدة كان روى هذا الشعر لعقبة بن سابق الهزّاني[٥١] . وروى الاصمعي من شعر المسيب بن علس قوله :

نَصَفَ النهـــارُ المـــاءُ غـــامـــرُهُ
ورفيقُـــــهُ بـــــالغيب لا يـــــدري

لكن أبا عبيدة كان يروي الشعر لاعشى بكر[٥٢] . وهكذا يتضح لنا أن مصادر أبي عبيدة تختلف أحياناً عن مصادر أقرانه من الرواة . وشيء آخر يميز رواية أبي عبيدة من رواية الرواة الاخرين مثل الاصمعي وغيره أن عناية أبي عبيدة بالاشعار التي تتصل باخبار العرب وأيامها ومنافراتها وأنسابها كانت أكبر من عناية غيره أو اهتمامه . لذا اشتهر أبو عبيدة بمعرفته الواسعة في هذه الشؤون . وقد ذكرنا قوله : « ما التقى فرسان في جاهلية ولا اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسيهما » . وكان الجاحظ قد لاحظ شيئاً من سمات اتجاه شيخه أبي عبيدة أو منحاه في رواية الشعر ، فقال انه وجد أبا عبيدة « لا ينقل الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب »[٥٣] . ونجد في مصادرنا اشارات الى اختلاف توجه كل راوٍ عن زميله الاخر في رواية الشعر ، فالاصمعي شغف كثيراً بالغريب . وقد لاحظ ذلك استاذه أبو عمرو بن العلاء حين قرأ الاصمعي عليه شيئاً مما حصله من الشعر ، فمرت « ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو في الدرجة ، وقال : شمرت في الغريب »[٥٤] . ولا يعني ذلك أن ابا عبيدة لم يمنَ بالغريب ولم يسعَ في طلبه . فلقد كان الغريب بضاعة ثمينة ومرغوباً فيها من الرواة اللغويين عامة . وقد تنافسوا في طلبه تنافساً شديداً . ولم يتخلف أبو عبيدة عنهم في هذا الشان فله من الكتب : غريب القرآن ، وغريب الحديث . وعلى وفق هذا يمكن القول ان ابا عبيدة لم يقتصر في روايته الشعر على نمط واحد من الاشعار . وانما روى اشعاراً متنوعة . وذلك راجع الى تعدد الهدف من الرواية وتنوعه فهو أديب ، أخباري ، نسابه ، لغوي ، نحوي . ويمكننا ان نقول ان منهج أبي عبيدة في الرواية يقوم على التوسع والشمول وعدم التضييق في المصادر . ولذا قال ابن مناذر : « كان الاصمعي يجيب في ثلث اللغة . وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها »[٥٥] . وذلك « لان الاصمعي كان يضيق ولا يجيز إلا أفصح اللغات »[٥٦] . وهذا التضييق لدى الاصمعي والتوسع لدى أبي عبيدة في رواية اللغة هما منهجاهما في روايتهما للشعر . اذ اللغة تستنبط قواعدها في الغالب من الشعر . فالاصمعي لا يروي من شعر الاغلب العجلي سوى قصيدتين ونصف . قال : « أعياني شعر الاغلب . لم أعرف له الا اثنتين ونصفاً »[٥٧] . ويروي لمُعَقِّر البارقي أقل من خمس قصائد[٥٨] ، وهو يحجم عن رواية شعر أبي دؤاد الإيادي وعدي بن زيد لان الفاظهما غير نجدية[٥٩] . ولم يروِ الاصمعي من شعر طرفة بن العبد قصيدته التي يقول فيها :

ســـــائلـــوا عنـــا الـــذي يعـــرفُنـــا
بقـــوانـــا يـــومَ تَحـــلاقِ اللِّمَمْ

وكان أبو عبيدة يرويها لطرفة[٦٠] . ولم يروِ الاصمعي لزهير قصيدته التي يمدح فيها الحارث بن ورقاء ، ويذم بني نوفل ، وفيها يقول :

ابلـــغْ بني نـــوفـــلٍ عني فقـــد بلغـــوا
مني الحفيظـــةَ لمـــا جـــاءني الخبـــرُ
القـــائلين يســـاراً لا تنـــاظـــرهُ
غِشّـــاً لسيـــدهم في الامـــر اذ أمـــروا

في حين رواها له أبو عبيدة[٦١] ، ولم يروِ الاصمعي لزهير قصيدته الاخرى في مدح الحارث بن ورقاء التي يقول فيها :

أبلـــغ لـــديـــك بني الصيـــداء كلهُمْ
أن يســـاراً أتـــانـــا غيـــرَ مغلـــولِ

ورواها أبو عبيدة له . ولم يروِ الاصمعي من قصيدة قافية مشهورة لزهير ستة عشر بيتاً أولها قول الشاعر :

فقـــدْ عمـــا تـــرى اذ فـــات مطلبـــه
أضحى بـــذاك غـــراب البين قـــد نعقـــا

في حين « رواها أبو عبيدة . وهي صحيحة عنده »[٦٢] ، فمن هذه الامثلة يتضح لنا ان منهج أبي عبيدة في رواية الشعر يتسم بالتوسع ، وهو يختلف عن منهج زميله الاصمعي الذي يتسم بالتضييق ، وهما منهجاهما في اللغة نفساهما اللذان أشار اليهما ابن مناذر ، ولكن ذلك لا يعني أن أبا عبيدة كانت تجوز عليه قصائد كثيرة فيرويها ، كلا فانه كما رأينا كان يمحص المروي من الشعر تمحيصاً شديداً . فهو لم يروِ من شعر زهير الابيات التي تبدأ بقول الشاعر :

إن الـــرزيـــة لا رزيـــةَ مثلهـــا
مـــا تبتغي غطفـــانُ يـــومَ أضلّتِ

ورأى أن زهيراً أغار عليها ، فاخذها من قُرَاد بن حنش

وادعاها لنفسه[٦٣] ولم يرو من شعر امرىء القيس القصيدة المنسوبة اليه التي يقول فيها :

الخيـر مـا طلعت شمسٌ ومـا غـربت
معلقٌ بنـواصي الخيـل مطلـوبُ

ورأى أن هذا الشعر « لم يقله امرؤ القيس ولكنه لرجل من الانصار »[٦٤] . وأسقط من ديوان امرىء القيس قصيدة أخرى رأى « انها محمولة عليه » . أولها :[٦٥]

لمن طلـل أبصـرتُـهُ فشجـاني
كخط زبـور في عسيب يمـانِ

هل كان أبو عبيدة يغير فيما يروي من الشعر ؟

من المفضل ان نوضح أمر تغيير الشعر او إصلاحه لدى الرواة قبل ان نحدد موقف أبي عبيدة من هذه المسالة فثمة رواة مصلحون للشعر . وثمة رواة لا يغيرون فيما يروون من أشعار القدماء ، فقد ذكر ان الاصمعي قرأ على شيخه خلف الاحمر قول جرير :

فيـالـك يـومـاً خيـرُهُ قبـلَ شـره
تغيّبَ واشيـه واقصـر عـاذِلُـهْ !

فتنبه خلف على قصور في عبارة جرير . وعلل ذلك بان جريراً « كان قليل التنقيح مشرد الالفاظ »[٦٦] ورأى ان (الاجود له لو قال : فيالك يوماً خيره دون شره ..) فاخبره الاصمعي انه سمع أبا عمرو بن العلاء يروي الشعر هكذا . فرده خلف بقوله «كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء »[٦٧] . أما أبو عمرو بن العلاء فكان على خلاف خلف الاحمر لا يغير في المروي . فقد قال خلف للاصمعي : « ما كان أبو عمرو ليقرئك الا كما سمع »[٦٨] . واقتدى الاصمعي باستاذه خلف في هذا الشان فكان من الرواة المصلحين فحين وجد ما لم يسغه من قول امرىء القيس وهو :

رب رام من بني ثعـل
مخـرجٍ زنـديـه من سُتَـرهْ

عمد الى تغيير قول الشاعر : « مخرج زنديه »بـ« مخرج كفيه » . قال الاصمعي مسوغاً تغييره : « أما علم أن الصائد أشد ختلًا من أن يُظهر شيئاً منه ؟ »[٦٩] . وكان المفضل الضبي من الرواة المصلحين للشعر أيضاً فقد وجد سناداً في قول عدي بن زيد العبادي :

فنـاجـاهـا وقـد جمعت فيـوجـاً
على أبـواب حِصْنٍ مصلتيْنـا
فقـددمت الاديم لـراهشيـهِ
وألفى قـولهـا كـذبـاً ومَيْنـا

فاراد أن يبرىء البيت من هذا العيب ويخلصه من هذا الخلل ، فعمد الى تغيير فيه إذ جعل « كذباً مُبينا » بدل « كذباً ومَيْنا »[٧٠] .

وروى الرواة قول عبيد بن الابرص :

هي الخمـر تكنى الطـلاء
كمـا الـذئبُ يكنى أبـا جَعْـدة

وهو غير مستقيم الوزن . قال البطليوسي : « ذكر ان أبا عبيدة معمر بن المثنى هو الذي رواه هكذا »[٧١] . وروى الخليل بن أحمد الفراهيدي البيت على النحو الاتي :

وقـالـوا هي الخمـر يكنـونهـا بـالطـلا
كمـا الـذئب يكنى أبـا جعـدة

وقيل : « ان الخليل هو الذي أصلحه » و « أن الفساد إنما وقع فيه من قبل عبيد » . وفي الحق أنه ليس ثمة فساد في قول عبيد . وانما الاوفق أن نقول : ان البيت في هياته الأولى يمثل مستوى من الصياغة .. والتركيب في الشعر قديم ، يختلف عما آل اليه فيما بعد . وبمرور الزمن تخلص الشعر مما عد أخطاء وعيوباً ونواقص في الوزن والصياغة والتعبير ، وارتقت أساليبه الى درجة اصبحت فيها اكثر نضجاً واكتمالاً واتساقاً . فلقد وجد الرواة في القرن الثاني الهجري الشعر الجاهلي وفيه الكثير من سمات مرحلة قديمة من عمره كان فيها يحتوي على قدر غير قليل مما عددناه نواقص وعيوباً وثغرات في الوزن والتعبير والصياغة . وقد عمد قسم من الرواة الى ذلك الخلل المتبقي في الشعر من المرحلة السابقة الذي لم يصلحه رواة القرن الاول بصورة تامة ، فاصلحوه ، وليتهم نقلوه كما وجدوه ، ورووه على ما بلغهم ، ولم يغيروا فيه شيئاً . ولو أنهم فعلوا ذلك ، لاحسنوا صنعاً وأفادونا علماً . ولكنهم فوتوا علينا ـ وأأسفاه ـ امكان تعرف الشعر العربي في مرحلة متقدمة من عمره .

عرفنا أنه لم يكن من منهج أبي عبيدة في رواية الشعر أن يتجرأ على الشعر فيغير فيه ويبدل على وفق ذوقه وتبعاً لما

يستسيغ فقد كان مثل أستاذه أبي عمرو لا يروي « الا كما سمع » . ولذلك فان قول من قال : إن ابا عبيدة كان « ربما أنشد البيت ، فلم يقم وزنه حتى يكسره » وانه « كان ينشد البيت مختلف العروض » يحتاج الى وقفة . لانه يقول بعد ذلك : « وهذا من العجب »[٧٢] وليس في الامر عجب ، فقد كان هذا الراوي العالم ينشد الشعر على نحو ما يسمع ولم يكن من الرواة المصلحين .

نماذج من روايات ابي عبيدة مما تفرد به

ظهر لنا من متابعة لما رواه ابو عبيدة من الاشعار ان كثيراً مما رواه لم يكتب له الذيوع والشهرة . فقد روى قول امرىء القيس :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت صرمي فاجملي

(.. وان كنت قد ازمعت قتلي فاجملي)[٧٣] . وروى قول امرىء القيس الاخر :

مِسَحٍّ اذا ما السابحات على الونى
اثرن الغبار بالكديد المركّل

(.. بالكديد الشمّول)[٧٤] ، والشمول في اللغة : (الارض الواسعة والسهلة التراب)[٧٥] .. ولم يتابع أحد من الرواة أبا عبيدة في روايته هذه لهذين البيتين من مطولة امرىء القيس . وروى أيضاً بيت امرىء القيس :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة
ترائبها مصقولة كالسجنجل

(... مصقولة بالسجنجل)[٧٦] وذكر ان السجنجل هو الزعفران . ولم تشع هذه الرواية . وروى أبو عبيدة قول الاعشى .

كأن مِشيتَها من بيت جارتها
مَرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عَجَلُ

(مور السحابة)[٧٧] ولم تكن هذه الرواية بالشائعة :
ويصدد قول الاعشى الاخر :

صدت هريرةُ عنا ما تكلمنا
جهلاً بام خُليدٍ حبلَ من تَصِلُ[٧٨]

روى أبو عبيدة : صدت خليدة .. وقال : هي هريرة[٧٩] . ولم يتابعه أحد فيما نعلم في هذا الصدد .

وروى قول امرىء القيس :

فاضحى يَسُحُّ الماء حول كُتَيْفَةٍ
يكب على الأذقان دوحَ الكَنَهْبَلِ

(من كل قلعة)[٨٠] بدل (حول كتيفة) . ولم يكن بالرواية السائدة .

وروى قول امرىء القيس الاخر :

فلو انها نفسٌ تموتُ جميعةً
ولكنها نفس تساقط أنفسا

« فلو انها نفس تجيءُ سريحة »[٨١] اي سهلة لينة ولم تشع هذه الرواية . بل رجحت عليها رواية الاصمعي وهي الرواية المذكورة وفي شان قول عنترة :

حَلَّت بارض الزائرين فاصبحت
عسِراً عليَّ طلابها ابنة مَخْرَمِ

روى أبو عبيدة :[٨٢]

شطت مزارُ العاشقين فاصبحت
عسِراً عليَّ طلابكِ ابنةَ مخرم

وهي رواية غير مشهورة . وروى قول النابغة .

شطت مزارُ العاشقين فاصبحت
عسِراً عليَّ طلابكِ ابنةَ مخرم

وهي رواية غير مشهورة . وروى قول النابغة .

والمؤمن العائذات الطير يمسحها
ركبان مكة بين الغَيْل والسَّنَد

(بين الغِيل والسَّعَد » بكسر الغين وقال : هما أجمتان كانتا بين مكة ومنىً غير ان الاصمعي انكر هذه الرواية[٨٣] التي لم يكتب لها الذيوع وروى ابو عبيدة قول عمرو بن كلثوم .

تركنا الخيل عاكفة عليه
مقلدة اعنتها صفونا

تركنا خيله نوحاً عليه
مقلدة اعنتها صفونا[٨٤]

بيد ان هذه الرواية ظلت غير معروفة . اذ لم تشع ولم تشتهر.

ومما هو جدير بالذكر أن معظم الرواة والشراح الذين أعقبوا أبا عبيدة مالوا الى رواية سواه لهذه الابيات مرجحين اياها على رواية أبي عبيدة . ومن هؤلاء الرواة والشراح واللغويين الانباري وأبو جعفر النحاس والبطليوسي والشنتمري والقرشي والزوزني والتبريزي . غير اننا لاحظنا ان ابن سلام الجمحي اتخذ المنحى نفسه الذي وجدناه عند أبي عبيدة في ايراده روايات غير مشهورة وغير سائدة لكثير من الاشعار . واذا عرفنا أن ابن سلام كان تلميذاً مخلصاً لابي عبيدة أدركنا مدى تأثر التلميذ باستاذه في هذا الشأن فاعتماد روايات غير معروفة لدى ابن سلام بعد أبي عبيدة يمكن ان يرد الى اقتداء التلميذ باستاذه وسيره على نهجه وخطاه[٨٥] .

خلافات أبي عبيدة مع سواه في قراءة الشعر

لم يسلم الرواة العلماء من الخطا في قراءة الشعر . فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول : « لو كنت كلما أخطأت وقعت في حجري جوزة ، لامتلا حجري جوزاً »[٨٦] . ولم تكن قراءة أبي عبيدة للشعر دائماً راجحة على قراءة سواه من الرواة العلماء . فمما أخذه الاصمعي على أبي عبيدة أن أبا عبيدة أنشد لحاجب بن زرارة قوله :

يا قوم قد أهلكتموني باللوم
ولم اقاتل عامراً قبل اليوم
شتان هذا والعناقُ والنومْ
والمشرب البارد في ظل الدوم

فرأى الاصمعي أن أبا عبيدة وهم وأن الصواب : في الظل الدَّوم اي الدائم مثل زائر وزور ، ونائم ونوم ، واحتج بان ليس بنجد دوم . قال الاصمعي : « أنّى لاهل نجد دوم . والدوم : شجر المقل ، وهو يكون بالحجاز وحاجب نجدي . فانى له دوم »[٨٧] . وقرأ أبو عبيدة قول امرىء القيس :

تجاوزت أحراساً اليها ومعشراً
عليّ حراصاً لو يُسِرُّون مقتلي

فرأى الاصمعي في قراءته تصحيفاً وأنّ الرواية : لو يُشِرُّون ومعنى يشرون بالشين المعجمة : يظهرون لا غير . أما معنى لفظة يُسِرُّون بالسين غير المعجمة فهو : يظهرون ويخفون . واللفظ من الاضداد . واحتج أبو عبيدة لقراءته بقوله تعالى : « وأسروا الندامة لما رؤوا العذاب » . أي أظهروها[٨٨] . وهكذا يكون لكل قراءة وجه . وقرأ أبو عبيدة قول الشاعر :

مازال يضربني حتى خذيتُ له
وحال من دون بعض البغية الشفقُ

وذكر كيسان أنه نبّهَ أبا عبيدة على الوجه الصحيح ، وهو : حتى خذيتُ له . ويزعم كيسان أن أبا عبيدة قال له : صدقت يا أبا سليمان[٨٩] . ومن المآخذ على قراءة أبي عبيدة أنه أنشد :

فظل يرتج في غيطلٍ
كما يستدير الحمارُ النَّعِرْ

فسئلَ عن النَّعِر ، فقال : هو الذي تدخل في أنفه النعرة . وهي ذبابة . فقال أحد الذي حضروا مجلسه : يرحمك الله قد قيل ذاك . وما هي ذبابة . وانما هو داء يأخذ صفحة رؤوسها . فقال أبو عبيدة : ولعل ذاك . ويقول هذا المعترض : فقلتُ : هو والله داء وأنا أعالج منه[٩٠] . وكانت قراءة أبي عبيدة في الغالب هي الراجحة على سواها ، وان خولف فيها . فقد روى أبو عبيدة قول الاعشى :

اني لعمر الذي حطت مناسمها
تخدي وسيق اليه الباقر الغُيُلُ

لكن الاصمعي اعترض على هذه الرواية . وقال : لا معنى لحطت هاهنا وانما يقال : حطت اذا اعتمدت في زمامها .. قال : والرواية خطت اي شقّت التراب بمناسمها[٩١] . بيد ان رواية ابي عبيدة لهذا البيت لم تكن مرجوحة بل انها اوفق من رواية الاصمعي فقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين (والحط : الحدو من العلو . وحطت النجيبة وانحطت في سيرها من السرعة)[٩٢] . ووافق أبو عمرو الشيباني أبا عبيدة في روايته (حطت) بالحاء المهملة لا (خطت) بالخاء المعجمة . وقال الصغاني في العباب « وحط البعير حطاطاً : اذا اعتمد في زمامه .. » ثم أورد قول الاعشى في هذا الصدد .

إني لعمرُ الذي حَطّت مناسِمُها
تَخْدي وسيق اليه الباقرُ الغُيُلُ

ورواية هذا البيت على هذا النحو كما ورد في العباب هي رواية ابي عبيدة كما ذكر أبو جعفر النحاس[٩٣] . غير أن ثمة قولًا أخر في هذا الصدد وهو أن أبا عبيدة روى (العتل) بدل « الغُيُل » . وأن أبا عمرو الشيباني ارسل اليه راجياً منه الاقلاع عن روايته والانتباه على ما فيها من تصحيف . ويبدو مما ذكره النحاس أن أبا عبيدة أخذ بملاحظة زميله أبي عمرو . والغُيُل : جمع غَيْل وهو الكثير والغَيْل : الجماعة والغُيُل أيضا ، الكثيرة . أما رواية الاصمعي لبيت الاعشى المذكور فهي :[٩٤]

اني لعمـــر الـــذي حطَّتْ منـــاسِمُهـــا
تَخْـــذي وجـــدُ عليهـــا البـــاقر العُجُـــل

لكن رواية أبي عبيدة رجحت على رواية الاصمعي فقد أخذ بها رواة القصائد السبع الطوال وشراحها واثبتوها في المتن متن القصيدة .

وروى أبو عبيدة قول الراجز :

زوجـــكِ يـــا ذات الثنـــايـــا الغُـــرّ
والـــــرتـــــلات والجبين الحـــــرّ

فخالفه ابن الاعرابي وقرأ : الربلات . والرتلات : استواء الاسنان . لا يزيد منها شيء على شيء . وقد ردّ أبو محلم الاعرابي قراءة ابن الاعرابي منتصراً لابي عبيدة . فقال : « ما موضع الربلات هنا إنْ كان أرادها . فهذا أبعد بعيد وأقبح كلام . وانما الوجه أن يقال : والرتلات والجبين الحر » .

وقد اثبت ابن الاعرابي روايته التي خالف فيها أبا عبيدة في كتابه النوادر . قال ابن دريد : « فاملاه قديماً بالياء تحتها نقطة . ثم رجع فاملاه ببغداد بتاء فوقها نقطتان »[٩٥] .

وروى الرواة قول أوس بن مَغْراء السَّعْدي :

ولا يـــريمـــون في التعـــريف مـــوقفَهُمْ
حتى يقـــال : أجيـــزوا آل صـــوفـــانـــا

غير أبا عبيدة رأى أن الرواية : « آل صفوانا » قال الصغاني مؤيداً ما ذهب اليه أبو عبيدة : « والصواب في الرواية : آل صفوانا . وآل صفوان : قوم من بني سعد بن زيد بن مناة . وهكذا ذكر - ايضاً - أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب التاج »[٩٦] .

وروى الرواة قول النابغة الذبياني يخاطب عمرو بن هند :

من مبلـــغٌ عمـــرو بن هنـــد آيـــةً
ومن النصيحـــة كَثْـــرةُ الإنـــذار
لا أعـــرفَنَّـــك عـــارضـــاً لـــرمـــاحنـــا
في جُفّ تغلب وارد الامـــــــرار

بيد ان أبا عبيدة كان يرويه : « في جُفّ ثعلب » . وذكر ان الشاعر يريد ثعلبة بن عوف بن سعد بن ذبيان[٩٧] . والجف : جماعة الناس . وبذلك يكون قد عزز قراءته . بما من شانه ان يجعلها راجحة على قراءة سواه من الرواة .

وروى الاصمعي قول الاعشى :

ولقـــد أرجـــل لمتي بعشيـــةٍ
للشَّـــرب قبـــل سَنـــابـــك المُرتـــادِ

والبيض قـــد عنست وطـــال جَـــراؤهـــا
ونشـــــأن في فنن وفي أذواد

غير ان ابا عبيدة روى (في قِنٍ) بدل « في فنن » ومعنى في فنن . في نعمة وأصلها أغصان الشجر . ومعنى (في قِن) : في عبيد وخدم . وقد رجحت قراءة أبي عبيدة على قراءة الاصمعي . فقد أخذ بها الرواة والشراح بعد أبي عبيدة[٩٨] . لانها اكثر ملاءمة لما قصد اليه الشاعر في البيت .

وقرأ الاصمعي قول الراعي النميري :

وكـــان رَيِّضهـــا اذا بـــاشـــرتهـــا
كـــانت معـــاودةَ الـــرحيـــل ذَلـــولا

فسئل : ما معنى باشرتها ؟ فقال : ركبتها . من المباشرة . ويقول هذا التلميذ السائل : فسألنا أبا عبيدة عن ذلك فقال : صحف والله . انما هو : ياسرتها : اذا لم تعارها وتقتسرها . قال : ومن ذلك قول عنترة :

اذا يـــوســـرتْ كـــانت وقـــوراً أديبـــةً
وتحسبُهـــا ان عـــوســـرت لـــو تُـــؤَلَّبِ[٩٩]

ويبدو أنّ رواية أبي عبيدة هنا هي الراجحة على رواية الاصمعي . واستمع أبو عبيدة الى أبي الخطاب الاخفش ، ينشد أبا عمرو بن العلاء ، قول الاعشى :

قـــالت قُتيلـــةُ : مـــالـــه
قـــد جُلِّلتْ شَيْبـــاً شـــواتـــه !

يقول أبو عبيدة : ان ابا عمرو اعترض على قراءة أبي الخطاب قائلاً : انما هو : سراته . وقد رأى أبو عبيدة ان قراءة أبي الخطاب هي الاصوب . قال : « وسمعت ما قال أبو الخطاب من رجل من البادية . قال : أقشعرت شواتي » وشواته . جلدة رأسه . أما سراته في رواية أبي عمرو فمعناها : عاليته[١٠٠] .

وأنشد المفضل الضبي قول الشاعر :

أفـــاطمُ إني هـــالـــكٌ فتبيني
ولا تجـــزعي كـــلُّ النســـاء يتيمُ

فخالفه أبو عبيدة ذاهباً الى أن الصواب : كل النساء يئيم . يقول أبو عبيدة : « فقلت : انما هو تئيم » أي تصير أيماً . ويضيف

أبو عبيدة قائلًا : « فضحك . وقال : صدقت وبررت يا أخي »[101]

وأخذ أبو عبيدة على المفضل الضبي قراءته قول الشاعر :

وكنت زُمنيـــاً جـــــار بيتٍ وصـــاحبـــاً
ولكن قيســـــاً في مســـــامعـــــه صَمَمُ

ورأى ان الصواب : زميناً : أي قريباً[102].

مما تقدم يظهر لنا ان أبا عبيدة في معظم الاحيان كان موفقاً في ضبط الرواية واتقان القراءة . وكانت قراءته في الغالب هي الراجحة على قراءة سواه من الرواة العلماء . وكان حين يجد ان قراءته مرجوحة لا يميل الى المكابرة والعناد ، فقد خاطبه أبو عمرو الشيباني قائلًا له : « انك تصحف في هذين الحرفين فارجع عنهما » . فاجابه أبو عبيدة : قد سمعتهما »[103] . رحم الله أبا عبيدة فقد خدم الدين الاسلامي الحنيف واللغة العربية العزيزة خدمة جليلة . وترك لنا تراثاً غنياً نافعاً شاهداً على علم غزير ، ونظر ثاقب ، ورأي سديد . وتلك شان النوابغ تبقى آثارهم تدل على نبوغهم وتالقهم على مر العصور وكر الدهور .

الهوامش والمصادر

(١) مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي ٤٦ . القاهرة تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم . اخبار النحويين للسيرافي ٥٥ القاهرة ١٩٥٥ / تحـ الزيني وخفاجي .
(٢) أخبار النحويين البصريين ٥٣ . نزهة الالباء لابي البركات الانباري ٨٥ . الاردن ١٩٨٥ تحـ د . ابراهيم السامرائي .
(٣) مراتب النحويين ، ص ٤٥ .
(٤) الفهرست لابن النديم ٥٩ . طهران ١٩٧١ تحـ رضا تجدد .
(٥) طبقات النحويين واللغويين لابي بكر الزبيدي ١٧٦ . دار المعارف بمصر ١٩٧٧ تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم .
(٦) نزهة الالباء ٨٧ .
(٧) طبقات النحويين واللغويين ١٧٦ .
(٨) نفس المصدر ١٧٧ .
(٩) نفس المصدر ١٧٥ .
(١٠) نفس المصدر ١٩٤ .
(١١) مراتب النحويين ٤٦ .
(١٢) الاقتضاب للبطليوسي ٢/٨٩ . بغداد ١٩٩٠ تحـ مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد .
(١٣) البيان والتبيين للجاحظ . ١/٣٦١ القاهرة ١٩٨٥ تحـ عبدالسلام محمد هارون .
(١٤) المذكر والمؤنث لابن الانباري ٢٧٦ : بغداد ١٩٧٨ تحـ د . طارق عبدعون الجنابي .
(١٥) البيان والتبيين ١ / ٣٢١ .
(١٦) مراتب النحويين ٢٢ . طبقات النحويين واللغويين ٥٢ .
(١٧) أخبار النحويين البصريين ٢٧ . مراتب النحويين ٢٢ .
(١٨) معجم الادباء لياقوت الحموي ٢٠ / ٦٥ . القاهرة ١٩٢٨ باعتناء محمد فريد رفاعي .
(١٩) طبقات النحويين واللغويين ٥٣ .
(٢٠) طبقات النحويين واللغويين ٤٠ .
(٢١) مجالس العلماء للزجاجي [illegible] تحـ عبدالسلام محمد هارون .
(٢٢) نزهة الالباء ٤٤ .
(٢٣) مراتب النحويين ٢١ . طبقات النحويين واللغويين ٤٣ .
(٢٤) مراتب النحويين ٢٣ .
(٢٥) مراتب النحويين ٣٩ ، ٢١ .
(٢٦) معجم ما استعجم للبكري ١ / ٢ ـ القاهرة ١٩٤٧ . تحـ مصطفى السقا .
(٢٧) البيان والتبيين ١ / ١٧٢ . شرح ما يقع فيه التصحيف لابي أحمد العسكري ٢١٥ . القاهرة ١٩٦٣ تحـ عبدالعزيز احمد . مراتب النحويين ٣٩ .
(٢٨) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ / ١٢٦ ـ ١٢٧ . القاهرة ١٩٧٤ تحـ محمود محمد شاكر .
(٢٩) جمهرة اشعار العرب للقرشي ١ / ٣١ . القاهرة ١٩٦٧ . تحـ علي محمد البجاوي .
(٣٠) ديوان المفضليات بشرح الانباري ٣٧ . بيروت ١٩٢٠ تحـ ليال .
(٣١) طبقات فحول الشعراء ١ / ٤ .
(٣٢) شرح القصائد التسع للنحاس ٢ / ٧٢٤ .
(٣٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٧٤ ، ١٣٨ .
(٣٤) المزهر للسيوطي ٢ / ٣٦٦ . القاهرة . نشرة البابي الحلبي تحـ جاد المولى والبجاوي وابو الفضل .
(٣٥) طبقات فحول الشعراء ١ / ٤٧ .
(٣٦) أمالي القالي ١ / ١٣٩ . القاهرة ١٩٢٦ .
(٣٧) البيان والتبيين ٣ / ٣٠٢ .
(٣٨) النوادر لابي زيد الانصاري ٤٥٧ . بيروت ١٩٨١ تحـ د . محمد عبدالقادر أحمد .
(٣٩) نفسه ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ، ٤٥٧ .
(٤٠) شرح ابن عقيل لالفية أبي مالك ١ / ٥٠ . مصر ١٩٦٤ . تحـ محمد محيي الدين عبدالحميد وهمع الهوامع للسيوطي ١ / ٤٠ . القاهرة ١٣٢٧ هـ .
(٤١) تهذيب اللغة للازهري ٢ / ١٢٨ . مادة (صمم) . القاهرة تحـ

محمد عبدالسلام محمد هارون .

(٤٢) مجالس العلماء ١٨٠ .

(٤٣) شرح القصائد السبع الطوال لابن الانباري ٨٢ . مصر ١٩٨٠ تحـ عبدالسلام محمد هارون . شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ١ / ١٦٢ . بغداد ١٩٧٢ تحـ أحمد خطاب .

(٤٤) شرح القصائد السبع للزوزني ٤٠ بيروت . ١٩٩٠ .

(٤٥) ديوان امرىء القيس ٣٧٢ . نشرة دار المعارف بمصر ١٩٨٤ تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٤٦) أشعار الشعراء الستة الجاهليين باختيار الاعلم الشنتمري ٩ ـ ٤٠ . شرح الاشعار الستة للبطليوسي ١ / ٦٨ ـ ١١٥ تحـ ناصيف عواد ، بغداد ١٩٧٩ .

نشرة دار الآفاق الجديدة في بيروت .

(٤٧) الحيوان للجاحظ ٦ / ١٣٢ . بيروت ١٩٦٩ . تحـ عبدالسلام محمد هارون . طبقات فحول الشعراء ١ / ٩٢ .

(٤٨) طبقات فحول الشعراء ١ / ٩٢ .

(٤٩) نفسه ١ / ١٢٧ .

(٥٠) المعاني الكبير لابن قتيبة ١٢٠ . بيروت ١٩٦٩ تحـ عبدالسلام محمد هارون . التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه للبكري ١٣٦ . نشر مع أمالي القالي في القاهرة سنة ١٩٢٦ . بتحقيق الميمني .

(٥١) الخيل لابي عبيدة ٨٢ ـ ٨٤ . نشر دار المعارف العثمانية بحيدر آباد ١٣٥٨ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي ٢ / ٩٤ . بغداد ١٩٩٠ تحـ مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد .

(٥٢) الاقتضاب ٢ / ٢٢٠ .

(٥٣) العمدة لابن رشيق القيرواني ٢ / ١٠٥ . بيروت ١٩٧٢ تحـ محمد محيي الدين عبدالحميد .

(٥٤) ذيل الامالي للقالي ١٨٢ .

(٥٥) مراتب النحويين ٤١ .

(٥٦) نفسه ٤١ .

(٥٧) فحولة الشعراء للاصمعي ٢٥ . القاهرة ١٩٥٣ تحـ خفاجي والزيني . الموشح للمرزباني ٢٣٢ . القاهرة تحـ البجاوي .

(٥٨) فحولة الشعراء ٢٦ . الموشح ١١٩ .

(٥٩) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ١٨٢ . بيروت ١٩٦٤ تحـ أحمد محمد شاكر . الموشح ١٠٤ .

(٦٠) مختارات ابن الشجري . القسم الاول ٢٩ . القاهرة ١٩٧٥ تحـ البجاوي .

(٦١) شعر زهير بن ابي سلمى برواية الأعلم ، (دار الكتب ، القاهرة ١٩٤٤) ، ص ٧٤ ، ٩٧ .

(٦٢) نفسه ٦٩ . وانظر مصادر الشعر الجاهلي ٥٢٨ .

(٦٣) طبقات فحول الشعراء ٢ / ٧٢٣ .

(٦٤) كتاب الخيل لابي عبيدة ١٤ .

(٦٥) ديوان امرىء القيس ٣٩٨ . القاهرة ١٩٨٤ تحـ محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٦٦) الموشح ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٦٧) نفس المصدر والصفحة .

(٦٨) نفسه ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٦٩) نفسه ٥٨ .

(٧٠) طبقات فحول الشعراء ١ / ٧٩ ؛ الموشح ١٨ .

(٧١) الاقتضاب ٢ / ٨٨ ـ ٨٩ .

(٧٢) طبقات النحويين واللغويين ١٧٥ .

(٧٣) شرح القصائد التسع المشهورات ١ / ١٢٥ .

(٧٤) ديوان امرىء القيس ٣٧٣ .

(٧٥) القاموس المحيط للفيروز ابادي ، مادة (سمل) ، ٣ / ٣٩٨ .

(٧٦) شرح القصائد التسع ١ / ١٤١ .

(٧٧) شرح القصائد التسع للنحاس ٢ / ٦٩٦ .

(٧٨) نفسه ٢/٦٩٧ .

(٧٩) المصدر والصفحة نفسهما .

(٨٠) شرح القصائد التسع ١/ ١٩٤ .

(٨١) ديوان امرىء القيس ٤٠٦ .

(٨٢) شرح القصائد التسع المشهورات بشرح النحاس ٢ / ٤٦٢ .

(٨٣) نفسه ٢ / ٧٦٠ .

(٨٤) العباب للصغاني ـ حرف القاء ٤٥١ مادة (عكف) بغداد ١٩٨١ .

(٨٥) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٤٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١٣٨ ، ٢ / ٣٦٥ .

(٨٦) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٧٢ .

(٨٧) نفسه ٨٢ .

(٨٨) نفسه ٨٧ .

(٨٩) نفسه ٨٤ .

(٩٠) نفسه ٧٦ .

(٩١) شرح القصائد التسع ٢ / ٧٢٤ .

(٩٢) كتاب العين ٣ / ١٨ مادة (حط) والقاموس المحيط ٢ /١٨ .

(٩٣) العباب للصغاني ـ حرف الطاء ص ٣٧ مادة (حط) ، شرح القصائد التسع ٢ / ٧٢٣ ـ ٧٢٤ . وقد ذكر النحاس في شرح القصائد رواية ابي عمرو الشيباني .

(٩٤) شرح القصائد التسع بشرح النحاس ٢ / ٧٢٤ .

(٩٥) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٨٥ .

(٩٦) العباب ـ حرف القاء ٢٦٢ .

(٩٧) العباب ـ حرف القاء ٦٣ ـ ٦٤ .

(٩٨) العباب ـ حرف السين ـ ٢٩٨ .

(٩٩) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١٠٦ .

(١٠٠) نفسه ٧٤ .

(١٠١) نفسه ١٣٨ .

(١٠٢) الفاضل للمبرد ٨٢ . القاهرة ١٩٥٦ تحـ الميمني .

(١٠٣) المزهر للسيوطي ٢ / ٣٦٩ .

تفاوت الشعر في النقد العربي القديم

أ . د . فائز طه عمر
كلية الآداب / جامعة بغداد

إن إدراك العرب العديد من القوانين والمبادىء والأسس والاصول المحركة للابداع الادبي عامة ، والشعري خاصةً ، تجلّىٰ في اكثر من منحىٰ ، ولعلّ من ذلك ادراكهم مسالة التناسب التي هي أحد مقومات الجمال ، للأشياء عامة [١] فالتناسب ، أو التلاؤم أو التناسق ، أو الانسجام ، وغيرها ، أبرز سمات الشيء الجميل واكثرها تعبيراً عن جماله [٢] .

ولعلّ الشعر من اكثر الاجناس الادبية الجميلة احتواءً لهذا الامر ، فقد وجد العرب أنّ أجزاءه ووحداته وبنيانه لابد أن تكون متناسبةً ، ابتداءً من الكلمة بمكوناتها الصوتية ، ومروراً بالبيت ، وانتهاءً بالنص الكامل المتمثل بالقصيدة أو المقطوعة ، ولا نريد الاتيان ، هنا ، بما يؤكد هذه الحقيقة ، فهي معروفة في الاراء التي تحدث فيها اصحابها عن الوحدة العضوية للقصيدة ، أو عن تلاحم أجزاء البيت وكلماته ، وضرورة عدم تنافر الحروف في الكلمة الواحدة ، أو بين الكلمات في البيت ، مما قد يرد شيء منه في ثنايا هذا البحث ، ولعلنا نستطيع تفسير الكثير من الملاحظات الاولية النقدية التي قالها العرب ، عن الشعر ، والتي وُصفت بالسطحية والتأثرية وبعدم القدرة على التعليل [٣] ، بأنها صدرت عن ادراك فطري لفكرة التناسب وضرورته للشعر .

وقد أكد حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ) حقيقة الابداع الشعري وجوهره القائم على التناسب بين ألفاظ البيت الشعري ، في أنه (لايخلو الابداع في المبادىء من أن يكون راجعاً الى ما يقع في الالفاظ من حسن مادة ، واستواء نسج ، ولطف انتقال ، وتشاكل واقتران ـ) [٤] ، وكذلك الامر في النظم الذي يقوم على التناسب أيضاً ، من خلال (إحكام بنيةٍ وابداع صيغةٍ ووضع ما ناسب ذلك ممّا يحسن في النظم ...) [٥] .

إن قولَ القرطاجني يمثل موقفاً نقدياً وحكماً عاماً انتهى اليه النقد العربي ، في الاكثر ، ممّا سنعرض له في هذا البحث ، من خلال تناولنا نقيض ما بدأنا به وهو التفاوت الذي يعني الاختلاف والاضطراب [٦] استناداً الى قوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت .. » [٧] أي . (ما ترى في خلقه تعالى السماء اختلافاً ولا اضطراباً ... وتفاوت الشيئان أي تباعد

ما بينهما تفاوتاً ..)[٨]، والتفاوت هو (عدم التناسب)[٩]، فالشعر المتفاوت هو الشعر غير المتناسب وغير المستوي، المضطرب في بنائه، والبعيد عن الوحدة والانسجام والتناسق.

إنّ تناولنا مسألة (التناسب) سيحيلنا الى دراسة النقد العربي كله، أو اكثره، في أعمق ما فيه من أفكار تبدأ من الحرف لتنتهي الى النص الكامل، مما لا يتحمله بحثٌ موجز وممّا يحتاج الى جهد يستغرق وقتاً طويلاً، فكان الاقتصار على تناول التفاوت، فحسب، مدخلاً لادراك التناسب وأهميته في الشعر.

الاصمعي والتفاوت

إنّ القاعدة التي بدأنا بها هذا البحث تشير الى أنّ التناسب مبدأ ضروري وأساس لبناء الشعر، مما ظهر عند النقاد العرب عامة، كما سنراه، لذا وجدنا أنّ التفاوت في الشعر قد أحيط بغير قليل من الرفض أو التحفظ، على أننا لاحظنا أنّ للاصمعي (٢١٦ هـ) رأياً آخر في هذه المسألة، فهو يرى ضرورة صدور الشاعر عن طبعه، ممّا يؤدي، بحسب اعتقاده، الى تذبذب الأبيات التي ينتجها هذا الشاعر، بين القوة والضعف، فليس من الطبع أن ينحو الشاعر منحىً واحداً، فالشاعر الذي يُنتج أبياتاً شعرية متقاربة المستوى، أو ذات منحىً واحد، شاعرٌ متصنّع متكلّف، يميل الى تنقيح شعره وتهذيبه زمناً قبل اخراجه الى الناس بشكله النهائي، ممّا يُعدّ، عنده، بعداً عن الطبع، وهذا ما ظهر في موقفه من الحطيئة الذي قال عنه: « الحطيئة عبدٌ لشعره. »[١٠]، وقد أبان الجاحظ عن دلالة هذا الوصف، في الموضع نفسه، بقوله: « عابَ شعره حين وجده كلّه مُتخيراً مُنتخباً مستوياً، لمكان الصنعة والتكلف، والقيام عليه. ».

فالاصمعي يرى ان استواء شعر الحطيئة وعدم تفاوته، راجع لتكلفه وعدم صدوره عن الطبع مما يتأكد لنا، في ما نسب اليه من تصريح على ذلك في قوله الذي رواه ابن جنّيّ (٣٩٢ هـ) بقوله: « وكان الاصمعي يعيب على الحطيئة، ويتعقبه، فقيل له في ذلك، فقال: وجدتُ شعره كلّه جيداً، فدلني على أنه كان يصنعه وليس هكذا الشاعر المطبوع؛ إنّما الشاعر المطبوع الذي يرمي الكلام على عواهنه، جيّده على رديئه ... »[١١]، إنّ، في هذا الكلام، تصريحاً بأنّ الاصمعي يفضل التفاوت ويعده دليلاً على الطبع الذي يرجحه على الصنعة، مما يشير الى ضرورة تعبير الشعر عن النفس الانسانية التي لا تعرف الاستقرار، غالباً وربما فسّر لنا رأي الاصمعي هذا، رأي ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) في شعر زهير والحطيئة اللذين عدّهما شاعرين مُتكلفين، ذلك أن الشاعر المتكلف، عنده، هو الذي (قوّم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش، ويعاد فيه النظر بعد النّظر، كزهير والحطيئة.)[١٢]، متأثراً، على ما يبدو، برأي الاصمعي، مما جعله متناقضاً مع ما ذكره من سمات للشعر المتكلف[١٣]، لا نجدها في أشعار زهير والحطيئة.

فالتفاوت، إذن، عند الاصمعي، دليلٌ على الطبع، ذلك أنّ نظرته للشعر كانت (تقوم على خضوع الشاعر التام لطبعه التالي عن التهذيب.)[١٤]، لانسجام ذلك مع شعوره بالحياة الجاهلية، وميله الى أجواء البادية، ولايمانه بان الشعر هو نتاج اللحظة، واستجابة الشاعر لمشاعره الانية[١٥].

ومن هذا المنطلق استحسن الاصمعي شعر النابغة الجعدي لتفاوته، أيضاً، فقد وصفه بانه (مطرَفٌ بآلاف، وخِمارٌ بواف)[١٦]، وقد أكد الجاحظ أن الاصمعي كان يفضله من أجل هذا[١٧]، ومعنى قوله: أن في شعر النابغة الجعدي ما هو غالٍ وسعره بالاف الدراهم، فالمطرف: واحد المطارف، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام، كما أنّ في شعره ما هو رديء لا يساوي درهماً، ممّا عبّر عنه بالوافي الذي هو الدرهم الذي يزن مثقالاً[١٨]، والاصمعي، كذلك، كان يعجب بشعر أبي العتاهية للسبب نفسه، فقد وجد فيه تفاوتاً دل على صدور هذا الشاعر عن طبعه، في انتاج شعره، دون تكلف، في قوله: (شعر أبي العتاهية كساحة الملوك، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى)[١٩].

فهذا الوصف لشعر أبي العتاهية يحمل طابع الثناء، كما يبدو من تشبيه الاصمعي لشعر أبي العتاهية بساحة الملوك.

ويبدو لنا أن رأي الاصمعي يحمل قدراً كبيراً من الصواب، والفهم لطبيعة الشعر ومستواه ساعة انتاجه، خاصةً، فالقصيدة، عندما يخرجها الشاعر من قريحته، لا أظنها تاتي مستوية، على مستوى واحد من الجودة، بل تاتي على قدر من التفاوت، وربما نستطيع أن نؤكد هذا الأمر عند قراءة المرويات الشعرية التي وصفت بانها مرتجلةٌ، أو جاءت بديهةً واستجابةً لمشاعر آنية ضاغطة، مما نجده، مثلاً، في شعر الحب العذري، وشعر الحرب والفتوح الاسلامية.

الاصمعي وبشار

لاحظنا الاصمعي رافضاً شعر الحطيئة لهيمنة الصنعة عليه، وعدم صدوره عن الطبع، على أنه أبدى أعجابه بشعراء آخرين لانهم مطبوعون، من خلال ما رآه، في اشعارهم، من

تفاوت يؤكد صدورهم عن الطبع في انتاجهم الشعري ، مما نجده ، أيضاً ، في موقفه من شعر بشار الذي أفردنا له هذا الحيّز لانه سوغ تفاوته بالطبع كذلك .

فقد أبدى الاصمعي إعجابه بشعر بشار ، لانه شاعر مطبوع لا يتكلف ، ولا يحكك أبياته ولا ينقحها ، بقوله ، عن بشار : (كان مطبوعاً لا يكلف طبعه شيئاً متعذراً ، لا كمن يقول البيت ويحككه أياماً)[٢٠] .

وكان بشار بن برد قد أبدى رأياً في ما لوحظ ، على شعره ، من تفاوت ، بارجاع ذلك الى أنه شاعر مطبوع ، يقول الشعر على الطبع ، دون تكلف ، مما يعني أنّ شعراء كباراً قد كانت لهم إراء معاضدة لرأي الاصمعي ، في ما رأيناه . فبشّار يقرّ أنّ شعره يأتي جيداً مرةً ، ورديئاً ، وهابطاً ، مرةً أخرى . فقد قيل له : (كم بين قولك :

قـد زرتنا مـرّةً فـي الـدهـر واحدةً
عـودي ولا تجعليهـا بيضـة الـديكِ

وبين قولك :

إنّ سلمىٰ خُلقتْ من قَصَبِ
قَصَبِ السكـــر لاعظمِ الجَمَـــلْ
واذا أدنيت منهـــا بصـــلاً
غلبَ المســكُ على ريـحِ البصـلْ

فقال : انما الشاعرُ المطبوع كالبحر ، مرةً يقذف صدفة ، ومرةً يقذف جيفة)[٢١] . فبشار ، هنا ، يسوّغ هذا التفاوت بين هذين النصين بطبعه ، فهو يصف نفسه بانه شاعر مطبوع يرتفع مرةً ويهبط اخرى ، وقد أشار غير الاصمعي الى تفاوت شعر بشار فقالوا عنه : (انه ينظم الشذرة ، ثم يجعل الى جانبها بعرة .)[٢٢] .

ومع هذا كله لا يخفى بشار عنايته بصناعة شعره ، وعدم قبوله بكل ما يصدر عن طبعه ، متناقضاً مع اظهاره اعتداده بطبعه ، فقد سئل مرةً : (بمَ فقتَ أهلَ عمرك وسبقتَ أبناء عصرك . في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لاني لم أقبل كلّ ما تورده عليّ قريحتي ، ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرتُ الى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات فسرتُ اليها بفكر جيد ، وغريزة قوّية ، فاحكمت سبرها ، وانتقيتُ حُرّها ، وكشفتُ عن حقائقها ، واحترزت عن مُتكلفها ، ولا ، والله ، ما ملك قيادي الاعجاب بشيء مما آتي به .)[٢٣] . فبشار هنا يتحدث عن العوامل التي جعلت منه شاعراً متفوقاً على أهل زمانه من الشعر ، فكان من بينها عدم قبوله كل ما يأتي به طبعه ، وإعماله فكره في صنع ابياته ، وليس كما صرّح به ، ووصف به ، سابقاً ، كما رأينا . ويبدو ، لنا ، أن هذا القول الاخير أكثر تعبيراً عن طريقة بشار في صناعة الشعر ، وهو يحمل رأياً نضج عند القاضي الجرجاني(ـ ٣٩٢ هـ) الذي دعا الى (ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه والعنف به ؛ ولستُ أعني بهذا كلّ طبع ، بل المهذب الذي قد صقله الادب ، وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وأُلهم الفصل بين الرديء والجيّد ، وتصور أمثلة الحسن والقبح .)[٢٤] ، فما قاله بشّار والقاضي الجرجاني ذو مفهوم واحد فحواه أنّ الطبع ركنٌ مهم وعنصر أساس من عناصر الخلق الشعري ، على انه ينبغي أنْ يُهذب ، ويثقف بالرواية والاطلاع على نماذج الشعر المختلفة ، ليستوي طبعاً منتجاً .

ويبدو ، أيضاً ، ان تفاوت بشار ، في شعره ، مسوّغٌ عنده بما يعرف بمراعاة مقام القول أو مقتضى الحال ، فان استعمل لغةً جزلةً وتراكيب متينةً ، فقد فعل ذلك استجابةً لموقفٍ أو لظرفٍ أو لحال مختلف عن حال اقتضى منه استعمال لغة سهلة ، وتراكيب بسيطة ، فقد أخذ عليه أحدهم تفاوته في شعره واصفاً إيّاه بالامر المهجّن ، في قوله لبشار : (يا أبا معاذ إنك لتجيء بالامر المهجّن .

قال : وما ذاك ؟ قلت : إنك تقول :

إذا مـــا غضبنا غضبــةً مضريّــةً
هتكنا حجاب الشمس أو مطرتْ دَما
اذا مـا أعرنـــا سيّداً من قبيلةٍ
ذُرىٰ منبــر صلّىٰ علينـا وسَلّمـا

ثم تقول :

ربـــــابــــةُ ربّـــةُ البيت
تصبُ الخــــلّ في الـــــزيتِ
لهــــا عشـــرُ دجـاجـــاتٍ
وديـــــكٌ حسنُ الصـــــوتِ

فقال : كلُ شيء في موضعه ، وربابةُ هذه جاريةٌ لي ... مكانُ هذا من قولي أحبُ اليها وأحسنُ عندها من :[٢٥]

قفا نبكِ من ذكرىٰ حبيبٍ ومنزلِ ....)

وربما كان هذا القول هو الذي يمثل رأي بشار في تفاوت شعره ، فهو شاعر كبير يُدرك أسرار صناعة الشعر ، وله فيها آراء ذات قيمة نقدية[٢٦] .

وما دمنا في بشار وشعره فلابد من ذكر رأي أبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) في شعر بشار ، وأبو عمرو هو شيخ الاصمعي كما هو معلوم ، فقد ذم شعر بشار لتفاوته ، على انه يرى انّ الرديء من شعر بشار اكثر من الجيد ، يقول أبو عمرو عن شعر بشار بانه : (سباطة ملوك ، فيها قطعة ذهب ، وما شئت من رماد .)[٢٧] .

فابو عمرو يعدّ التفاوت عيباً ، ليس كما ذهب الاصمعي الذي انفرد برأيه في جعل التفاوت دليلاً على الطبع الذي ينبغي أن يصدر الشعر عنه .

تفاوت شعر أبي تمام

على الرغم من ان النقد العربي أشار الى تفاوت شعر غير شاعر ، كانت عنايته بتفاوت شعر أبي تمام (ــ ٢٣١ هـ) عناية كبيرة ، لدخول هذا التفاوت عاملاً من عوامل المحاججة بين انصار أبي تمام وأنصار البحتري ، كما سنرى . فقد أشار ابن رشيق (ــ ٤٥٦ هـ) مثلاً ، الى تفاوت شعر أبي الطيب المتنبي (ــ ٣٥٤ هـ) ورده الى قول المتنبي بعض شعره بديهةً وارتجالاً ، مؤكداً أن هذا الشعر المرتجل كان هابطاً بالقياس لشعره كله ، وهو ، أي ابن رشيق ، يعتذر للمتنبي بهذا ، فيقول : (وقد كان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال ، الا انّ شعره فيهما نازلٌ عن طبقته جداً ، وهو لعمري في سعة من العذر .)[٢٨] .

ولعل أبا تمام من اكثر الشعراء الذين أثيرت حولهم قضية التفاوت الذي هو اختلاف مستواه الشعري بين الجودة والرداءة ، السموّ والهبوط ، القوّة والضعف .

وربما كانت مقولة الشاعر البحتري (ــ ٢٨٤ هـ) ، عن تفاوت شعر أبي تمام ، من أقدم ما قيل في ذلك ، على نحوٍ غير مباشر ، عندما سئل عن أبي تمام ، وعن نفسه ، (فقال : جيّده خيرٌ من جيدي ، ورديئي خيرٌ من رديه)[٢٩] ، وقد أفاد أنصار البحتري من مقولته هذه في دحض ما يراه أنصار أبي تمام من انه قد أقرّ بتفوق أبي تمام عليه في الشاعرية ، مؤكدين مبدأ نقدياً عاماً استقرّ عليه النقد العربي ، فحواه أنّ (المستوي الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر .)[٣٠] ، أي ان الشاعر الذي ينتج شعراً متكافيء المستوى يُفضل ويقدم على الشاعر الذي يجيد تارة ، ويهبط تارة وقد ذكر أن المبرد (٢٨٥ هـ) سئل عن رأيه في شعر أبي تمام وشعر البحتري ، فاجاب بما يؤكد تفاوت شعر أبي تمام وتفضيله شعر البحتري لعدم تفاوته ، بحسب رأيه ، يقول المبرد : (أبو تمام يعلو علوّاً رفيعاً ، ويسقط سقوطاً قبيحاً ، والبحتري أحسن الرجلين نمطاً ، وأعذب لفظاً)[٣١] . والنمط هو الطريقة ، أو الطريق ، وهو ، أيضاً ، الضرب من الضروب والنوع من الانواع[٣٢] ، فنمط البحتري أي طريقته في صناعة الشعر تبدو أقرب الى ذوق المبرد (اللغوي) من طريقة أبي تمام .

ونجد اقرار تفاوت شعر أبي تمام عند ابن المعتز (ــ ٢٩٦ هـ) مفسراً بآراء نقدية ذات اهمية تؤكد اصالة ابن المعتز ناقداً مقتدراً . فقد أكد ابن المعتز تفاوت شعر أبي تمام ، الذي بدا ، عنده ، تفاوتاً شديداً ، يقول عن شعر أبي تمام : (فاما قولنا فيه فانّه بلغ غايات الاساءة والاحسان)[٣٣] . معززاً هذا الرأي بامثلة شعرية متفاوتة من شعر أبي تمام ونجد ابن المعتز في كتابه (البديع) يحاول تفسير ما أصاب شعر أبي تمام من تفاوت وتذبذبٍ واختلافٍ ، مؤكداً أن ذلك متاتٍ من تكلفه استعمال فنون البديع (البلاغة) واكثاره منها بافراط ، يقول ابن المعتز : (ثم ان حبيب بن أوس الطائي ـ شغف به (أي البديع) حتى غلب عليه ، وتفرع فيه واكثر منه فاحسن في بعض ذلك وأساء في بعض ، وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف .)[٣٤] .

ويقر أبو بكر الصولي (ــ ٣٣٥ هـ) الذي هو أحد كبار مناصري أبي تمام ، مقولة البحتري ، سالفة الذكر ، في شعره وفي شعر البحتري ، معلقاً عليها بما يؤكد اقراره تفاوت شعر أبي تمام ، يقول : (وقد صدق البحتري في هذا جيّدُ أبي تمام لا يتعلق به احدٌ في زمانه ، وربما اختل لفظه قليلاً ، والبحتري لا يختل .)[٣٥] .

ويؤكد الامدي (ــ ٣٧٠ هـ) ان تفاوت شعر أبي تمام باتَ أمراً شائعاً بين اكثر رواة أشعار الشعراء المتاخرين ، في قوله : (ووجدتُ ــ أطال الله بقاك ــ أكثر من شاهدته ورأيته من رواة أشعار المتاخرين يزعمون أن شعر أبي تمام :

حبيب بن أوس الطائي لا يتعلق بجيّده جيدُ أمثاله ، ورديه مطرحٌ مرذول ، فلهذا كان مختلفاً لا يتشابه .)[٣٦] .

ويؤكد القاضي الجرجاني (ــ ٣٩٢ هـ) ما جاء عند من سبقه من تفاوت شعر أبي تمام ، مفسراً ذلك بالتكلف في استعمال البديع ، والغريب اللغوي في شعره[٣٧] ، وقد أورد القاضي امثلة من شعره الجيد ، وامثلة من شعره السيء متسائلاً : (وأعجبُ من ذلك شاعراً يرى هذه الغرر في ديوانه ، كيف يقرن اليها تلك الفُرَز .)[٣٨] ، مؤكداً أنّ ظاهرة التفاوت موجودة بين أبيات القصيدة الواحدة ، عند أبي تمام وأتباعه[٣٩] . كما قال القاضي الجرجاني نفسه ولا ندري ماذا يقصد باتباعه ، فهو لم يسمّ أحدهم ، على أنهم ، ربما ، كانوا أصحاب مذهب البديع .

بعد أن أوجزنا شيئاً مما قيل في تفاوت شعر أبي تمام ، نعود لنرى آراء عدد من أبرز النقاد العرب في التفاوت .

يبدو ، لنا ، أن معظم النقاد العرب ينطلقون ، في النظر الى التفاوت ، من ايمانهم بضرورة تناسب كلمات البيت الواحد ، وأبيات القصيدة الواحدة ، كما أشرنا في السطور الاولى من هذا البحث ، وكما سنؤكده في عرض أقوال عدد من أبرز النقاد العرب في مسألة التفاوت ، فلنعود الى أبي عمرو بن العلاء الذي عاب على بشار تفاوته ، كما رأينا ، لنجده قد سوّغ عدم تحبيذه رواية أشعار جرير والفرزدق والاخطل ، مع اقراره بجودة بعضها[٤٠] ، بأن اجادتهم ، أو حسن اشعارهم قد سبقوا اليه ، وقبيحها من عندهم ، ممّا يعني أنه لاحظ عندهم تفاوتاً شعرياً ، بقوله : (ما كان من حسن سُبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ، وليس النمط واحداً : ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسيح .)[٤١] ، فطريقة جرير والفرزدق والاخطل ، بحسب رأي أبي عمرو بن العلاء ، متفاوتة ، فمرة يكون شعرهم كالديباج (الحرير) عالياً ، ومرةً هابطاً كالمسيح ، أي المنديل الخشن .

وثمة شاعر ، وراجز أشارا الى التفاوت على أنه ضعف في الشعر ، ودليل عدم نضجه : أما الشاعر فهو عمر بن لجا الذي عاصر جريراً وكانت له معه مهاجاة وهو أسنُّ منه [٤٢] ، والذي فخر على شاعر ، لم يُسمَّ ، بتفوقه عليه في الشاعرية ، لانه يُنتج شعراً متكافئاً وليس متفاوتاً ، أما شعر الشاعر الاخر فمتفاوت مختلف في أبياته ، وقد عبّر عمر بن لجا عن هذا الامر بطريقة بيانية طريفة : (قال عمر بن لجا لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ، قال : وبم ذاك ؟ قال : لاني أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه .)[٤٣] ، فبيت الشعر الذي يأتي مع ابن عمه تراه (مقروناً بغير جاره ، ومضموناً الى غير لفقه .)[٤٤] ، ممّا يعدّ ضرباً من ضروب التكلف عن ابن قتيبة كما سنرى ، ممّا يشير الى أنّ التفاوت هو من نتاج التكلف عامةً .

إن التفاوت هو من نتاج التكلف عامةً وأخذ الراجز رؤبة بن العجاج (ـ ١٤٥ ، أو ١٤٧ هـ)[٤٥] ، على ابنه عقبة أنه لا يقول شعراً مقروناً الى لفقه أو قرينه ، فـ (ليس لشعره قران)[٤٦] ، أي ان شعره ما يزال غير ناضج ، وأهم دليل على ذلك هو تفاوته ، كما يبدو . فعمر بن لجا ، ورؤبة قد تساوقا مع النظرة العامة للنقد العربي الذي دعا الى التناسب وعدم التفاوت في الشعر ، مع أن بشاراً عدّ تفاوته دليلًا على طبعه ، كما رأينا .

وذكر الجاحظ (ـ ٢٥٥ هـ) أصلًا عاماً قال به العرب ومدحوا من يأخذ به ، وذموا سواه ، ذلك هو التناسب ، بقوله من العرب عامةً : (يذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفضلون اصابة المقادير ، ويذمون الخروج من التعديل .)[٤٧] ، ففي ضوء هذه الحقيقة الجمالية العامة احتفل الجاحظ بالتناسب ودعا اليه في بناء الشعر : بيتاً أو قصيدة ، بل حتى كلمةً ، ورفض التفاوت ، فمعلوم أنه دعا الى الانسجام بين أصوات الكلمة الواحدة وعدم تنافر حروفها ، كذلك بين كلمات البيت التي ينبغي أن تبتعد عن التنافر والاستكراه ، فينسجم بعضها مع بعض ، فلا تكون كاولاد العلّات : أي ابناء نساء عديدات من رجل واحد ، فيكونون متكارهين ، متباغضين ، متنافرين ، لتكاره أمهاتهم ، الضرائر .

ممّا ذكره ، قبله ، خلف الاحمر (ـ ١٨٠ هـ)في بيته :

وبعضُ قـريضِ القومِ أولادُ علّـةٍ
يكـدّ لسـانَ النـاطقِ المتحفّظِ[٤٨]

فخلف الاحمر ، هنا ، يُظهر رفضه للتفاوت وللتنافر الموجود في بعض أبيات العرب الشعرية ، والجاحظ يشرح قصده ، منوّهاً بأتفاقه معه ، بقوله : (فانه يقول : اذا كان الشعر مستكرهاً ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلًا لبعض كان بينهما ما بين اولاد العلّات ، واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مَرضياً موافقاً ، كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤونة .)[٤٩] ، ويُدرك الجاحظ أنّ سبب وجود مثل هذه الابيات هو تكونها من ألفاظ متنافرة بعيدة عن الانسجام ، يتبرأ بعضها من بعض ، وانشادها مستكره ، بقوله : (ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر ، وإنْ كان مجموعةً في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الّا ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وقبـرُ حـربٍ بمكـانٍ قفْـرِ
وليس قـربَ قبـرِ حـربٍ قبْـرُ

.... ومن ذلك قول ابن يسير ... ثمّ قال :

لم يضـرهـا ، والحمـدُ لله ، شيء
وانثنت نحـوَ عـزفِ نفسٍ ذَهـولِ

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت : فانك ستجدُ بعض ألفاظه يتبرأ من بعض .)[٥٠] .

ويؤكد الجاحظ أن التفاوت وعدم الائتلاف والبعد عن التناسب أمرٌ لا يقتصر على الكلمات في السياق الواحد ، بل تراه في حروف الكلمة ، مثلما هو في أجزاء البيت الشعري ، فمنها

ما يكون مختلفاً متبايناً مستكرهاً في نطقه ، ومنها ما يكون سهلاً ، ليناً ، سلساً ، خفيفاً على اللسان في نطقه ، يقول : (.. كذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقة مُلساً ، ولينة المعاطف سهلةً ، وتراها مختلفة متباينةً ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكده ، والاخرى تراها سهلة لينة ، ورطبةً مواتية ، سلسلة النظام ، خفيفة على اللسان ، حتى كأن البيت بأسره كلمةٌ واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرفٌ واحد .)(٥١) ، فالبيت الخالي من التفاوت يأتي ، في تماسكه ، وسهولة نطقه ، كالكلمة الواحدة التي ان كانت كذلك جاءت كالحرف الواحد تماسكاً وتناسباً وسهولة نطق ، لذا يعلن الجاحظ تفضيله الشعر المتلاحم الاجزاء ، السهل المخارج ، فيكون ذلك أجود الشعر ، بقوله : (وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ افراغاً واحداً ، وسُبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان ،)(٥٢) .

إنّ الجاحظ قد عبّر ، في غير موضع آخر ، عن رفضه للتفاوت ودعوته للتناسب في الشعر عامةً ، وربما كان ما أوردناه له من آراء يمثّل أبرزها .

ويرى ابن قتيبة أنّ مما تتبينه من التكلف في الشعر هو التفاوت الذي تراه بين أبياته ، مستشهداً ، على ذلك ، بما قاله الشاعر عمر بن لجأ ، وروبة ، ممّا ذكرناه ، يقول ابن قتيبة : (وتتبيّن التكلف في الشعر .. بان ترى البيت مقروناً بغير جاره ، ومضموناً الى غير لفقه ..)(٥٣) ، ممّا يعني أن القصيدة التي تتكون من هذه الابيات المتفاوتة قصيدة ذات نسيج مُفكّك ، لا تتسم بالوحدة العضوية الضرورية ، على أن من سمات الشعر المطبوع وحدته العضوية ، وتلاحم أجزائه ، وعدم تفاوتها ، يقول ابن قتيبة : (والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ..)(٥٤) ، فقوله : (أراك في صدر بيته عجزه ...) دلالة على ان البيت الشعري ينبغي ان تتلاءم أجزاؤه ، وتنسجم كلماته ، فيفضي أولها الى آخرها ، وهو ، في هذا ، يؤكد المنحى العام للنقد العربي في هذه المسألة ، ومن أجل هذا عدّ ابن قتيبة الشاعر المجيد هو الشاعر الذي يلائم بين أقسام القصيدة المعروفة ، بقوله : (فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدّل بين هذه الاقسام ..)(٥٥) .

ويردد ابن طباطبا العلوي (ــ ٣٢٢ هـ) بعض آراء الجاحظ في ضرورة أن تكون القصيدة كالكلمة الواحدة تناسباً وتكافؤاً بين أبياتها ، وبعداً عن التفاوت ، مؤكداً أنّ ذلك يحتاج الى إحكام الصنعة من خلال العناية بالنسج ، والفصاحة ، والعناية بجزالة الالفاظ ، ودقة المعاني ، وصواب التأليف ، حتى تكون القصيدة ، كما قلنا ، (ككلمة واحدة في اشتباه أوّلها بآخرها ؛ نسجاً ، وحُسناً ، وفصاحةً ، وجزالة ألفاظ ، ودقّة معانٍ ، وصواب تأليف .)(٥٦) ، وهو يدعو الشاعر ليحقق هذا المستوى العالي من التكافؤ والتناسب بين أجزاء القصيدة الواحدة الى الابتعاد عن حشو القصيدة بما لا يلائم كلمات الابيات المكونة لها ، ولا يأتي بما يفصل بين أجزاء الجملة الواحدة : (لا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلًا من حشو ليس من جنس ما هو فيه ، فينسى السامع الممتدح الذي يسوق القول اليه ، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت ، فلا يباعد كلمة عن اختها ، ولا يحجز بينهما وبين تمامها بحشو يشينها ، ويتفقد كلَّ مصراع هل يشاكل ما قبله .)(٥٧) ، وابن طباطبا يُدرك ان من أشد عوامل التأثير الذي يحققه الشعر في المتلقي هو حسنُ تركيبه ، واعتدال اجزائه : (وللشعر الموزون ايقاع يطرب الفهم لصوابه ، يَرِدُ عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه .)(٥٨) ويؤكد ، أيضاً ، أنّ مردَّ الاحساس بجمال الشيء ، عامةً ، انما هو اعتداله وتناسب أجزائه ، على أن مردّ القبح هو الاضطراب والتفاوت : (وعلّة كل حسن مقبول : الاعتدال . كما ان علة كل قبيح منفيّ : الاضطراب .)(٥٩) ، لذا فهو يوصي الشعراء بالاحتراز والحذر من سماع الشعر المتفاوت ومن قراءته ، فابياته المستكرهة ستُسلمه الى الاضطراب والبعد عن التناسب : (فامّا هذه الابيات المستكرهة الالفاظ المتفاوتة النسج ، القبيحة العبارة ، التي يجب الاحتراز منها ..)(٦٠) فهي (الابيات القبيحة نسجاً وعبارةً)(٦١) . إنّ هذا كله يدلّنا على رفض ابن طباطبا للتفاوت الذي عدّه من أهم أسباب القبح في الشعر . وقد عزّز ابن طباطبا آراءه بامثلة شعرية متناسبة ، أو متفاوتة ، بحسب ما هي عليه .

ويرى الآمدي (ــ ٣٧٠ هـ) أن الشعر الجيد هو (.. الذي يدلّ بعضه على بعض ، ويأخذ بعضه برقاب بعض ، واذا أنشدتَ صدر البيت علمتَ ما يأتي في عجزه ..)(٦٢) ، فهذا النمط من الكلام عامةً ، ومن الشعر خاصةً ، داخلٌ في الكلام الذي وصفه البلغاء والفصحاء بقولهم : (هذا كلامٌ يدلّ بعضه على بعض ، ويأخذ بعضه برقاب بعض .)(٦٣) ، وهو ، بهذا ، يرفض التفاوت ويؤكد ما قاله النقّاد السابقون .

ويرى القاضي الجرجاني(ــ ٣٩٢ هـ) أنه لا وجود لشاعر جاء بشعر لا مأخذ عليه ، مما يجعلنا نعتقد بان التفاوت ، في منظوره ، أمرٌ طبيعي : (وأيّ عالم سمعتَ به ولم يزلّ ويغلطْ ! أو شاعر انتهى اليك ذكره لم يهف ولم يسقط !)(٦٤) ، وأظنّ أن جميع

النقاد ، إن نظروا في واقع الشعر عامةً ، سيتفقون مع ما قاله القاضي ، على أنهم ، في ما قالوه ، طلبوا المثال .

وقد أخذ القاضي الجرجاني على الشعراء القدامى من عدم عنايتهم بأستهلال قصائدهم ، والتخلص بين أجزائها ، وخاتمتها(٦٥) ، مما يؤدي الى ظهور شيء من التفاوت في قصائدهم .

كما أنه دعا الشعراء الى أن تكون لغتهم الشعرية بعيدة عن الضعيف الركيك ، وعن الخَنِث المؤنث ، متوخين لغةً وسطاً ، سمّاها (النمط الاوسط ؛ ما أرتفع عن الساقط السوقي ، وانحطّ عن البدوي الوحشي .)(٦٦) ، وهو لا يريد من الشاعر أن يكون شعره على نمط واحد أو نسق متشابه ، ذلك أن ثمة مؤثرات تجعله مختلفاً ، منها الغرض الشعري ، أو المعنى الذي يتطلب طريقة تعبيرية مختلفة عن طريقة المعنى الاخر ، ويؤكد القاضي الجرجاني ذلك بقوله مخاطباً الشاعر : (ولا آمرك باجراء أنواع الشعر كله مجرىً واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى أن تُقسّمَ على رُتب المعاني ..)(٦٧) ، وهو يرى أن ما يعطي الشاعر قدرة ابداع شعر جيد حسن ، كما هو عند جرير ، وذي الرُمة ، والبُحتري ، وعمر بن ابي ربيعة ، وكثير وجميل ، ونُصيب ، انما هو الطبع المثقف ، وليس كما فهمنا من الاصمعي ، يقول القاضي : (وملاك الأمر ، في هذا الباب خاصةً ، ترك التكلف ، ورفض التعمل والاسترسال للطبع ، وتجنّب الحمل عليه والعنف به ؛ ولستُ اعني بهذا كلَّ طبع ، بل المهذب الذي قد صقله الادب ، وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وأُلهم الفصل بين الرديء والجيد ، وتصوّر أمثلة الحسن والقبح .)(٦٨) ، ومع أن هذا النص قد أوردناه سابقاً ، تبدو اعادته ذات فائدة ، لاهمية ما يضمّه من فكرة نقدية صائبة .

ويعتقد أبو هلال العسكري(ـ ٣٩٥ هـ)بأن ثمة عوامل تجعل الكلام حسناً ، من بينها : (تعادل أطرافه ، وتشابه أعجازه بهواديه ، وموافقة مآخيره لمباديه ..)(٦٩) ، مما يؤكد ادراك العسكري اهمية التناسب والابتعاد عن التفاوت في ابداع كلام مؤثر يقبله العقل ، وتطرب له الأذن من خلال عذوبة أصواته وتناسقها ، يقول : (فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة ، والجزالة ، والسهولة ، والرّصانة ، مع السلاسة والنصاعة ، واشتمل على الرّونق والطّلاوة ، وسلم من حيف التأليف ، وبَعُد عن سَماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب قَبِلَهُ ولم يرده ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجّه ..)(٧٠) ، فحيف التأليف هو الميل به عن التناسب وجعل اجزائه متفاوتة ، مما هو غير مقبول عند العسكري وعند غيره من سائر العرب الذين بدت عنايتهم باحكام بناء القصيدة واتقان صناعته اكثر من أي شيء آخر : مما يؤكده ابن رشيق القيرواني بقوله : (والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأنْ تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وأبرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلام بعضه ببعض .)(٧١) ، ويرى ابن رشيق أن العرب رأوا حسن نسق كلام الحطيئة جاء من فضل صنعته ، مخالفاً ، في هذا ما يراه الاصمعي في شعر الحطيئة ونمه عنايته بصنعة شعره ، كما رأينا ، بقوله : (حتّى عدّوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض في قوله :

فــلا وأبيــك مــا ظلمتْ قــريــعٌ
بــأنْ يبنــوا المكــارم حيث شــاءوا
.... (٦ أبيات)

وكذلك قول أبي ذؤيب يصف حمر الوحش والصائد .
فوردن والعيُّوقُ مَقعدَ رابيء الضُّرباءِ خَلْفَ النجم لا يتتلّعُ
.... (٨ أبيات)

فانت ترى هذا النسق بالفاء كيف اطرد له ، ولم ينحلّ عقده ، ولا اختل بناؤه ، ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته إيّاه لما تمكن له هذا التمكن .)(٧٢) ، ففي هذا القول تاكيد ما قاله القاضي الجرجاني بشان الطبع المثقف . على أنّ ابن رشيق يرى أن الاستغراق في الصنعة حتى تشمل القصيدة كلها أمرٌ لا يحبذه العرب ويعدّونه عيباً يخالف الطبع الذي هو أساس الابداع الشعري ، يقول : (واستظرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد ، يُستدل بذلك على جودة شعر الرجل ، وصدق حسه ، وصفاء خاطره ؛ فامّا اذا كثر ذلك فهو عيبٌ يشهد بخلاف الطبع ، وإيثار الكلفة ، وليس يتجه البتة أن يتاتّى من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنّعٌ من غير قصد .)(٧٣) ، ولا شك في أن إحكام الشاعر بعض أبيات قصيدته سيؤدي الى تحقيق قدر من الوحدة العضوية تلغي التفاوت ، وتجعل القصيدة أكثر تناسباً في أجزائها .

ولا نريد الاطالة والاتيان بآراء متشابهة تؤكد قبح التفاوت ، وحسن التناسب، على أننا ننهي بحثنا بالاشارة الى رأي قاله ابو بكر الباقلاني (ـ ٤٠٣ هـ)أكد فيه حقيقة التفاوت في الكلام الانساني ، بأنواعه الفنية الثلاثة ، بحسب تقسيمه ، الشعر والرسائل والخطب ، بقوله : (والتفاوت فيه يكثر لانّ التعمل فيه

أقلّ الّا من غزارة طبع أو فطانة تصنع وتكلّف ..)(٧٤) .

فهو ينفي التناسب في الكلام ، عامةً ، غير كلام الله تعالى ، القرآن الكريم الذي بدا ، على كثرته وطوله ، متناسباً في الفصاحة .(٧٥) لذا كان الشعر ، كسائر أجناس الكلام البشري ، متفاوتاً بحسب الاحوال والظروف المؤثرة فيه : (ومتى تاملت شعر الشاعر البليغ رأيتَ التفاوت في شعره ، على حسب الاحوال التي يتصرف فيها ، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى ، فاذا جاء الى غيره قصر عنه ، ووقف دونه ، وبان الاختلاف على شعره ..)(٧٦) ، ويسهب الباقلاني في اثبات حقيقة ما يراه من تفاوت في الشعر عامةً ، مؤكداً تناسب القرآن الكريم وآياته ، ممّا يشمل صفحات طويلة من كتابه . وهو قد أظهر التفاوت في الشعر لاثبات حقيقة تناسب القرآن الكريم وخلوّه من أيّ تفاوت ، لذا كان حديثه عن التفاوت الشعري ليس مقصوداً لذاته ، ممّا جعل قيمته النقدية غير واضحة .

هوامش البحث ومصادره

(١) الاشباه والنظائر للخالديين ، دراسة تحليلية : داود سلمان فرج رسالة ماجستير / كلية الاداب / جامعة بغداد / ١٩٩٩ م : ص ٨٧ ، وانظر الهامش .

(٢) بحث في علم الجمال : تاليف : جان برتليمي ، ترجمة : د . أنور عبد العزيز مراجعة : د . نظمي لوقا . دار نهضة مصر / بالفجالة . ١٩٧٠ : ٢٧ ، ٢٨١ .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري :

طه أحمد ابراهيم . دار الحكمة . بيروت ، د . ت ، ٨ ــ ٢٥ .

(٤) منهاج البلغاء وسراج الادباء : صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني ٦٨٤ هـ تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة . دار الغرب الاسلامي بيروت . ط ٣ . ١٩٨٦ : ٢٠٩ .

(٥) م . ن : ٢٠٩ .

(٦) لسان العرب : ابن منظور ٧١١ هـ . دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٩٥٥ م . مادة (فوت) ٢/٦٩ .

(٧) تبارك (٤) .

(٨) لسان العرب : (فوت) ٢/٦٩ .

(٩) صفوة البيان لمعاني القرآن : (تفسير) الشيخ حسنين محمد مخلوف . وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية . الكويت ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م . ٧٣٥ .

(١٠) البيان والتبيين : لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ) . تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ٥ ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م . ١/٢٠٦ . وانظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : لابي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي ٤٥٦ هـ .

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الجيل . بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٣ . ١ / ١٣٣ .

(١١) الخصائص . لابي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ـ هـ) حققه : محمد علي النجار . دار الهدى للطباعة والنشر . بيروت . ط ٢ ١٩٥٢ م . ٢/٢٨٢ .

(١٢) الشعر والشعراء : لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) . تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر دار المعارف بمصر . ١٩٦٦ م . ١/٧٨ .

(١٣) م . ن : ١/٩٠ .

(١٤) الفحولة مصطلح في نقد الشعر عند العرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة : حمود عبد محمد علي . رسالة ماجستير . كلية الاداب / جامعة بغداد . ١٩٩٤ : ٤٥ .

(١٥) الاصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي : إياد عبد المجيد ابراهيم دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد . ط ١ . ١٩٨٩ م : ٤٦٤ .

(١٦) طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلّام الجمحي ٢٣١ هـ . تحقيق : محمود محمدشاكر مطبعة المدني . القاهرة . ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م : ١/١٢٥ وانظر البيان والتبيين : ١ / ٢٠٦ .

(١٧) البيان والتبيين : ١/٢٠٦ .

(١٨) م . ن : ١/٢٠٦ هامش (٢) .

(١٩) الاغاني : لابي الفرج الأصبهاني (٣٥٦ هـ) تحقيق : عبد الستار أحمد فرّاج . دار الثقافة . بيروت . ١٩٥٩ م . ٢/١٤٣ .

(٢٠) م . ن : ٢/١٤٣ .

(٢١) زهر الاداب وثمر الالباب : لابي اسحاق الحصري القيرواني (٤٥٢ هـ) : مُفصل ومضبوط ومشروح بقلم د . زكي مبارك . حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه : محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة / مصر / ط ٣ ، ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣ م : ١/٢٤١ ــ ٢٤٢ .

وانظر : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء : تاليف : أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ٣٨٤ هـ وقف على طبعه واستخرج فهارسه : محبّ الدين الخطيب . المطبعة السلفية ومكتبتها . القاهرة . ط ٢ ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م : ٢٢٧ .

(٢٣) العمدة : ٢/٢٣٩ .

(٢٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢ هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، وعلي

محمد البجاوي . مطبعة البابي الحلبي . القاهرة . ط ٤ ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م : ٢٥ .

(٢٥) الموشح : ٢٥ .

(٢٦) الشعراء ونقد الشعر منذ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري : د . هند حسين طه . مطبعة الجامعة . بغداد . ط ١ ١٩٨٦ م : ٨١ — ٩١ .

(٢٧) محاضرات الادباء ومحاورات البلغاء : لابي القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهاني ، (٥٠٢ هـ) . دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦١ م : ١ / ٨٩ .

(٢٨) العمدة : ١ / ١٩٣ .

(٢٩) طبقات الشعراء : لابن المعتز (٢٩٦ هـ) . تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف بمصر ط ٢ ، ١٩٦٨ م : ٢٨٦ .

وأخبار أبي تمام : لابي بكر الصولي (٣٣٥ هـ) . تحقيق : خليل محمود عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الاسلام الهندي . المكتب التجاري للطباعة . بيروت . د . ت : ٦٧ .

والموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : لابي القاسم الامدي : ٣٧٠ هـ تحقيق : السيد أحمد صقر . دار المعارف بمصر . ط ٢ ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، ٦/١ .

(٣٠) الموازنة : ١١/١ .

(٣١) الامتاع والمؤانسة . لابي حيان التوحيدي (بعد ٤٠٠ هـ) . تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين ، المكتبة العصرية . بيروت — صيدا د . ت . ١٨٦/٣ .

(٣٢) لسان العرب : (نمط) : ٧ / ٤١٧ .

(٣٣) الموشح : ٢٧٧ .

(٣٤) البديع : لابن المعتز . تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م . ١٦ .

(٣٥) أخبار أبي تمام : ٦٧ .

(٣٦) الموازنة ٣/١ وانظر م . ن ٥/١ .

(٣٧) الوساطة : ١٩ .

(٣٨) م . ن : ٢٢ .

(٣٩) م . ن : ٢٢ .

(٤٠) البيان والتبيين : ٣٢١/١ .

(٤١) العمدة : ٩٠/١ — ٩١ .

(٤٢) البيان والتبيين : ١٦٤/١ هامش (٤) .

(٤٣) م . ن : ١ / ٢٠٦ ، الشعر والشعراء : ٩٠/١ .

(٤٤) الشعر والشعراء : ٩٠/١ .

(٤٥) دراسة لغوية في أراجيز رؤبة والعجاج : د . خولة تقي الدين الهلالي . دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ م : ٢٣/١ ، ٣٦ .

(٤٦) البيان والتبيين : ٢٠٥/١ — ٢٠٦ ، الشعر والشعراء : ٩٠/١ .

(٤٧) البيان والتبيين : ٢٧/١ .

(٤٨) م . ن : ٦٦/١ . وقد أورد الجاحظ بيتاً للغوي ابن الاعرابي فيه نم للتفاوت . انظر م . ن : ٦٨/١ .

(٤٩) م . ن : ٦٦/١ — ٦٧ .

(٥٠) م . ن : ٦٥/١ — ٦٦ .

(٥١) م . ن . ٦٧/١ .

(٥٢) م . ن : ١ / ٦٧ .

(٥٣) الشعر والشعراء : ٩٠/١ .

(٥٤) م . ن : ٩٠/١ .

(٥٥) م . ن : ١ / ٧٥ .

(٥٦) عيار الشعر : لمحمد أحمد بن طباطبا العلوي (٣٢٢ هـ) شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر . مراجعة : نعيم زرزور دار الكتب العلمية . بيروت . ط ١/ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م : ١٣١ .

(٥٧) م . ن : ١٢٩ وانظر م . ن : ١١ ، ١٦ .

(٥٨) م . ن : ٢١ .

(٥٩) م . ن : ٢١ .

(٦٠) م . ن : ٤٤ .

(٦١) م . ن : ٣٧ .

(٦٢) الموازنة : ٢٩٩/١ .

(٦٣) م . ن : ١ / ٢٩٧ .

(٦٤) الوساطة : ٤ .

(٦٥) انظر م . ن : ٤٨ .

(٦٦) ن : ٢٤ .

(٦٧) م . ن : ٢٤ .

(٦٨) م . ن : ٢٥ .

(٦٩) كتاب الصناعتين : لابي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧١ .

(٧٠) م . ن : ٦٣ .

(٧١) العمدة : ١٢٩/١ .

(٧٢) م . ن : ١٢٩/١ — ١٣٠ .

(٧٣) م . ن : ١٣٠/١ .

(٧٤) اعجاز القرآن . للقاضي أبي بكر الباقلاني (٤٠٣ هـ) في هامش : الاتقان في علوم القرآن : لجلال الدين السّيوطي (٩١١ هـ) . المكتبة الثقافية . بيروت . ١٩٧٣ : ١ / ٧ .

(٧٥) انظر م . ن : ٥٢/١ — ٥٣ .

(٧٦) م . ن : ٥٤/١ .

الخصيصة النصية في شعر الخوارج

د . عزمي الصالحي

- ١ -

من الظواهر الملموسة في شعر الخوارج الاختلاف في نسبة كثير من القصائد والمقطوعات الى شعرائها ، او نسبتها الى اكثر من شاعر[١] .

فالقصيدة المنسوبة الى قطري :

لعمـــــرك اني في الحيـــــاة لــــزاهـــد
وفي العيش مـــا لم ألقَ ام حكيم

تختلف المصادر في نسبتها الى ستة شعراء خوارج . وفي الاغاني تفصيل لروايات الاختلاف هذه[٢] .

وقصيدة ابي خالد القناني في الرد على قطري :

لقـــد زاد الحيـــاة الى حبـــا
بنـــاتي إنهن من الضعـــاف

تنسب الى ستة شعراء خوارج اخرين[٣] . ويحسب الباحث ان يذكر ان قصيدة الطرماح المعروفة :

واني لمقتـــاد جـــوادي وقـــاذف
بــــه وبنفسي العـــام احـــدى المقـــاذف

تنسب الى سبعة طرماحين من شعراء الخوارج[٤] . ويصور فشو هذه الظاهرة في شعر الخوارج والفة النقاد والدارسين القدامى لها ما رواه ابو الفرج ، قال : «كان لا يقول احد من الشعراء شعراً الا نسب الى عمران بن حطان لشهرته الا من كان مثله في الشهرة مثل قطري وعمرو القنا »[٥] .

والالحوظة في حكم ابي الفرج هذا ان بعض شعر قطري وعمرو القنا انفسهما وعلى شهرتهما لم يسلم من الاختلاف في نسبته .

وقد تنبه دارسو شعر الخوارج المحدثين على هذه الظاهرة ووقوع الاقدمين فيها ، وفسروها بأنها نتيجة لتشابه الشخصيات الفنية للشعراء الخوارج ، وللتكرار والتشابه في صور شعرهم ومعانيه والفاظه[٦] .

واذا كانت هذه الظاهرة تحرم النص الخارجي من حق الانتساب الى شاعر بعينه ، فانها تمنحه صفة الخارجية المطلقة وخصيصة الانتساب الى النص الخارجي العام .

ومن الظواهر المألوفة للباحث في شعر الخوارج ايضا ان كثيراً من القصائد والمقطوعات والاراجيز والابيات المفردة لا تجد له قائلًا غير مجهول . فكثيراً ما يقع الباحث في تقديم المصادر لهذه القصائد والمقطوعات على نصوص من امثال : « قال شاعر من الخوارج » و « قال احد اصحاب قطري » و « قالت شاعرة من الشراة » . ومن ثم فلا معدى للباحث عن ان يدرس امثال هذه النماذج داخل دائرة النص الخارجي الكبير حيث تكتسب صفتها الخارجية وتجد نسبها .

واذا كان الهدف من قراءة النصوص الشعرية الخارجية تبين الملامح الدقيقة للشخصية الادبية للخوارج ، فان هذا الركام من الاشطار والمقطوعات الصغيرة والابيات المفردة ، منسوبة وغير منسوبة ، ليس بمسعف قطعا برسم الصورة المطلوبة الا اذا نظرنا الى هذه النصوص بصفتها وحدة مجموعة ونصا موحداً .

- ٢ -

ان في الاعتراف بانتماء القصيدة الخارجية الى النص الخارجي العام تمكينا لها من ان تكون ذات دلالات معنوية مضافة تفقدها حين تعيش في خارج حدوده . توضح ذلك قراءة نصوص شعر الخوارج على نحوين : مستقلة ومنتمية . ولا تعني بمستقلة حرمانها من انتماء صاحبها الى فرقة الخوارج ، ولكن نعني قراءتها بعيدة عن الايحاءات والدلالات المشتركة لبناء النص الخارجي العام والمصطلح اللذين يتعذر الوقوع على ايحاءاتهما ودلالاتهما السياسية الدينية الدقيقة إلا منتمين . يقول عمران بن حطان من قصيدة مشهورة :

لقد زاد الحياة الي بغضاً
وحباً في الخروج ابو بلال(٧)

ويدور معنى بيته بل معنى القصيدة حول رغبته في الخروج بسبب حزنه على مقتل ابي بلال الذي اصبحت الحياة بعده ذميمة كريهة لا يطاق العيش فيها .

ويقول الشاعر ابو خالد القناني من قصيدة مؤثرة :
لقد زاد الحياة اليَّ حبباً
بناتي إنهن من الضعاف(٨)

ومعنى هذا النص ، بعيدا عن الايحاءات والدلالات التي تضفيها عليه اجواء النص الخارجي العام ، ان الشاعر ازداد تعلقا بالحياة وحبا لها ، بسبب ضعف بناته وحاجتهن الى من يبقى الى جانبهن يوفر لهن الرعاية ، وخشية ان يعانين البؤس اذا ما فارقهن .

ولكن حين نقرأ النصين منتميين الى النص الخارجي العام ، بكل معطياته ، نكتشف ان هناك حواراً ساخناً بين الشاعرين ، فالاول يبرر فكرة الخروج والانتماء الى منظومة الشراء الفدائية ، تعبيراً عن رفض الجور الذي ذهب ضحيته قائده ابو بلال . وقد اضطر عمران الى هذا التبرير لانه يؤمن اساسا بالقعود ، بل هو رأس القعدة من الصفرية الذين انشقوا على نافع بن الازرق فخالفوه بسبب عدم ايمانهم بضرورة الخروج (الشراء) ، واجازاتهم القعود ، وقد اضطر عمران الى الخروج وممارسة (الشراء) بسبب مقتل ابي بلال الشخصية الخارجية المشهورة غدرا وخديعة . وقصة مقتله واصحابه وهم يصلون معروفة .(٩)

اما ابو خالد القناني فيستمرئ فكرة القعود ويبررها ، معتذراً بوطأة العذر الاجتماعي الثقيل ، وهو اعالته لبناته ، وغياب من يعيلهن سواه مما يسوغ عذره فقهيا ، ويبيح له القعود والتخلف عن الثورة واللحاق بمجموعة (الشراء) .

وهكذا يقدم لنا النص الخارجي المفرد قراءتين صحيحتين اغناهما قراءته ضمن وحدة النص الخارجي العام وفي سياقاته .

وحين نقرأ بيتي حطان الاعسر :
بليت وأبلاني الجهاد وساقني
الى الموت إخوان لنا واقارب
شريتُ فلم أقتلْ ونازلت لم أصَبْ
كذاك صروف الدهر فينا عجائب (١٠) .

نجد ان من اليسير الوقوع على المعنى القريب في القراءة المرسلة . وهو عجب الشاعر ، على عادة الخوارج ، من كونه لم يقتل على الرغم من دوام خروجه وشدة منازلته لاعدائه . ولكن من العسير الوقوع على المعنى الدقيق دون قراءة النص في اجوائه ، واكتشاف ان عجب الشاعر انما كان من سلامته ، على الرغم من مشاركته في عملية فدائية ، من شروطها الا يعود المرء الى منزله او معسكره الا بعد ان يحقق هدف (شرائه) او يموت ، ذلك ان الشراء لا يعني انتظام الرجل في سلك الخوارج ، وانما يعني ، على وجه التدقيق ، انخراط الخارجي في منظومة الشراء الفدائية ، وهو ما لا تكشف عنه النصوص الا مجتمعة حيث ياخذ التركيب سياقه ودلالته المقصودين في ظلال تضافر النصوص على كشف المعنى فمعنى الشراء يتراوح بحسب السياق بين ثلاث دلالات معجمية وقرآنية وسياسية .

وفي سياق هذه القراءة نجد في ما قاله عيسى بن عاتك الخطي معاني مضافة لم يكن من اليسير الوقوع عليها في القراءة المرسلة .
اخاف عقاب الله ان مت راضياً
بحكم عبيد الله ذي الجور والغدر
وأحذر أن ألقى الهي ولم أرغ
نوي البغي والالحاد في جحفل مجر(١١)

وينصرف معنى النص الى ضرورة رفض الجور والمشاركة في مقاومته . لكن قراءة النص في ظل بيئته الطبيعية تضيف الى المعنى عمقاً ، ذلك ان المعنى يتصل بضرورة المشاركة في عملية الشراء ، الذي يصبح فريضة على الشراة ، حين يبلغ الجور غايته ، وهو ما يلزم الشاري بان يلتحق بمجموعة محددة العدد من الشراة تنهض بمهمة الثورة على الجور ، فالنص على ذلك شرح سياسي لموقف الشاعر من الخروج (الشراء) ، قدمه لرفاقه الذين لاموه لانه ذم السلطان ، وتمنيهم على تخلفهم عن الثورة . وهنا يبدو النص موجها الى رفاقه هؤلاء في شان فقهي خاص .

وبسبب من اغفال هذه الحقيقة وغيابها عن منهج البحث نجد دارسي الادب الخارجي وهم قلة قد تورطوا في الحكم على شعر الخوارج بانه غير قادر على ان يقدم لنا صورة عن تفاصيل المذهب الخارجي والخلافات الفقهية التي شجرت بين الفرق الخارجية نفسها وهي كثيرة وواسعة ، وان قصاراه ان يقدم وصفاً لحماسهم وجهادهم وتكراً لمجد ابطالهم ولشهدائهم لا لمبادئهم ومعتقداتهم(١٢) .

ان مايزيد الحاجة الى مثل هذه القراءة للنص الخارجي ما تعرض له ادب الخوارج من ضياع ومصادرة واهمال مقصود حتى ليبدو ما بقي منه اشبه ببقايا تمثال هشيم لم يعد ممكنا ان يشف ، اذا ما نظر اليه مهشما ، عما فيه من معان ولا ان يوحي بما كان فيه من دلالات .

ومن ثم فان بنا حاجة دائمة لجمع ماتجد من كسره وشظاياه ، ووضعها حيث كانت من الأصل ، وصولاً الى الشكل المتكامل الأجزاء . او الى البنية الحية القادرة على ايحاء ما في النص من قوة وجمال وتكامل . وبغير هذه القراءة لن نتعامل الا مع شظايا واشلاء تعسر دراستها .

ان النظرة الى النص الشعري الخارجي على هذا النحو عملية نقدية هدفها اعادة بناء النص وصولا الى فهمه واكتشاف ما فيه من قيم جمالية .

- ٣ -

لاتتجلى وحدة الخصائص الفنية والموضوعية في شعر اية فئة او مصر او بيئة تجليها في شعر الخوارج . وقد عملت وحدة الخصائص هذه ، كما لاحظ كل دارسي شعر الخوارج على خلق التشابه والتكرار فيه . (١٣) ولاشك في ان هذه الظاهرة التي كانت مصدر اضطراب واختلاف في نسبة الكثير من شعر الخوارج قد تكون مصدر ملل ثم

مصدر ضعف . غير ان الامر معها في هذا السياق يختلف ، فظاهرة التشابه والتكرار في الصور والمعاني والافكار والالفاظ والمصطلحات ، في قصائد هذا الشعر ومقطوعاته ، تجعل من قراءة اي نص ، في رحاب النص الخارجي الكبير ، فائدة ومتعة ومعرفة مضافة ، اذا كان من وكد القارىء اكتشاف الينابيع التي تنبثق منها وحدة الظواهر النفسية ووحدة المشاعر واحاسيس الشعور بالذنب وهواجس الصراع مع الزمن ومع الحياة واسباب استعجال الموت والتردد بين الملل من الحياة والتعلق بها ، واذا كان من هم هذا القارىء اكتشاف الدلالات العميقة لهذه النصوص .

ان قراءة النصوص في اجوائها تتيح تلمس وحدة خصائصها ، فتمكن من الفهم الاعمق ، كما تمكن من كشف وحدة التيارات العاطفية والنفسية والفكرية .

فلا يمكن قطعا ان يقع الدارس ، بصدق ووضوح ، على الخصائص الفنوضوعية ، بصفتها ظواهر ناضجة في شعر الخوارج ، مالم يتهيأ له ان يألف الصورة الحية ، العميقة التي لن يقدر على تقديمها غير مجموع ما تبقى من شعرهم ، فليس من اليسير ان يدرك ، الا من خلال هذه الصورة ، ان شعر الخوارج كما يصفه دارسوه صورة كبيرة للتلازم بين الفن والعقيدة ، والتلازم بين الشعر ونقد الحياة ، او انه اصدق صورة ادبية لمذهب ديني سياسي ، او انه مثال تتضح فيه سيطرة وحدة الغايات ووحدة الخصائص ووحدة التيارات النفسية ، من اتفاق على معاني التلوم النفسي عند الشعور بادنى تقصير ، ومن تصوير استطالة الحياة ، ومحاولة التخلص منها وما يمثله هذا من ثورة النزعة الانسانية على غاية الموت التي كانت تطبع الشعر وتكيف الحياة عند الخوارج باللجوء الى ضروب من الخذلان والتعلق بالحياة وتصوير جمالها وما ينشأ عن ذلك من صراع مع الزمن [١٤] .

واذا كانت هذه القراءة كفيلة بان تقدم لنا وحدة الخصائص الخارجية على اتم ما يمكن ان تبدو فيه وحدة فنية او موضوعية ، فانها ايضا تمكننا من الاقتراب من هذا الحوار الخلافي الساخن بين شعب الخوارج المختلفة . . بين القعدة والمقاتلين ، وبين قطري ونقدته ولائميه من جنوده على خططه الحربية ، التي عدوها ضربا من الخذلان والفرار ، فتتيح لنا اكتشاف ما في هذا الحوار من عمق واصالة وتواصل يمنع القطيعة ، وهي مزية اتاحت لنا الوقوع عليها هذه القراءة . فعلى المستوى الشعري لم يبلغ ما بين الشعراء من قطيعة ونفرة مابلغه الانشقاق في صفوف مقاتلي الخوارج ، اذ مكن تواصل الحوار الشعري من الاكتفاء بالتلاوم والنقد والتذكير والمناشدة والاعتذار بل من العودة الى الالفة ورأب الصدع والوئام والالتحام احيانا [١٥] .

واذا كانت قصيدة ابي خالد القناني ــ كما علمنا ــ ردا غير مباشر ، في هذا الحوار الساخن . على عمران بن حطان ، فانها في الحقيقة رد مباشر على قطري الذي كتب الى ابي خالد يتعيب سيرته القاعدة ويقول له :

ابــا خــالــد يــاانفــر فلست بخــالــد
ومــا جعــل الــرحمن عــذرا لقــاعــد

اتــزعم ان الخــارجي علــى الهــدى
وانت مقيم بين لص وجــاحــد [١٦]

فرد عليه ابو خالد يعتذر عن قعوده وعدم مشاركته في الخروج ويبررهما بضعف بناته وتعلقهن به كلما هم بالخروج :

لقــد زاد الحيــاة الى حبــا
بنــاتي انهن من الضعــاف
مخــافــة ان يــرين البؤس بعــدي
وان يشــربن رنقــا بعــد صــاف
وان يعــرين ان كسي الجــواري
فتنبــو العين عن كــرم عجــاف
وان يضطــرهن الــدهــر بعــدي
الى جلف من الاعمــام جــاف
فلــولاهن قــد ســومت مهــري
وفي الــرحمن للضعفــاء كــاف
تقــول بنيتي اوص المــوالي
وكيف وصــاة من هــو عنــك جــاف
ابــانــا من لنــا ان غبت عنــا
وصــار الحي بعــدك في اختلاف [١٧]

غير ان ابا خالد ، على اثر هذا الحوار ، راجع نفسه فقرر معاودة الخروج ومشاركة قطري في الثورة .

ونجد قطريا طرفا رئيسا في هذا الحوار الذي يقدمه النص الخارجي الكبير فهو يكتب الى سبرة بن الجعد ، يلومه على ماوقع فيه من خذلان وما قارف من ذنب ، بنكوصه واباحته لنفسه مجالسة الحجاج ومسامرته ، تاركا اصحابه الخوارج يجالدون فرسان المهلب وحدهم :

لشتــان مــابين ابن جعــد وبيننــا
اذا نحن رحنــا في الحــديــد المظــاهــر
نجــالــد فــرســان المهلب كلنــا
صبــور على وقــع السيــوف البــواتــر
وراح ابن جعــد الخيــر نحــو اميــره
اميــر بتقــوى ربــه غيــر آمــر
فــراجــع أبــا جعــد ولاتــك مُغضيــا
على طلمــة أعشت جميــع النــواظــر
وتب تــوبــة تهــدي اليــك شهــادة
فــانــك ذو ذنب ولست بكــافــر
وســر نحــونــا تلق الجهــاد غنيمــة
تفــز ابتيــاعــا رابحــا غيــر خــاســر [١٨]

ونجد سبرة حين تبلغه قصيدة قطري يشعر بالندم ويبكي ويركب جواده ويلحق بالازارقة تاركا للحجاج قصيدة يخبره فيها بعودته الى سيرة الخوارج :

فمن مبلــغ الحجــاج ان سميــره
قلى كــل دين غيــر دين الخــوارج
رأى النــاس الامن رأى مثــل رأيــه
مــلاعين تــراكين قصــد المنــاهــج

يســائلني الحجــاج عن امــر دينــه
وليس هــواه للصــواب بــواشــج
فيــاليتني اذ امكنتني فــرصــة
فتكت بــه فتك امرىء غير نــافج
فقد كدت لولا الله أن امزج الهدى
هـدى الحق من قلبي بمذقة مازج[19]

- ٤ -

في قصيدة مراجعة ونقد ذاتي طويلة . يعد الشعراء الخوارج اول من استخدم المصطلح السياسي والديني في شعر السياسة العربي .

ووحدة هذا المصطلح ودلالته ضروريتان غاية الضرورة لفهم شعر الخوارج وغاياته السياسية والدينية بالدقة المطلوبة . ومن الفة النصوص الشعرية الخارجية نتبين انه يعسر على هذه الوحدة وهذه الدلالة لن تتحقق الا من خلال وحدة النص الخارجي . فالكلمة المصطلح عند الشاعر الخارجي تكتسب طعمها ولونها ودلالتها السياسية الدينية الدقيقة من صلتها بالنص الخارجي وانتمائها اليه .

وهي ، خارج هذا النص ، مفهومة موفية بمعناها المعجمي العام احسن ايفاء . غير انها ، اذا مافهمت فهما خاصا ، ذات لون آخر ودلالة اخرى . فمعناها في القراءة الخارجية يأتي مقيسا الى معنى مثيلاتها في النصوص الخارجية الاخرى فيكتسب دلالته ووضوحه .

فألفاظ الفوز والاقامة والسعادة والشقاء والنفور والتحكيم والاقامة والمحلين والشراء والظهور والكتمان والدفاع والبيع والثمن والربح والخسارة والمراوغة والمفاراة والرديء والتحيز ومثيلاتها ذات دلالات خاصة ، اذا ماقرئت في سياقات النص الكبير . وهي بخلاف ذلك ، اي في النص الشعري الخارجي المرسل ، ذات دلالات معجمية حقيقية واضحة ، لكنها ليست دلالاتها المقصودة سياسيا ودينيا . بل هي ، خارج سياق هذا النص ، ذات معنى يستوي فيه الشعر خارجيا وغير خارجي . واذا كان من اهداف القراءة الجادة تحري المعنى الدقيق ، فانه لابد من التعامل مع شعر الخوارج على النحو الذي يحقق المعنى المطلوب . ذلك ان من الاشكالات التي قد تسفر عنها قراءة النص الخارجي ، منفيا عن بيئته ، سقوط المعنى وانهيار النص . فمعنى مصطلح (التحكيم) مثلا في النص الخارجي يستغلق على الفهم ، بل هو يوحي بخلاف معناه المطلوب ، اذا قرىء بعيداً عن اجوائه :

ولم أنسهم يــوم الخميس وكــرهم
عليه ويوم القصر اذا حرس القصر[20]
ودفعهم الجعــدي اذ يطــردونــه
وأدركـــه التحكيم والقصب السمــر

فالتحكم هنا غير ذلك التحكيم الذي اقترحه معاوية في صفين بالرجوع الى النص القرآني في الخلاف المعروف . فالمرادبه ، في هذا السياق على وفق المصطلح السياسي الخارجي ، تلاوة قسم الثورة وترديده ثم الانخراط في مسلك منظومة الشراء . ويتعذر فهم المعنى على غير هذا الوجه . ولن يتم ذلك الا بقراءة النص في اجوائه . بل انه ليتعذر الفهم الصواب لقول ابي نواس في الخمرة بعيداً عن الدلالة الخارجية للمصطلح :

فكــاني ومــا أزيّن منهــا
قعــدي يــزيّن التحكيمــا[21]

كلّ عن حمله السلاح الى الحرب فاوصى المطيق الا يقيما

فالتحكم في هذا السياق هو الدعوة الى الخروج مع رفض التحكيم بمعناه المعروف المقترح المذكور ، يؤكد هذه الدلالة ويفسرها البيت الثاني :

وما يقال في مصطلح (التحكيم) في هذا النص يقال في مصطلح (يقيم) فيه . واذا كان معنى المصطلح على هذا النحو من الدلالة الخاصة فانه من اليسير ان نفهم معنى ما يرمي اليه الشاعر شبيل بن عزرة حين يقول :[22]

حمــدنــا الله ذا النعمــاء انــا
(نحكّم) ظــاهــرين ولانبــالي
بــزعم الحــاسدين لنــا وكنــا
نســر الــدين في الحَجــج الخــوالي

ان من مسوغات اقتراح هذا النمط من القراءة توخي أمن اللبس ، ذلك ان قسما من المصطلحات الخارجية التي تحمل دلالتين عامة وخاصة والتي يمكنها ان تقدم قراءتين احداهما اعمق . . اقول ان قسما من هذه المصطلحات ذو دلالتين ضدين . ومثاله مصطلح (حكم) و (التحكيم) اللذين يستعملهما شعراء الخوارج بدلالتيهما الضدين بحسب السياق . ومثال الاولى نجده في مامر من نصوص . اما مثال الثانية فنجده في قول الشاعر :

فتيــة تعــرف التخشــع فيهم
كلهم (حكمّ) القــران غــلامــا[23]

وقول الشاعر :

ينــادون بــالتحكيم للــه إنهم
رأوا حكم عمرو كالرياح الهــوائج[24]

وقول الشاعر:

(فحكّم) في كتــاب الله عمــرا
وذاك الاشعــري أخــا الضــلال[25]

والامثلة على استعمال المصطلح في هذه الدلالة المعجمية كثيرة .

والظاهرة الحرية بالملاحظة شيوع المصطلح (حكم) ومشتقاته ، بدلالته الخارجية ، في مصادر الادب والتاريخ القديمة ، مما يؤكد الفة المؤرخين والكتاب لهذه الدلالة . فكثيراً مايقع القارىء في تلك المصادر على عبارات من مثل ماجاء في انساب الاشراف . . . « انشد الزبير بن علي في بيته مرثية للخوارج فبكى وقال لاصحابه السلام عليكم والله لا اتاخر عن اخواني بعد يومي هذا الامكرها ، فخرج في يوم الجمعة (فحكم) عند مسجد

الحرورية بالبصرة » . وما جاء فيه [٢٦] من ذكر حوار دار بين نافع وابي الوازع حول الخروج : « . . اجابه نافع كلا يا أبا الوازع ولكني اطلب الفرص فرويدك يجتمع ملأ اصحابك . قال ابو الوازع كلا ان في غدو الموت ورواحه ما يعجلني ، فاخاف معه فوت مااريد . . . ثم اشترى سيفا فحكم) » . وتفصيل الخبر في الكامل [٢٧] يمضي على هذا النحو : « . . مضى (ابو الوازع) فاشترى سيفا واتى صيقلا كان يذم الخوارج . . فشاوره في السيف فحمده ، فقال : اشحذه ، فشحذه ، حتى اذا رضيه (حكّم) وخبط به الصيقل . . »

ولعل هذا الاثر ماحدا بالاستاذ احمد امين ان يوسع حدود النص الشعري الخارجي فيعد ماقاله المسلمون من شعر في الخوارج ردا عليهم ومناقضة لهم ووصفا لحروبهم معهم نصا خارجيا او ادبا خارجيا[٢٨] .

ويدور حول هذا الرأي ويصاقبه ما راه الاستاذ احمد الشايب من ان للخوارج اثراً اخر في الشعر السياسي فقد حملوا غيرهم على قول الشعر هجاء لهم ومناقضة . او في سبيل حربهم ومناهضتهم الى نحو ذلك مما كان صورة حية لاصطدام العواطف واختلاف السياسة والرأي [٢٩] .

ان النظر الى النص الخارجي في اجوائه ضمن النص العام لايتيح لنا قراءة غنية وممتعة حسب وانما هو ضرورة تقتضيها دراسة الشعر دراسة صحيحة للاسباب الفنية التي عرفناها ، فضلاً على ان ماتبقى من شعر هؤلاء قليل لايمكن ان يقدم لنا الصورة المطلوبة لفهم الخوارج وعقيدتهم الا على هذا النحو من القراءة .

نحن اذا بازاء حقيقة ان النص الخارجي الحيوي يتمثل بهذا المجموع المنظم لشعر الخوارج عامة حيث تتجلى شخصيتهم الفنية ، وان شعر الشاعر منهم ينتمي الى حقيقة شعر الخوارج ومنها يكتسب خصيصته الخارجية ، وان الخصيصة النصية غير متوافرة بصورة وافية وكاملة في شعر شعرائهم فرادى .

الهوامش

١) مثال ذلك ما جاء في انساب الاشراف .
« . . . وانشدني ابو الكردي الاباضي لعمران بن حطان او سعيد بن مسجوح . لقد زاد الحياة اليّ بغضا . . . الابيات » .
البلاذري ، احمد بن يحيى (ـ ٢٧٩ هـ) بانساب الاشراف ، ط . القدس ١٩٧٤ ج ٤ قسم ٢ ، ص ٨٩ .

٢) الاصفهاني ، ابو الفرج ، علي بن الحسن ، الاغاني ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٢٧ - ١٩٦١ ، ص ٩ ، ١٤٧ ، و (الساسي) ، القاهرة ، ١٣٢٢ هـ ، ص ٦/ ٢ ، ٥ ، ١٥١ ، المبرد ، ابو العباس ، محمد بن يزيد ، (٢١٠ ـ ٢٨٥هـ) ، الكامل في اللغة والادب ، تحقيق الدكتور زكي مبارك واحمد محمد شاكر ، مطبعة الحلبي ، مصر ، ١٩٣٧ ، ص ١٠٤٧ ، ٣٣١ ، انساب الاشراف ، ٢ / ٨٨ ـ ٨٩ ، ابن ابي الحديد ، عز الدين عبد الحميد ، شرح نهج البلاغة ، دار احياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٢٩ هـ ، ص٥ ، ١٠٤ - ١٠٦ ، البياسي ، يوسف بن محمد (ـ ٦٥٤ هـ) ، الاعلام في الحروب الواقعة في صدر الاسلام ، (مخطوطة دار الكتب) برقم (تاريخ ٣٩٩ ، ورقة ٧٤ ب ، ابن الشجري ، هبة الله بن علي (ـ٥٤٢ هـ) ، الحماسة الشجرية ، دمشق ، ١٩٧٠ ، ص٥٨ ، ٥٩ ، البصري ، صدر الدين بن ابي الفرج ، الحماسة البصرية ، حيدر اباد الدكن ، الهند ، ط١٩٦٤ ، ص١ ، ٧٨ .

٣) شرح النهج ، ص ٥ ، ٩٢ ، الحماسة البصرية ، ص ١ ، ٢٧٣ ، الاغاني (دار الكتب) ، ص١٦ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، الكامل ، ص ٨٩٥ ، المرزباني ، محمد ابن عمران ، ط القدسي ، مصر ، ١٣٥٤ هـ ، ص٢٥٨ ، ابو تمام ، حبيب بن اوس الطائي ، الوحشيات (الحماسة الصغرى) تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ ، ص ٩٠ ، د . احسان عباس ، ديوان شعر الخوارج ، دار الشروق ، ط ٤ ، ١٩٨٢ ، ص ٧٢ .

٤) ديوان الطرماح بن حكيم الطائي ، تحقيق فريتس كرنكو ، ليدن ، ١٩٢٧ ، المقطوعة (٣٥) ، ديوان الطرماح بن حكيم ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ، ١٩٦٨ ، ص٣٣٣ ؛ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، ليدن ، ١٩٠٢ ، ص٣٧٣ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، دار احياء الكتب ، مصر ، ١٩٢٨ ، ص ٢ / ٣٠٧ ، الاغاني ، ١٢ / ٤٤ ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، دار احياء الكتب ، ١٩٤٩ ، ص ٦٣٣ ، ابن عبدربه ، احمد ابن محمد الاندلسي ، العقد الفريد ، مطبعة الاستقامة ، مصر ، ١٩٤٠ ، ص ٣/ ١٧٧ ، شرح النهج ، ص ١/ ٣٢٠ .

٥) الاغاني ، ١٦ / ١٥٦ .

٦) احمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ، ص١٧١ . ديوان شعر الخوارج ، ص ٢٠ ، الدكتور النعمان القاضي ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣ ، ص٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، الخوارج في العصر الاموي ، الدكتور نايف محمود معروف ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٢٨٦ ، الدكتور شوقي ضيف ، الادب العربي ، العصر الاسلامي ، ط ٥ ، مصر ، ١٩٧٢ ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

٧) انساب الاشراف ، ج ٤ / ق ٢ : ٨٩ ، الكامل ٨٩٦ ، شرح النهج ، ١ / ٤٥٠ ، البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزانة الادب ، بولاق ، مصر ، ١٢٩٩هـ ، ٢ / ٤٣٩ .

٨) الكامل ، ص ٩٩٢ ـ ٩٩٣ ، شرح النهج ، ص ٥ / ٨٥ ، العقد الفريد ، ص ١ / ٢٦٥ ، ٢ / ٣٩٩ .

٩) الكامل ، ص ٩٩٤ - ٩٩٧ .

١٠) انساب الاشراف ، ٢ / ٧٥ .

١١) انساب الاشراف ، ج ٤ / ق ٢ : ٩٥ .

١٢) الدكتورة سهير القلماوي ، ادب الخوارج ، مصر ، ١٩٤٥ ، ص ٤٣ ، ٤٦ ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، ٤٥٤ ، ٤٦٢ ، الخوارج في العصر الاموي ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

١٣) ديوان شعر الخوارج ، ص ٢٢ ؛ تاريخ الشعر السياسي ، ص ١٧٣ ؛ تاريخ الادب العربي (العصر الاسلامي) ، ص ٣٠٦ ، الخوارج في العصر الاموي ، ص ٢٨٦ ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٦٢٦ .

١٤) ديوان شعر الخوارج ، ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ادب الخوارج ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، تاريخ الشعر السياسي ١٦٨ ، ١٦٩ ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ .

١٥) تاريخ الادب العربي (العصر الاسلامي) ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، الفرق

الاسلامية في العصر الاموي، ص٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩ .
١٦) الكامل، ص ٨٩٥، الاغاني، ص ١٦ / ١٥٥ ، شرح النهج، ص ٥ / ٩٢ ، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، المزهر في علوم اللغة وانواعها، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٨، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
١٧) المصادر المذكورة في الهامش رقم (٣) نفسها .
١٨) المسعودي، مسلم بن الحجاج، مروج الذهب، مطبعة السعادة، ط ٣، مصر، ص ٥ / ٣١٥ - ٣١٦، ابن اعثم الكوفي، احمد بن عثمان، كتاب الفتوح (مخطوطة)، (اسطنبول)، رقم (٢٩٥٦)، ورقة ٢ / ٨٠ .
١٩) مروج الذهب، ٥ / ٣١٦ - ٣١٧ ؛ فتوح ابن اعثم، ٢ / ٨٠ أ - ٨٠ ب .
٢٠) انساب الاشراف، مخطوطة ٢ / ٣٦٩ ؛ العيون والحدائق في اخبار الحقائق، مؤلف مجهول، ط ليدن، ١٨٥٣، ج ٣ ص ١٦١ .
٢١) الكامل : ص ٨٦٦، ٨٦٧ .
٢٢) انساب الاشراف (مخطوطة)، ٢ / ٣٦٩ .
٢٣) انساب الاشراف (مخطوطة)، ٢ / ٢٣١ .
٢٤) فتوح ابن اعثم، ٢ / ورقة ٨٢ أ و ٨٢ ب .
٢٥) المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، باريس، ١٩١٩، ص ٥ / ١٣٧ .
٢٦) يراجع انساب الاشراف، (مخطوط)، ١٠ / ٣٩٨ .
٢٧) الكامل، ص ١٠٢٢ .
٢٨) احمد امين، ضحى الاسلام، مصر، ١٩٤٩، ص ٣٤٦ .
٢٩) تاريخ الشعر السياسي، ص ١٧١ .

مصادر البحث ومراجعه

- ابن ابي الحديد عز الدين عبد الحميد، شرح نهج البلاغة دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٣٢٩ هـ .
- ابن اعثم الكوفي، احمد بن عثمان، كتاب الفتوح (مخطوطة) اسطنبول، رقم (٢٩٥٦) .
- ابن الشجري، هبة الله بن علي، الحماسة الشجرية، دمشق ١٩٧٠ .
- ابن عبد ربه، احمد بن محمد الاندلسي، العقد الفريد، مطبعة الاستقامة، دار المعارف، مصر، ١٩٤٠ .
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ليدن، ١٩٠٢ .
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الاخبار، دار احياء الكتب العربية، مصر ١٩٢٨ .
- ابو تمام، حبيب بن اوس الطائي، الوحشيات (الحماسة الصغرى) تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣ .
- احمد امين، ضحى الاسلام، مصر، ١٩٤٩ .
- احمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، ط ٤، مصر، ١٩٦٦ .
- احسان عباس، (الدكتور)، ديوان شعر الخوارج ط ٤، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢ .
- الاصفهاني، ابو الفرج، علي بن الحسين، الاغاني، دار الكتب، ١٩٢٧ - ١٩٦١ والساسي، ١٣٢٢ هـ، ويحسب الاشارة .
- الاصفهاني، ابو الفرج، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٩٤٩ .
- البصري، صدر الدين بن ابي الفرج، الحماسة البصرية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٤ .
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الادب، بولاق، مصر، ١٢٩٩ هـ .
- البلاذري، احمد بن يحيى، انساب الاشراف، القدس، ١٩٧٤، والمخطوطة، اسطنبول، رقم (٥٩٨)، ويحسب الاشارة .
- البياسي، يوسف بن محمد، الاعلام في الحروب الواقعة في صدر الاسلام، (مخطوطة) دار الكتب بمصر، رقم (٣٩٩) .
- ديوان الطرماح بن حكيم الطائي، تحقيق فريتس كرنكو، ليدن، ١٩٢٧ .
- ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق الدكتور عزة حسن، دمشق، ١٩٦٨ .
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، المزهر في علوم اللغة وانواعها، دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٩٥٨ .
- سهير القلماوي (الدكتورة)، ادب الخوارج، مصر، ١٩٤٥ .
- شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ الادب العربي، العصر الاسلامي، ط ٥، مصر، ١٩٧٢ .
- المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والادب، تحقيق د. زكي مبارك واحمد محمد شاكر، مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٣٧ .
- المرزباني، محمد بن عمران، معجم الشعراء، طبع مكتبة القدسي، مصر، ١٣٥٤ هـ .
- المسعودي، مسلم بن الحجاج، مروج الذهب، ط ٣، مطبعة السعادة .
- المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، باريس، ١٩١٩ .
- مؤلف مجهول، العيون والحدائق في اخبار الحقائق، ليدن، ١٨٥٣ .
- النعمان القاضي (الدكتور)، الفرق الاسلاميه في الشعر الاموي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣ .
- نايف محمود معروف (الدكتور)، الخوارج في العصر الاموي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٧ .

معالم اسلوبية عند ابن الاثير من كتاب المثل السائر

د . احمد قاسم الزمر
كلية اللغات ـ جامعة صنعاء

تمهيد :

البلاغة من وسائل الكتابة ، وعندما يتحدث ابن الاثير عن الكتابة في كتاب بلاغي نقدي ككتاب المثل السائر ، انما يهدف الى ان الكتابة هدف من اهداف تعلم البلاغة ولازم من لوازمها ، واذا كان الهدف من تعلم النحو تقويم اللسان ، فإن الهدف من تعلم البلاغة تقويم اللسان والقلم معاً .

ولهذا كانت الكتابة معلماً مهماً من معالم الاسلوبية . وان الاسلوبية في أبسط تعريف لها هي تحليل لغوي موضوعه الاسلوب ، وشرطه الموضوعية ، وركيزته الالسنية .

ولكون الكتابة معلماً اسلوبياً باعتبارها تحليلاً لغوياً يعتمد على الموضوعية الالسنية فإن ثلاثة أركان من أركان الكتابة عند ابن الاثير تعد من اسس التحليل اللغوي الذي ترتكز عليه الاسلوبية .

فالركن الاول : وهو الركن الثالث عند ابن الاثير ان يكون خروج الكاتب من معنى الى معنى برابطة لتكون رقاب المعاني آخذة ببعضها البعض ، وهو ركن يشترك فيه الكاتب والشاعر .

وليس من معنى لهذا الكلام الا ان يكون الاسلوب معاني مرتبة في الذهن تتبعها الفاظ منسقة ، اي ان الاسلوب يتكون من عنصرين الفاظ ومعان ويرتكز على قاعدتين :

١ ـ الافكار في عمقها وكثافتها .

٢ ـ المفردات في انتقائها وتراكيبها[١] .

وترابط المعاني يعني ترابط الالفاظ لان الالفاظ تابعة للمعاني والبلاغة كما يقول : الامام عبد القاهر الجرجاني هي توخي معاني النحو[٢] وحسب رواد البلاغة العربية من عبد القاهر الى ابن الاثير إنهم أتقنوا الكليات الاساسية التي تقوم عليها اليوم (معالم الاسلوبية) ، فاتقنوا دراسة الجملة بشقيها الخبري والانشائي ، وأتقنوا كذلك أساليب الخطاب العربي الادبي والعلمي ، كما أتقنوا الى حد كبير دراسة الصورة الشعرية ، من

مجاز واستعارة وكناية وغيرها مما يعد من مباحث البلاغة الاساس المنهجي للاسلوبية .

الركن الثاني : وهو الركن الرابع عند ابن الاثير ان تكون الفاظ الكاتب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال ، ولا أريد بذلك ان تكون الفاظاً غريبة فان ذلك من العيوب التي تقدح في بلاغة الكلام ، وهكذا الاسلوبية فإن معالمها ان تكون الالفاظ المنتقاة ، ومختارة اختياراً يلائم ذوق السامعين ، وهكذا نصت البلاغة العربية على ان شرط فصاحة المفرد ان يكون خالياً من الغرابة والا يكون مبتذلاً .

وهذا شرط اسلوبي بلاغي ، فليس من البلاغة ولا من اساليبها الادبية ان تكون اللفظة المفردة قلقة في سياقها التركيبي تؤذي مسامع المتلقي إما بغرابتها أو بابتذالها وكثرة ترددها على ألسنة السوقة والبائعين .

الركن الثالث من أركان الكتابة : يتضمن معاني القرآن الكريم .. فللقرآن حلاوة في ذوق المتذوقين للعربية ، وهو معدن الفصاحة والبلاغة ، وبقدر تمكن الكاتب من سلوك هذا المسلك والافادة من معاني القرآن يكون قد سلك اسلوباً في البلاغة راقياً ، فإن منهج القرآن في اختيار الكلمات ، ووضعها الموضع اللائق في سياق دلالتها ، منهج دونه خَرْطُ القَتَاد .

واذا كان قد تقرر ان من معالم الاسلوبية قراءة النص وتحليله لغوياً ، فإن الافادة من معاني القران ، وتوظيف مفرداته في سياق تلك المعاني يدلان دلالة واضحة على ان الكاتب قد استوعب النص القرآني واحسن قراءته وتذوقه وهذا التذوق دليل النضج المعرفي بقواعد العربية نحوها وصرفها ومعاجمها واجراس كلماتها وتراكيب جملها .

ويعدُّ ابن الاثير تحليل النص القرآني والحديث النبوي والقصائد او الابيات الشعرية من اهم الوسائل المعينة على الكتابة ؛ فقارىء هذه النصوص محتاج الى ان يتسلح بسلاح اللغة ويمتلك الحس النقدي البصير[٢] .

ولا يتوقف ضياء الدين عند هذا الحد من الحديث عن الكتابة وأركانها وأهميتها في قراءة النص الادبي وتحليله وتعلم الكتابة الاسلوبية ، بل يضع نموذجاً لتعلم المعالجة الاسلوبية عند قراءة النصوص الشعرية ولذلك قسم تحليل النصوص الشعرية الى ثلاث مراتب :

١ ـ مرتبة أدنى .
٢ ـ مرتبة وسطى .
٣ ـ مرتبة أعلى .

الاولى : هي نثر النص بلفظه دون زيادة او نقصان وهذا ليس من الاسلوبية في شيء ، وقد استكرهه ابن الاثير وعده من عيوب الكتابة الادبية .

الثانية : وهي ان ينثر المعنى المنظوم ببعض الفاظه ، وينصرف عن البعض بالفاظ اخرى وهذا اسلوب في الكتابة والتحليل لكنه لا يرقى الى مستوى البلاغة والاسلوبية .

الثالثة : وهي ان يؤخذ المعنى فيصاغ بالفاظ وهنا كما يقول ابن الاثير يتبين حذق الصائغ في صياغته ويعلم مقدار تصرفه في صناعته ، وهذا نوع من الصياغة الاسلوبية ومعلم من معالمها فإن قارىء النص في هذه المرتبة إما ان يزيد على المعنى الذي يحمله النص فتلك مرتبة عالية من الصياغة والتحليل وان لم يستطع الزيادة فقد أحسن التصرف وأتقن التأليف فيكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الاول وهذا ما نسميه بالقراءة الاسلوبية للنص وضرب لذلك مثلاً بقول المتنبي :

ان القتيل مضرجاً بدموعه
مثل القتيل مضرجاً بدمائه[١]

قرأ ابن الاثير هذا البيت هكذا : دمع المحب ودم القتيل متفقان في التشبيه والتمثيل ولا تجد بينهما بوناً الا أنهما يختلفان لوناً[٢] .

وهذا نموذج راقٍ للتحليل الاسلوبي ، حيث لم يتقيد الكاتب بنص المبدع بل أخذ المعنى وصاغه بالفاظ تدل على النضج المعرفي بقواعد اللغة ، والعمق باساليب الكتابة .

ولم يفت ابن الاثير في مبحثه هذا ان يرشد الكاتب الى ما يكون به كاتباً اسلوبياً عميقاً غزير المعاني معسول الالفاظ ، وذلك بإشارة الى الخطوات الاتية :

١ ـ حفظ الدواوين الشعرية ذوات العدد .
٢ ـ نثر الشعر بالفاظه او باكثرها كي يتدرب على الكتابة بالفاظ شعرية وإن كانت مستعارة .
٣ ـ أخذ المعنى من ذلك النص الذي حفظه ، وصياغته بالفاظ وعبارات من عنده وتلك خطوة جديدة تقربه من مستوى الكتابة الاسلوبية .
٤ ـ ان يواصل الصعود في سلم الترقي الكتابي باخذ المعنى ويكسوه ضروباً من العبارات الادبية[١] .

وبهذه الخطوات والادمان على الكتابة والاستمرار فيها مدة طويلة من الزمن يحصل لخاطرك لقاح فيستنتج من النص المقروء معان غير تلك المعاني التي استنتجها في القراءة الاولى .

والعمل بهذه الارشادات ، وسلوك تلك الخطوات ليس الا طريقاً الى نشأة كاتب مبدع يجمع بين الموهبة والصنعة ، يجتمع في أسلوبه الجمال المعرفي ، وجمال التذوق الفني للنصوص ، وهما مبدءان او معلمان أساسيان من معالم الاسلوبية في مفهومها الحديث .

وهل الاسلوبية الا تتبع القيم التعبيرية في النص لكشف قيمة الجمالية ؟ كما يقول الاسلوبيون[٧] ومن ثم فان الكاتب الاسلوبي يحتاج الى ثقافة مزدوجة لغوية وأدبية علم وذوق ولهذا كانت الكتابة معلماً من معالم الاسلوبية عند ابن الاثير ليس في جانبها النظري فحسب ، بل في جانبها التطبيقي كذلك فقراءة النصوص وتحليلها أدبياً هو التطبيق العلمي لركائز الاسلوبية في مستوياتها المختلفة إفراداً وتركيباً وإيقاعاً وتصويراً .

وسوف أتناول في هذا البحث موضوعين على صلة وثيقة بالمنهج الاسلوبي :

١ ـ السياق الدلالي للكلمة العربية مفردة ومركبة .

٢ ـ المعالم الاسلوبية في كتاب المثل السائر .

١ ـ السياق الدلالي للكلمة العربية مفردة ومركبة .

تعريف :

نظرية السياق هي إحدى نظريات تعريف المعنى في الدراسات اللغوية الحديثة ، ومؤسس هذه النظرية في إطارها التاريخي المعاصر هو اللغوي الانجليزي المشهور (فيرث) (FIRTH) وترتكز هذه النظرية على اساس ان معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة ، ولهذا يؤكد (فيرث) بأن المعنى لا ينكشف الا من خلال تسييق الوحدة اللغوية اي وضعها في سياقات مختلفة .

وعلى هذا الاساس فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها تلك الكلمات .

بيد أننا نقرأ في كتاب دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ كلاماً ليس بمنأى عن نظرية السياق هذه يقول فيه :

واعلم انك اذا رجعت الى نفسك علمت علماً لا يعترضه شك نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلّق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك[٨] ولا معنى لهذا الكلام سوى تاكيد الامام عبد القاهر على اهمية السياق في إبراز دلالة اللفظة المفردة او الجملة المركبة .

ودراسة السياق جانب من جوانب الاسلوب اكده علماء البلاغة ، وأرباب البيان وأبرزه بشكل خاص ابن الاثير في المثل السائر حيث أفرد له مقالة خاصة بعنوان (الصناعة اللفظية) .

وقسم هذه المقالة الى قسمين :

أولاً : الالفاظ المفردة :

وقد عالج ابن الاثير كل قسم على حدة معالجة أسلوبية ظهرت معالمها في قراءاته للنصوص الشعرية والنثرية ولا سيما النصوص القرآنية التي أوردها بإسهاب في كل قسم .

وقد استهل القسم الاول بذكر ثلاث ركائز أساسية لا غنى عنها للكاتب والشاعر والخطيب ، وهي من أسس نظم الكلام الادبي عند ابن الاثير وهذه الركائز هي :

١ ـ اختيار الالفاظ المفردة .

٢ ـ نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها .

٣ ـ الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف انواعه .

وهذه الركائز في الواقع ركائز مترابطة لا غنى لأي نص أدبي عنها وإلا لم يكن نصاً أدبياً .

وهذه الاسس مجتمعة هي الاصل في تأليف الكلام من الشعر والنثر .

وقد برهنّ ابن الاثير على اهمية اللفظ المفرد في السياق التعبيري من خلال التوضيح الذي أبرزه في عدد من النصوص القرآنية والشعرية واكتفي هنا بالاشارة الى عدد من النصوص ليتضح لقارىء كتاب المثل السائر كيف اوضح ابن الاثير معالم الاسلوبية فيه .

ففي قوله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)[٩] وقوله تعالى : (رب إني نذرت لك ما فيّ بطني محرراً)[١٠] فرق ابن الاثير بين دلالة كل من البطن والجوف في الايتين . ومع ان اللفظين بمعنى واحد وعلى وزن واحد ، تتفق حروفهما من حيث العدد بيد ان السياق فرض استعمال الجوف في الاولى والبطن في الثانية ، ولا يصح أسلوبياً استعمال احداهما مكان الاخرى .

ويرى ابن الاثير ان عظمة القرآن الكريم تتمثل في براعة اسلوبه وتفوقه على أساليب أرباب الصناعة اللفظية قاطبة فإن تركيب أساليبه هو الذي يجعل لالفاظه هذا الحسن القاهر وهذا الجمال الباهر[١١] .

وقد يقول قائل ان الامر ظاهر فموضع القلب يختلف تماماً عن البطن الذي هو موضع الحمل فما الجديد الذي اضافه ابن الاثير ؟

والجواب عن ذلك من وجهين :

الاول : ان كلمة الجوف كلمة عامة تدل على وسط الشيء فهي تشمل البطن وغيره وقد قال في القاموس البطن جوف كل

شيء[١٢] فموضع القلب وهو الصدر جوف فلو قال في الاية الثانية (رب إني نذرت لك ما في جوفي محرراً) لم يخرج عن نطاق الدلالة اللغوية .

لكن التذوق الفني ، والدقة الاسلوبية يمنعان الاستعمال ولذلك عدل القرآن عن استعمال الجوف مكان البطن والبطن مكان الجوف .

الاخر : ان الجوف من التجويف استلزم السعة والفراغ ففي لسان العرب[١٣] إن الجوفاء من الدلاء الواسعة ، ومن الشجر الفارغة ، وهذا في الواقع ينطبق بدقة على جوف المصدر الذي يقع فيه القلب ، ولا ينطبق على البطن ..

فليس في البطن ذلك التجويف حتى نطلق ، عليه الجوف ومن ثم كان لكل لفظة ، وقعها اللائق في الايتين .

وخذ مثلاً آخر أشار اليه ايضاً ابن الاثير من بين امثال كثيرة ذكرها ، فالقمل الوارد في القرآن في قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات)[١٤]

وردت ايضاً في بيت من الشعر للفرزدق هو قوله :

من عـــزه احتجـــزت كليب عنـــده
زربــــاً كـــأنهم لـــديــه القمـــل[١٥]

فلو تاملنا لفظة القمل في الاية والبيت لوجدنا ان هناك فارقاً كبيراً هنا وهناك ، فاللفظة كما ترى حسنة في الاية قبيحة في البيت الشعري فما سر الحسن في هذا الموضع والقبح في ذاك واللفظ هو هو ؟

أجاب ابن الاثير دون تردد فقال :[١٦]

إنما حسنت في الاية دون البيت الشعري لانها جاءت في الاية متدرجة ضمن السياق ولم ينقطع عندها الكلام ، وجاءت في الشعر قافية أي آخراً انقطع الكلام عندها .

ولم يكتف بهذه القراءة الاسلوبية للاية والبيت الشعري بل اضاف قراءة اخرى وتعليلاً آخر يرتكز على اللغة والذوق الفني وهما قاعدتا التحليل الاسلوبي ، وفي ذلك يقول إنها - اي الاية - قد تضمنت خمسة ألفاظ هي :

الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

وأحسن هذه الالفاظ الخمسة هي الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخراً ، وجعلت لفظة القمل والضفادع في الوسط ، ليطرق السمع أولاً الحسن من الالفاظ الخمسة ، وينتهي اليه آخراً ، ثم ان لفظة الدم أحسن واخف على السمع من لفظتي الطوفان والجراد ، ومن اجل ذلك جيء بها أخراً .

ومعالم التحليل الاسلوبي الافرادي واضحة في هذا النص ، حيث حدد أولاً الحسن وغير الحسن من الالفاظ الخمسة الواردة في الاية ، ثم علل لمواقع هذه الالفاظ ، لماذا وضعت هذه في أول الجملة وهذه في وسطها وتلك في آخرها .

ثم ان الحكم بالحسن تارة ، وبالقبح تارة ، على لفظة القمل وهي لفظة واحدة ، وزناً ومعنى بسبب اختلاف موقعها ، إنما يعد من صميم التحليل الاسلوبي .

ويحسب لابن الاثير حديثه عن اللفظة المفردة وتنبيهه الى ان الحكم لها او عليها لا يستقيم الا بعد دخولها في سياق يظهر التوافق والوئام بينها وبين سابقتها ولاحقتها .

وهذا ما عناه عبد القاهر بقوله : (وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لاخواتها)[١٧] فقد اتفق ابن الاثير والجرجاني ان التفاضل بين الكلمات المفردة مرهون بالسياق النصي الذي تدخل فيه هذه الكلمات ، اما قبل ذلك فلا تفاضل .

وقضية السياق قضية قديمة حديثة فعلى الرغم من نسبتها الى (فيرث) كما اسلفت الا ان للعلماء العرب والبلاغيين حضوراً بارزاً و لاسيما عبد القاهر الجرجاني والزمخشري وابن الاثير وابن جني واضرابهم وكان حرياً بعلماء التفسير ان ينتبهوا اليها مبكراً حيث نجد النسق القرآني دقيقاً في هذه المسالة ، وما من كلمة في القرآن الا ووضعت الموضع الذي يراد لها ان تؤدي معناه ، بحيث لو وضعت في مكان آخر من الجملة لم تؤد المعنى المراد .

فما من لفظة في القرآن قدمت او أخرت او جاءت وسطاً الا وهذا الموضع مراد المتكلم لتؤدي الدلالة التي ارادها من هذا الكلام او ذاك .

وليس ادل على ذلك مما ذكره الجرجاني في قراءته بقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن)[١٨] فقد جاء تحليله أسلوبياً منطلقاً من التركيب السياقي للكلمات حيث وضعت كل كلمة في موضعها اللائق بها دلالياً . حيث قال (ان جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء لله وعبدوهم معه تعالى) وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم ، فتقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر ، وهو أنه ما كان ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن ، بينما لو اخر شركاء فقيل (جعلوا الجن شركاء لله) لم يفد ذلك المعنى ولم يكن فيه شيء اكثر من الاخبار عنهم بانهم عبدوا الجن مع الله تعالى ، أما إنكار ان يجعلوا لله شريكاً ويعبدوا معه غيره فلا وجود له في الجملة مع تاخير لفظة شركاء ، حيث يمكن ان يقال : إن الانكار منصب على جعل الجن شركاء ، اما غيرهم فلا مانع ان يكونوا شركاء لله[١٩] وهذا ما لم تقله الاية صراحة وإنما يقرأ بنائياً واسلوبياً من تذوق اللغة ، وإدراك اسرارها .

ثانياً : الجمل المركبة :

في هذه الفقرة سوق نتناول مع ابن الاثير دراسة الكلمة في السياق التركيبي وهو ما يعرف عنده بصناعة تركيب الالفاظ ، وقد أوضحنا سلفاً أنه انتهى الى ما انتهى اليه سلفه عبد القاهر

الجرجاني وهو انه لا مزية ولا فضل للكلمة المفردة قبل دخولها في السياق التركيبي الا من حيث الالفة والاستعمال فالمعول عليه عنده بعد اختيار اللفظة الموسومة بالفصاحة هو حسن التاليف ، وجودة التركيب ، حيث توضع الالفاظ مواضعها وتجعل في اماكنها لتؤدي دورها في الدلالة .

واذا كان المعنى جيداً والتركيب فاسداً ، فسدت قيمة العمل الادبي ، وفقد رونقه ، وحلاوته .

وفي ضوء ذلك يفهم تاكيد ابن الاثير على حسن تاليف الكلام ولماذا كان للكلمة بعد تركيبها حكم يختلف عن الحكم الذي كان قبل التركيب وذلك انه ـ نتج ـ عنه اي عن التركيب فوائد من التاليفات ، والامتزاجات ما يخيل للسامع ان هذه الالفاظ ليست تلك التي كانت مفردة .

ويتخذ ابن الاثير من اللالىء مثلًا للكلمات فان تنظيمها وتاليفها يخلق فيها جمالًا يخلب الابصار وتفقد اللآلىء قيمتها الجمالية اذا ما تناثرت وكانت غير منتظمة في عقد وهكذا الكلمات فإن جمالها في تناسقها وحسن ترتيبها ووضعها المواضع اللائقة بها تقديماً وتاخيراً وحذفاً وذكراً وتجنيساً وموازنة وتصريعاً الى آخر ما هنالك من معالم الاسلوب والوان البديع وجمال التعبير .

واذا كنا نتحدث عن معالم الاسلوبية في الالفاظ بعد تركيبها عند ابن الاثير فلا شك انه قد ابدع أيما إبداع في ابراز هذه المعالم في عدد من المحسنات البديعية وأبرز ذلك في قراءاته لعدد من النصوص القرآنية والحديثية والشعرية وغيرها من نصوص النثر الفني ، ونص على ان صناعة تاليف الالفاظ في نسق أسلوبي يبرز جمالياتها ينقسم الى ثمانية أقسام هي :

السجع والتصريع والتجنيس ، والترصيع ، والموازنة ولزوم ما لا يلزم ، والمعاظلة واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها .

واكتفى هنا باستخلاص المعالم الاسلوبية عند ابن الاثير في القسمين الاتيين :

أ ـ السجع ودلالاته السياقية :

وعرفه ابن الاثير بانه تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد[٣٠] وبصرف النظر عما قيل في السجع من ثم فان استخدام القرآن له بهذه المساحة الواسعة يخرس ألسنة

المتقولين بذمه . ولا حجة في حديث (أسجع كسجع الكهان) فالرسول صلى الله عليه وسلم لم ينه عن السجع وإنما نهى عن سجع الكهان الذي يقلب الحقائق ويجعل الباطل حقاً والحق باطلًا كما ورد في سبب ورود هذا الحديث .

ثم ان النصوص المسجوعة ليست كلها على درجة عالية من البلاغة ، ولذلك اشترط ابن الاثير لبلاغة الكلام المسجوع اربعة شروط :

الاول : اختيار مفردات الالفاظ .

الثاني : اختيار التركيب .

الثالث : ان يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى وليس العكس .

الرابع : ان تكون كل من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى مغاير لمعنى الاخرى[٣١] ، وفي ضوء هذه الشروط ووفقاً لمعاييرها جاء السجع القرآني والنبوي وكلام البلغاء من العرب من مثل قوله تعالى : (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً ، خالدين فيها ابداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً)[٣٢] ومثل قوله عليه الصلاة والسلام (ايها الناس افشوا السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) .

ومن كلام العرب قول قيس بن ساعدة الايادي (أيها الناس اسمعوا وعوا إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت) .

وبنظرة اسلوبية فاحصة في النصوص المذكورة وقفنا على مدى تحقيق تلك الشروط في مجملها ، فالالفاظ واضح فيها الاختيار ، والتراكيب منسقة بدقة ، والاسلوبية في مجملها نظرة جمالية تتخلق من خلال الصياغة كما ان توزيع المفردات انبثق من تلك النظرة الجمالية .

وكل من الاختيار والتوزيع يشكلان معاً معياراً اسلوبياً في دراسة النص الادبي وبمراجعة سريعة للنصوص المذكورة نجد ان اللفظ في الكلام المسجوع تابع للمعنى ، فسعيراً ونصيراً في الاية جاءا متناسقين تمام التناسق مع ما قبلهما وكانهما لبنتان في بناء محكم ينقصه وضع هاتين اللبنتين فسعيراً جاءت متناسقة تمام التناسق لـ (لعن الكافرين واعد لهم ..) .

ونصيراً ايضاً متسقة ، مع الموقف الذي لا يجد فيه الكافرون بعد ان اعد لهم السعير ـ من يواليهم ولا من يناصرهم ، ومن ذا الذي يجرأ على مناصرتهم في ذلك اليوم الذي يفر فيه المرء من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه .

اما الشرط الرابع فقد تحقق تمام التحقق في الاية وغيرها من الجمل السجعية المذكورة فمعنى سعير غير معنى نصير ، وكذلك السلام والطعام ونيام وسلام كل لها دلالتها حتى كلمة

السلام وسلام وان اتفقنا لفظاً فقد اختلفتا معنى فالسلام الاولى في الحديث يعني السلام المعروف بين الناس في الدنيا اما (تدخلوا الجنة بسلام) فيفسره قوله تعالى (وادخلوها بسلام آمنين) .

وقل مثل ذلك في (مات ، وفات ، وآت) فلكل منها دلالتها في سياقها النصي .

وقد ذكر ابن الاثير كثيراً من النصوص المسجوعة واستطرد في ذلك الى الخطب والامثال وغيرهما .

بيد ان الذي يعنينا في هذا المقام هو البحث عن معالم الاسلوبية في كتاب المثل السائر في نهاية مبحث السجع حيث قسم السجع في هذا المبحث الى ثلاثة اقسام :

الاول : ان تكون الفاصلتان متساويتين لا تزيد احداهما على الاخرى كما في قوله تعالى : (فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر)[٢٣] .

فالجملتان متساويتان في عدد الاسماء والحروف والافعال .

الجملة الاولى	الجملة الثانية
أما	أما
اليتيم	السائل
فلا	فلا
تقهر	تنهر

وهذا التساوي في الالفاظ والدلالات وبهذه الدقة دون اختلال يعد احد معالم الاسلوبية وقد ابرز هذا المعنى ابن الاثير بقوله (الا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الاجزاء حتى كانها افرغت في قالب واحد وأمثال ذلك في القرآن كثير)[٢٤] .

فهذه النظرة الى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي لم تات الا في ضوء منهج سلكه ابن الاثير ودار حوله في كتابه وهو ما يسميه (بير جيرو) الاسلوبية الوصفية او أسلوبية التعبير[٢٥] .

الثاني : ان تكون الفاصلة الثانية اطول من الاولى لا طولا يخرج به عن الاعتدال فان ذلك يقبح ويستنكر ومثاله قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ، واذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً)[٢٦] . فهنا ثلاث جمل تكون كل منها وحدة دلالية على ان الثلاث الجمل تكون مقطعاً يصور قضية من قضايا أهل النار .

السمة الاسلوبية لهذا التعبير القرآني الجميل تتمثل في :

١ - اختيار وزن واحد هو صيغة فعيل ليختم به كل وحدة دلالية من الوحدات الثلاث مع اختلاف معنى كل من الكلمات السجعية الثلاث .

٢ - ان هذه الوحدات الدلالية متساوية الطول ، وهذا التساوي في عدد الكلمات يقابله تساوٍ في الدلالة مما يعني ضمناً ان اختيار الالفاظ والتراكيب جاء بدرجة متوازية وهذا التوازي هو احد معالم الاسلوبية .

فالتوازي يعني نوعاً من التشابه ، فليس هناك تطابق تام ولا تمايز مطلق كما يقول « يوري لوتمان » كما ان التوازي قد ينظر اليه باعتباره ضرباً من التكرار لكنه تكرار غير كامل كما اشار الى ذلك الباحث البولندي « اوسترليتز » « ASTERLITRS »[٢٧] .

الثالث : ان تكون الفاصلة الثانية اقصر من الاولى ، ويرى ابن الاثير ان هذا النوع من السجع اسلوب معيب وسبب عيبه ان السجع يكون قد استوفى امده في الجملة الاولى بحكم طولها ، فإذا جاءت الجملة الثانية قصيرة تاتي كالشيء المبتور فيكون السامع كمن وقف دون الوصول الى غايته .

وهذا النوع من الاسلوب يتحدد في إطار الاسلوبية الوصفية ، وهي اسلوبية الاثر وتتعلق بعلم الدلالة .

وهذا المنهج الاسلوبي يعتبر جمال النص في نفسه ، وانه غاية مرادة للمبدع وليس وسيلة للوصول الى المتلقي .

فموضوع الاسلوبية الوصفية كما حددها « شارلي بالي » « Ch . Balley » هو التعبير + الفكرة ذات المضمون الوجداني المستلهم من العبارة اللغوية مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها . وهذا القسم يحتوي كل هذه العناصر بصرف النظر عن اثره على الملتقى .

ب - التصريع ودلالاته السياقية :

ويعرفه ابن الاثير بانه في الشعر بمنزلة السجع من الكلام المنثور وفائدته انه قبل كمال البيت من القصيدة تعلم قافيتها وشبه البيت المصرع بالباب له مصراعان متشاكلان .

بيد انه قسمه الى مراتب سبعة ، وهذا التقسيم يدل على الدقة في معرفة الفروق بين لقطة واخرى في سياق التراكيب اللغوية ، وهي فروق تدرك بالقراءة الاسلوبية للنصوص . ومراتب التصريع التي ذكرها ابن الاثير هي :[٢٨]

١ - ان يكون كل مصراع من البيت مستقلاً بنفسه في فهم معناه غير محتاج الى ما يليه ويسمى التصريع الكامل ، وهذه اعلى درجات التصريع وذلك كقوله :

افـاطم مهـلاً بعض هـذا التـدلـل وان
كنت قـد ازمعت هجـراً فـاجمـلي

٢ ـ ان يكون المصراع الاول مستقلاً بنفسه فاذا جاء الذي يليه كان مرتبطاً به كقوله :
قفـا نبـك من ذكـرى حبيب ومنـزل
بسقط اللوى بين الـدخول فحـومل[٢٩]

٣ ـ ان يكون الشاعر مخيراً في وضع كل مصراع موضع الاخر ويسمى التصريع الموجه ومثاله :
من شروط الصبـوح في المهـرجـان
خفـة الشرب مـع خلـو المكـان

٤ ـ ان يكون المصراع الاول غير مستقل بنفسه ولا يفهم معناه الا بالثاني ويسمى التصريع الناقص ومثاله :
مغـاني الشعب طيبـاً في المغـاني
بمنـزلـة الـربيـع من الـزمـان[٣٠]

٥ ـ ان يكون التصريع في البيت بلفظه واحدة وسطاً وقافية ويسمى التصريع المكرر كقوله :
فكـل ذي غيبـة يئـوب
وغـائب المـوت لا يئـوب[٣١]

٦ ـ ان يذكر المصراع الاول ويكون معلقاً على صفة ياتي ذكرها في اول المصراع الثاني ويسمى التصريع المعلق ومنه قوله :
الا أيـا الليـل الطـويـل الا انجـلي
بصبـح وما الاصبـاح عنـك بـامثـل[٣٢]

٧ ـ ان يكون التصريع في البيت مخالفاً لقافيته ويسمى المشطور وهو انزل درجات التصريع ومن قوله :
أتلني قـد نـدمت عـلى الـذنـوب
وبـالإقـرار عـذت عن الجحـود[٣٣]

فاذا ما امعنا النظر في هذه المراتب وشواهدها الشعرية ، وتعليقات ابن الاثير على تلك الشواهد فإننا سنستخلص الخصائص الاسلوبية الاتية :

(أ) ان الروابط الدلالية تتبعها على الدوام روابط لفظية .. ومهما تكن ضآلة الروابط اللفظية فإنها تؤدي دوراً مهماً في الصياغة اللغوية والترابط المعنوي ، ففي بيت امرىء القيس « أفاطم مهلاً » نجد ان كل مصراع منه مفهوم المعنى بنفسه لكن وجود حرف العطف في الشطر الثاني من البيت ادى الى ترابط دلالي دقيق بين المصراعين على الرغم من استقلال كل شطر بمعناه ، فاستخدام الهجر في الشطر الثاني إنما يستقيم نتيجة للعلاقة التي بلغت حد التدلل ولو لم تكن علاقة لم يكن هجر وفي البيت الاخر (قفا نبك) استطاع الباء ان يربط المصراعين دلالياً بعمق حيث جعل الجار والمجرور (بسقط) متعلقاً لفظياً (بنبك) وتبع هذا التعلق اللفظي ترابط دلالي فجعل (سقط اللوى) محلًا للبكاء (وبين الدخول فحومل) تحديد دقيق للموضع الذي تم فيه البكاء فالباء بحجمه المتواضع ودلالته المحدودة ـ وهي هنا الظرفية ـ أفاد ذلك الربط المحكم الذي أدركناه من القراءة الاسلوبية للبيت الشعري .

(ب) ان التلاعب بالجمل تقديماً وتاخيراً ، وتحوير النصوص وقلب مصارعها وسبل استخدام الكلمات بين الاشتقاق والجمود كل ذلك خاصية اسلوبية لا يقدر عليها الا المبدعون من الشعراء والكتاب ، ولذلك قال ابن الاثير في التعليق على بيت ابن الحجاج البغدادي .. فان هذا البيت جعل مصراعه الاول ثانياً ومصراعه الثاني اولاً ، يقصد بذلك انه يمكن قراءة البيت هكذا :
خفـة الشـرب مـع خلـو المكـان
من شـروط الصبـوح في المهـرجـان
فقدرة الشاعر على مثل هذه الصياغة والتلاعب بالجمل ظاهرة تستحق الاهتمام .

ويشارك ابن الاثير في ذلك الامام يحيى بن حمزة حيث قال بعد ذكر هذا البيت :[٣٤]

فإن شئت جعلت الصدر عجزاً والعجز صدراً ـ وما هذا حاله فهو من انجدة بمكان رفيع ولا يكاد يوجد الا في مقاصد الشعراء المفلقين .

ومن هذا المنطلق كان تمام آلة البلاغة كما يرى ابو هلال العسكري : العلم بمفاخر الالفاظ وساقطها ومختيرها ورديئها ومعرفة المقامات وما يصلح في كل واحد منها من الكلام[٣٥] وهذا الكلام في غاية الروعة ومن صميم المنهج الاسلوبي فالاسلوبية كما أسلفنا تنطلق من اللغة مفردات وتراكيب .

وقراءة النص وفق المنهج الاسلوبي يعني باديء ذي بدء تحديد مفردات النص من حيث الجودة او الرداءة ومعرفة تراكيب ذلك النص قوة وضعفاً والحكم على هذا وذاك .

وهذه وظيفة نقدية كما هي وظيفة اسلوبية فالدراسة الاسلوبية من حيث المبدأ عملية نقدية قائمة على الاختيار من

الظاهرة اللغوية ، وتبحث في اسس الجمال المحتمل قيام الكلام عليه[٣٦] .

٢ ـ المعالم الاسلوبية في كتاب المثل السائر :

ما من شك ان كتاب المثل السائر اطار عام للكتابة العربية وما ينبغي ان يكون عليه اسلوب الكاتب ، وما الادوات التي تلزم الكاتب ما لا يلزم ، المبدع ، وفي هذا السياق سوف أركز على أبرز المعالم الاسلوبية ـ كما أوضحها ابن الاثير ـ في كتابه الكاتب المثل السائر في الجزء الخاص بالصناعة المعنوية والذي يشمل المباحث الاتية :

أولاً ـ الاستعارة :

بادىء ذي بدء فان الاطار العام لمباحث الصناعة المعنوية كما ذكرها ابن الاثير هو : ان العرب كما كانت تعتني بالفاظها فتصلحها وتهذبها فان المعاني أقوى عندها واكرم عليها ، واشرف قدراً في نفوسها .

وقبل الدخول في قراءة ابن الاثير لنصوص الاستعارة ونماذجها التطبيقية أزعم هنا ان تعريف ابن الاثير للاستعارة يختلف عن تعريف علماء البلاغة الاخرين حيث جعل الاستعارة أحد اقسام المجاز الثلاثة وهي :

١ ـ توسيع الكلام .

٢ ـ التشبيه .

٣ ـ الاستعارة[٣٧] .

وهذا التقسيم يبدو ان ابن الاثير انفرد به ، فلم يتأثر فيه بمن سبقوه بل لعله استوحاه من واقع نصوص الادب العربي .

وربما كان لهذا التقسيم اثره في قراءة ابن الاثير لنصوص الادب العربي قراءة دلالية معتمدة على اللغة والذوق معاً .

ومن هذا التمهيد ننطلق لنتعرف على طريقة ابن الاثير في قراءة نصوص من الاستعارة :

١ ـ قال البحتري :

اذا اسفرت اضاءت شمس دجن
ومالت في التعطف غصن بان[٣٨]

وردت كلمة شمس بروايتين بالنصب والرفع ، وباختلاف حركة الاعراب اختلفت الدلالة ، كما قال الامام عبد القاهر (البلاغة توخي معاني النحو) فرواية النصب تعني ان في الفعل ضميرا (أضاءت) وهذا تشبيه معناه ان المرأة الموصوفة اذا اسفرت . والفاعل مستتر تقديره هي ـ اذا أسفرت اضاءت الشمس اي ان الشمس تستمد ضوءها من المرأة الموصوفة حين تسفر .

أما على رواية الرفع فالامر مختلف إعراباً ومعنى وحيث اختلف المعنى اختلفت الصورة البلاغية اي اختلف الاسلوب فانتقل من اسلوب التشبيه الى اسلوب الاستعارة وتكون الشمس هنا فاعلا ويكون المعنى اذا أسفرت أضاءت باعتبارها هي شمس دجن فشمس هنا تعني المرأة فهو استخدام مجازي ولذلك كان استعارة ، ولا يعود الضمير حينئذ الى من تقدم ذكره ، وإنما يكون الكلام مرتجلاً .

والدجن ظل الغيم في اليوم المطير وفي هذا الموضوع دقة وغموض وحرف التشبيه يحسن في الاول دون الثاني اي في حالة النصب دون الرفع فابن الاثير هنا يحلل هذا البيت الاستعاري الجميل تحليلاً لغوياً معتمداً على البلاغة والاسلوبية معاً ، ثم نسأل ما الفرق بين البلاغة والاسلوبية والجواب قد لا نجده عند ضياء الدين ابن الاثير لكن باحثاً معاصراً هو الدكتور شكري عياد بحكم حداثته فقد اهتدى الى الاجابة عن هذا السؤال في وقت مبكر من حياته البحثية واتضحت له الرؤيا ليجد الفرق الدقيق بين البلاغة والاسلوبية فقال :

ان علم البلاغة علم لغوي قديم ، وعلم الاسلوب علم لغوي حديث[٣٩] اذن الفرق زمني ليس الا ، والبينات الاسلوبية تعد تطويراً لمناهج البلاغة القديمة وانما جاءت بثوب جديد يختلف عن ثوب عبد القاهر والزمخشري وابن الاثير فالاسلوبية اذا بلاغة ألبست ثوباً معاصراً لكنهما معاً يشكلان علماً مهماً من علوم اللغة .

ولا غرو بعد ذلك ان نجد في الموسوعة البريطانية إشارة الى أهمية الاستعارة في السياق الدلالي فقد جاء في احد تعريفاتها ان الاستعارة (نقل الاسم من سياقه الحرفي الى سياق آخر لا يكون حرفياً وهذا السياق غير الحرفي هو السياق الدلالي او السياق المعنوي)[٤٠] .

٢ ـ وأزيدك عزيزي القارىء مثلاً آخر هو من باب الاستعارة وهو قوله تعالى (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال)[٤١] فإن تغير حركة الكلمة من ضمة الى فتحة غير الاعراب وغير المعنى فقراءة الرفع (تزول) ليست من الاستعارة في شيء فاللام للابتداء فزوال الجبال امر وارد .

لكن رواية النصب اعتبرت اللام لام كي ، والفعل بعدها منصوب بها ، والجبال ها هنا طوي فيها ذكر المستعار له وهو أمر الرسول ﷺ ، فزوال الجبال علة لمكرهم وليس الامر كذلك فالجبال لا تزول مكروا أم لم يمكروا ، اذن فالجبال هنا استخدمت في غير ما وضعت له والذي كاد يزول بسبب مكرهم هو امر الرسول ﷺ وما جاء به من الايات المعجزات والمعبر عنه بالجبال من قبيل الاستعارة لشبيه بالجبال في ثبوتها واستقرارها .

اي انهم مكروا مكرهم لكي تزول منه وبسببه الايات والمعجزات التي هي في ثباتها واستقرارها كالجبال ، لكن استخدام (كاد) يدل على عدم الزوال لان كاد خبرها المثبت

منفي كما يقول النحويون .

هذا التحليل الاسلوبي ليس سوى نتاج لتراكم معرفي لغوي لمستويات اللغة نحوها وصرفها وإعرابها ودلالاتها ، وهذا التراكم هو احد معالم الاسلوبية المعاصرة وليس ذلك جديداً كل الجدة على علماء البلاغة والنقد الادبي وان كان جديداً ومبتكراً بالنسبة لعلماء النحو الذين اكتفوا برصد حركات الإعراب ، وآثارها الظاهرة .

ثانياً ـ الالتفات :

الالتفات فن بديع من فنون البلاغة وأسلوب لطيف من أساليب العربية وملمح دقيق من ملامح الاسلوبية .

والمراد به الانتقال من صيغة الى صيغة ومن خطاب الى غيبة ومن غيبة الى خطاب الى غير ذلك من انواع الالتفات وقد يكون للانتقال من الماضي الى المستقبل او العكس ، وسمي بذلك أخذاً من التفات الانسان يمنة ويسرة فتارة يقبل بوجه وتارة يعرض وهكذا .

ولن أخالف ابن الاثير هنا في تقسيمه الالتفات الى ثلاثة اقسام فهو تقسيم مقبول الى حد كبير على ان اكتفي في كل قسم بقراءة نص واحد من النصوص التي اوردها ثم البحث في قراءة تلك ومدى موافقتها للقراءة الاسلوبية للنصوص الادبية .

القسم الاول : الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقد اثرى ابن الاثير هذا القسم من الالتفات بقراءة وتحليل احد عشر نصاً تسعة من القرآن ونصين من الشعر وذلك ان دل على شيء إنما يدل على ثراء هذا الاسلوب من اساليب العربية ولطافته ودقته في ابراز الدلالات الخفية والمعاني المستترة وراء النصوص ويعنينا هنا كشف اسرار بعض تلك النصوص ومنها قوله تعالى في اول سورة بني الاسراء :

(سبحان الذي اسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[٤٢] وفي قراءة ابن الاثير لهذه الاية أبرز معلمين اساسين من معالم الخطاب الاسلوبي ..

ـ اولهما : التوسع والتفنن في أساليب الخطاب والانتقال من صيغة الى اخرى ..

ـ الثاني : مقصد معنوي وهو اعلى وابلغ .

وإليك عزيزي القارىء بيان هذين المعلمين ففي الاول نقرأ قول ابن الاثير في الاية القرآنية (سبحان الذي اسرى بعبده ليلًا) قال : فهذا وارد بلفظ واحد وعلى جهة الغيبة (أسرى) ثم قال (الذي باركنا حوله) فهذا التفات آخر الى الغيبة ، ولو جاء به على اسلوب واحد لقال (سبحان الذي اسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي بارك حوله ... الخ) وهذا جميعه يكون معطوفاً على أسرى ، فلما خولف بين المعطوف عليه في الانتقال من صيغة الى اخرى كان ذلك تفنناً في الاساليب كما اسلفنا[٤٣] .

وفي بيان المعلم الثاني نجتزىء هذه القراءة للنص قال : لما بدأ الكلام بسبحان ردفه بقوله (الذي اسرى) اذ لا يجوز ان يقال الذي أسرينا ، ثم استدرك الاول بالثاني فقال (باركنا) ثم قال (لنريه من آياتنا) فجاء على نسق باركنا ، اذ التعظيم مراد الله فهو اعظم العظماء ، ثم جاءت (انه هو) عطفاً على اسرى لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره ، فهنا التفاتات مترادفة في هذه الاية التي جاءت لمعان اختصت بها يعرفها من عرفها ويجهلها من يجهلها كما نص على ذلك ابن الاثير فهذه القراءة أبرزت سمة من سمات الاسلوبية وهي ترتيب المعاني على الالفاظ .

القسم الثاني : الرجوع عن فعل المستقبل المضارع الى فعل الامر وعن الفعل الماضي الى فعل الامر .

وفي هذا القسم ذكر الكاتب نصين من القرآن أكتفي بقراءة الاول منهما وهو قوله تعالى : (يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما يشركون)[٤٤] فجملة (أشهد الله) فعل مضارع وكان المنتظر ان يكون الفعل التالي (واشهدكم) ليكون موازناً له في اللفظ موازياً له في المعنى . لكن الفعل الثاني جاء بصيغة الامر في الاية (واشهدوا) فيا ترى ما المغزى الدلالي والاسلوبي الذي يكمن وراء هذا التعبير ؟

أشار ابن الاثير الى هذا المغزى بقوله :

.. إن إشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت وأما إشهاده لهؤلاء المخاطبين مما هو الا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بامرهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لإختلاف ما بينهما ، وهذا ما قاله الزمخشري بالنص[٤٥] اما صاحب الطراز فقد اكتفى بالاشارة الى هذا المعنى بقوله : ولو أراد المساواة بين الفعل لقال (أشهد الله وأشهدكم)[٤٦] .

وبالرجوع الى حاشية الكشاف لناصر الدين احمد بن محمد المالكي نجد تحليلًا أسلوبياً أوضح من كل ما سبق ، وتلخيص ما قاله : ان صيغة الخبر لا تحتمل سوى الاخبار بوقوع الإشهاد منه ، فلما كان إشهاد الله واقعاً ، محققاً ، عبر عنه بصفة الخبر لانه إشهاد صحيح ثابت ، وعبر في جانبهم بصيغة الامر التي تتضمن الاستهانة بدينهم ، وقلة المبالاة بهم وهو المراد في هذا المقام .

ثم ذكر رأياً آخر حيث يحتمل ان يكون إشهاده لهم حقيقة لإقامة الحجة عليهم ، إنما عدل عن صيغة الخبر الى صيغة الامر

للتمييز بين خطاب الله وخطاب البشر فصيغة الخبر أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الامر .

القسم الثالث : في الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي ، وأورد ابن الاثير تسعة نصوص من قرآن وحديث وشعر ، وساكتفي بنص واحد كما وعدت في بداية الحديث عن الالتفات وهو قول الشاعر تابط شراً :

بـــأبي قـــد لقيت الغـــول تهـــوي
بسهب كـــالصحيفـــة صحصحـــان
فـــأضـــربهـــا بـــلا دهش فخـــرت
صـــريعـــاً لليـــدين وللجـــران[٤٧]

وإنما استخدم المضارع (فاضربها) بعد الفعل الماضي (لقيت) في وصف معركته مع الغول لانه أراد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول يريهم إياها مشاهدة للتعجب من جرأته على ذلك ولو استخدم الماضي (فضربتها) عطفاً على لقيت لزالت تلك الفائدة ، فالتخيل في المستقبل اقوى وأشد من الماضي فالفعل (أضربها) أوحى للسامع ان تابط شراً في إزاء الغول وقد رفع سيفه ليضربها ، وهذا المعنى لا يؤديه الفعل الماضي ، وهذا أمر لا خلاف عليه .

وبعد فهذه القراءات الاسلوبية للنصوص في ضوء أسلوب الالتفات من المعالم الاساسية في البلاغة العربية القديمة ، وهي ما يميز بعض كتاب البلاغة التي نهجت هذا المنهج ، وإن كان ابن الاثير أوفر حظاً في هذا الاتجاه كما رأينا فيما مر معنا من مباحث وفقرات .

ثالثاً ـ التقديم والتاخير :

التقديم والتاخير فن من فنون علم المعاني ومع ذلك فقد حظي باهتمام البلاغيين والنحاة على حد سواء مع فارق في المنطلق فالنحويون ينطلقون من منطلق الكشف عن الرتب المحفوظة الثابتة والرتب المتغيرة في الجملة مثل الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر وهكذا .

اما البلاغيون وعلماء الاسلوب فغايتهم من دراسة التقديم والتاخير الكشف عن قيمته الدلالية والنفسية في العمل الادبي ، وقد اتضحت رؤية ذلك في دراسات البلاغيين المبدعين كالجرجاني وابن الاثير والعلوي اليمني والزمخشري وأضرابهم من الاسلوبيين المحدثين وهذا باب طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة ، كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف بعيد الغاية ، كما أشار الى ذلك عبد القاهر الجرجاني . ويرى ابن الاثير ان التقديم يستعمل على وجهين :

ـ احدهما .. الاختصاص .
ـ والاخر .. مراعاة نظم الكلام .

واجهد ابن الاثير نفسه في توضيح الفرق بين الوجهين من خلال قراءته لعدد من النصوص ذكر فيها التقديم وفرق بين ما كان فيها المقدم بغرض الاختصاص ، وما كان فيها بغرض تحسين النظم[٤٨] ، وذكر في ذلك عدداً من النصوص وقام بتحليلها اكتفى منها بما ياتي :

١ ـ قوله تعالى : (أفغير الله تامروني أعبد أيها الجاهلون ، ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)[٤٩] .

وها هنا تقديمان :

احدهما تقديم المفعول (أفغير الله) والثاني تقديم المفعول ايضاً (بل الله فاعبد) فإن المفعول في كلا الموضعين إنما قدم بغرض الاختصاص ، اذ لو قيل « أفتامروني اعبد غير الله » لكان الانكار منصباً على الامر بالعبادة ، وليس على عبادة غير الله حيث ان الذي يلي الهمزة هو المنكر في مثل هذا الاسلوب ، من اساليب البلاغة العربية .

والمراد هنا هو ان المختص بالعبادة هو الله وحده دون سواه فكيف تامروني بعبادة غيره ممن لا يستحقها .

أما (بل الله فاعبد) فانه إنما قال بل الله فاعبد ولم يقل (بل اعبد الله) لانه اذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون سواه ، ولو تاخر المفعول لزال الاختصاص ، ولجاز ايقاع الفعل على اي مفعول شاء المتكلم فيكون المعنى على هذه الصياغة ، اعني صياغة تاخير المفعول الامر بعبادة الله ولكن دون اختصاص العبادة به سبحانه .

٢ ـ قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)[٥٠] .

والتقديم هنا (والقمر قدرناه) يقول ابن الاثير ان تقديم المفعول به هنا (القمر) على الفعل (قدرناه) ليس من باب الاختصاص ، وإنما هو من باب مراعاة نظم الكلام ، فإنه لما قال (الليل نسلخ منه النهار) ثم قال (والشمس تجري لمستقر لها) فاقتضى حسن نظم الكلام ان يقول (والقمر قدرنا) ليكون الجميع على نسق واحد في النظم ولو اخر القمر لما كان التعبير بتلك الصورة من الحسن .

فهذا التوضيح والتفسير والتعليل لما قدم ، لماذا قدم ؟ وما دلالته مع التقديم ؟ وماذا يعني عند التاخير كل ذلك من

محاسن القراءة الاسلوبية للنصوص .

بل ان التقديم بجملته يعد معلماً اساسياً من معالم الاسلوبية ، اذ يعد انحرافاً عن الاصل وخروجاً عن اللغة الوضعية ، وما كان انحرافاً عن الوضع اللغوي فهو احد مجالات الاسلوبية او مظهر من مظاهرها حيث ان من التعريفات السائدة للاسلوبية انها انحراف عن النمط المعياري للغة وانتهاك لمألوفاتها[51] .

وكما اسلفنا فان التركيب النحوي رتب محفوظة ورتب متغيرة ، وأسلوبية التركيب من النمط الثاني ، حيث يعني هذا النوع من الاسلوبية (رصد حجم الجملة طولاً ، وقصراً وترتيباً) وفي ضوء عملية الترتيب يدرس التقديم والتاخير ، وما يترتب عليه من دلالات ولهذا صنفه ابن الاثير في سياق الصياغة المعنوية التي يحتاج اليها الشاعر والكاتب .

رابعاً – في ان قوة اللفظ تدل على قوة المعنى وكثافته :

هذا المبحث من مباحث الصناعة المعنوية عند ابن الاثير حيث تاتي الالفاظ ادلة على المعاني وخدم لها ، فقد عقد ابن جني فصلاً خاصاً لهذا المبحث بعنوان « باب في ان قوة اللفظ لقوة المعنى »[52] .

بيد ان طريقة معالجة ابن الاثير لهذا المبحث طريقة فنية اسلوبية تعتمد على النصوص وتحليلها وتوضيح دلالاتها وفقاً للقالب اللفظي الذي تتركب منه هذه الجملة او تلك ، ولذلك كان تعبيره عن اسلوبية هذا المبحث واضحاً من خلال وضعه في سياق الصناعة المعنوية ومن هذه الصناعات صناعة المعاني في ضوء قوالبها اللفظية ، وعلاقة هذه المعاني بالالفاظ قوة وضعفاً ، ومن ثم جاء تعبيره عن هذا المعنى دقيقاً ينبيء عن حس لغوي اسلوبي فاللفظ اذا كان على وزن من الاوزان كما يقول ابن الاثير ثم نقل الى وزن اخر اكثر منه فلابد من ان يتضمن من المعنى الكثير مما تضمنه أولاً ، لان الالفاظ ادلة على المعاني وامثلة للابانة عنها ، فاذا زيد في اللفظ اوجبت القسمة زيادة المعاني ، وهذا لا نزاع فيه لبيانه[53] .

وخلاصة القول في هذا النموذج الاسلوبي ان الباب بجملته قائم على المبالغة في ايراد المعنى وتكثيفه من خلال تكثيف اللفظ الدال عليه ، اما باستخدام صيغ معينة تدل على المبالغة والكثرة كصيغ المبالغة مثلاً او تكرير الحروف نفسها في داخل الكلمة المستعملة لهذا الغرض .

فالاول : مثل كلمة (تواب) في قوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)[54] فالتواب هو الذي تكررت منه التوبة مرة بعد مرة ، والصيغة على وزن الافعال ، وذلك ابلغ من تائب الذي على وزن فاعل فتائب اسم فاعل صيغة تدل على الفعل وفاعله اما تواب فتدل بصيغتها هذه على كثرة الفعل وكثافته .

والثاني : مثل (كبكب) في قوله تعالى (فكبكبوا فيها هم والغاوون)[55] فان معنى (كبكبوا) من الكب وهو القلب كما يقول ابن الاثير الا انه مكرر المعنى وانما استخدم في الاية للدلالة على شدة العقاب وتكرره مرة بعد اخرى .

وهذا ضرب من ضروب القراءة الاسلوبية سلكه ابن الاثير في جملة ما سلك من انواع القراءة الاسلوبية المتعددة للنصوص لاستنباط المعاني المختلفة فتارة يفيد من الكلمة المفردة ، وتارة من الصيغة المستخدمة في السياق او ذاك وتارة يفيد من الاصوات المكررة في الكلمة الواحدة وقد وظف كل هذه الاساليب توظيفاً متميزاً في استخراج الدلالات وابراز جماليات النصوص التي وضع عليها لمسات التحليل الاسلوبي .

الخاتمة

وبعد فقد آن الاوان ان نزيح عن كنوز ثقافتنا ما لحقها من تشويه كي نبرز محاسنها وصفاء وجهها ومعالم الجمال فيها ، وربما كشف هذا المبحث القناع عن بعض ملامح ذلك الجمال .

وأزعم ان البحث قد ركز على اهمية بالغة في التعبير عن مشاعر الفرد ورغباته وافكاره فهي الوسيلة الاهم في تطوير المواهب وتنمية العقول واخصاب الخيالات ، واذا كان للغة هذه الاهمية في عمومها فان للغة الكتابة واساليب الانشاء ولغة التحليل الادبي اهمية مبالغة في ارساء قواعد البحث ومناهج التفكير .

وقد حاول الباحث تتبع منهج ابن الاثير في قراءة النصوص والتحليل الاسلوبي وبين معالم ذلك المنهج في ضوء قراءته لكتاب (المثل السائر) مقارناً بين منهج المؤلف وآراء البلاغيين العرب والاسلوبيين المحدثين .

وقد كانت نتيجة هذا البحث الخروج بمعالم ابداعية في اللغة والادب والنقد ترسمت خطى مناهج البحث المعاصرة بناظرة ابن الاثير الاصولية . فما اهتدى اليه المحدثون من معالم الاسلوبية أزعم ان ابن الاثير قد اهتدى الى الكثير من تفاصيله .

وهذا هو الجديد الذي قامت عليه قناعات الباحث وتميز به هذا البحث بعد الخوض في اعماق التراث ، فإحياء اللغة وابراز محاسنها ، وتذوق النصوص وتلمس جمالياتها اهداف سامية لاي بحث ادبي بلاغي ولا شك ان ابن الاثير قد بذل جهداً اصيلاً وجمع بين الغزارة العلمية والتذوق الفني والتحليل الاسلوبي .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الهوامش

(١) الاسلوب . الشايب ، احمد : مكتبة النهضة المصرية - ط ٨ ، ١٩٩١ م ، ص ٤٧ .
(٢) دلائل الاعجاز . الجرجاني ، عبد القاهر ، ص ٣٧ تح محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة ط ٢ / ١٩٨٩ م .
(٣) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر . ابن الاثير ، ضياء الدين نصرين محمد تح محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت جـ ١ ص ٨٧ وما بعدها .
(٤) ديوان المتنبي دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٣٨ م ، جـ ١ ، ص ١٣٢ .
(٥) المثل السائر ، جـ ١ ، ص ٩٦ .
(٦) المصدر السابق جـ ١ ، ص ٩٩ .
(٧) للتوسع في ذلك يراجع الطرابلسي عبد الهادي : منهجية الدراسة الاسلوبية ، حلقات : اللسانيات واللغة العربية المحور الثالث تونس .
(٨) دلائل الاعجاز . الجرجاني ، ص ٥٥ .
(٩) سورة الاحزاب الآية (٤) .
(١٠) سورة آل عمران آية (٣٥) .
(١١) مقالات في تاريخ النقد العربي (٤٢٥) من منشورات وزارة الثقافة والاعلام . د . داود سلوم ، داود دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨١ م .
(١٢) القاموس المحيط - الفيرز آبادي : مؤسسة الرسالة / بيروت ، ط الثانية ، ١٩٨٧ م ، مادة (جوف) .
(١٣) لسان العرب . ابن منظور : صادر / بيروت ، مادة (جوف) ط الاولى بدون تاريخ .
(١٤) سورة الاعراف آية (١٣٢) .
(١٥) ديوان الفرزدق . والزوب المدخل والزريبة ، موضع القلم .
(١٦) المثل السائر ، جـ ١ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .
(١٧) دلائل الاعجاز ، ص ٤٤ .
(١٨) سورة الانعام آية (١٠٠) .
(١٩) دلائل الاعجاز ص ٢٨٦ .
(٢٠) المثل السائر ط ١ ص ١٩٥ .
(٢١) المصدر نفسه ص ١٩٩ .
(٢٢) سورة الاحزاب آية ٦٤ - ٦٥ .
(٢٣) سورة الضحى آية (٩ - ١٠) .
(٢٤) المثل السائر ، جـ ١ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٢٥) الاسلوبية والاسلوب . بير جيرو : ص ٣٢ .
(٢٦) سورة الفرقان آية (١١ - ١٣) .
(٢٧) تحليل النص الشعري ترجمة : د . محمد فتوح احمد - دار المعارف - القاهرة ، ص ١٢٩ .
(٢٨) المثل السائر ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ .
(٢٩) شرح المعلقات السبع للزوزني - دار الفكر / بيروت ، ص ١٨ .
(٣٠) ديوان المتنبي : تح البرقوقي - دار الكتاب العربي / بيروت - جـ ٤ ، ص ٣٨٣ .
(٣١) ديوان الابرص ، عبيد : شاعر جاهلي عاصره امرؤ القيس وله معه مناظرات . (٣٢) المعلقات السبع ، ص ٣٦ .
(٣٣) ديوان ابي نواس : ت د . بهجت عبد الغفور - دار الرسالة / بغداد ١٩٨٠ م .
(٣٤) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة ، ص ٤١٤ .
(٣٥) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر : ت مفيد قميحة - دار الكتب العالمية / بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٨٤ م ، ص ٣١ .
(٣٦) ظواهر اسلوبية في الشعر الحديث د . احمد الزمر ، مركز عبادي للنشر ط ١ صنعاء ١٩٩٦ م ، ص ٤١ .
(٣٧) المثل السائر ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ .
(٣٨) ديوان البحتري : جـ ١ ، ص ٢٤٢ ، ورواية الديوان (اذا انصرفت) والقصيدة في مدح احمد بن المدبر واخيه ابراهيم واولها :

عناني من صدودك ما عناني
وعاودني هواك كما بداني

(٣٩) مدخل الى علم الاسلوب - د . شكري عياد - من منشورات اصدقاء الكتاب / القاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٩٩٢ م .
(٤٠) نقلًا عن حوليات - كلية الاداب جامعة الكويت الحولية ١١ - وعنوانها (النظرية الاستبدالية للاستعارة) د . يوسف أبو العدوس سنة ١٩٩٠ م .
(٤١) سورة ابراهيم آية (٤٦) .
(٤٢) سورة الاسراء آية (١) .
(٤٣) المثل السائر ، جـ ٢ ، ص ٦ .
(٤٤) سورة هود آية (٥٣ ، ٥٤) .
(٤٥) الكشاف ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ .
(٤٦) الطراز للامام يحيى بن حمزة ، ص ٢٦٧ .
(٤٧) البيتان وردا في الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، ج ١٨ ، ص ٢١٠ ، بولاق وهما من قصيدة مطلعها :

الا من مبلغ فتيان فهم
بما لاقيت عند رحى بطان

(٤٨) المثل السائر ، جـ ٢ ، ص ٣٦ .
(٤٩) سورة الزمر آية (٦٤ ، ٦٥) .
(٥٠) سورة يس آية (٣٧ ، ٣٩) .
(٥١) علم اللغة والدراسات الادبية - برند شبلنر : ترجمة محمود جاد الرب - الرياض ، ١٩٨٧ م ط الاولى ، ص ٧٥ .
(٥٢) الخصائص ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧ .
(٥٣) المثل السائر ، جـ ٣ ، ص ٥٦
(٥٤) سورة التوبة آية (١٠٨) .
(٥٥) سورة الشعراء آية (٩٤) .

الحقول الدلالية
واشكالية المعنى

أحمد جواد
كلية التربية / الجامعة المستنصرية

أولاً : التمهيد

كانت هناك فرضية معتمدة بشكل كلي في منهج الوصفيين في التحليل اللغوي ، تقوم على أنهم كانوا يتعاملون مع النص بوصفه كياناً تاماً بذاته ، وبالتالي فإنَّ شكل النص « أي ترتيب عناصره » ممكن الوصف دونما حاجةٍ لأية إشارة الى معناه . وبذلك أُستبعد المعنى استناداً الى مبدأ الفصل بين المستويات اللغوية ، إذ إنَّ مبدأ الفصل هذا ناتج عن جهودهم الكبيرة في جعل علم اللغة قريباً في شكلهِ من علم الرياضيات الذي يقضي بوجوب استبعاد أي شيء لا يمكن أن يحال الى نظام تدوين علمي رمزي صارم .. لقد كان المعنى أصعب تبويباً من الشكل ، وهو بهذا أكثر ميلاً وخضوعاً للتفسيرات . كما أن ارتباطاته بمستويات اللغة الاخرى لم تكن واضحة المعالم .(١)

أما عند التحويليين فالموقف من المعنى / الدلالة مرَّ باكثر من مرحلة . إذ إننا نقرأ في المؤلفات الاولى لجومسكي موقفه الصريح الواضح من استبعاد المعنى والدلالة يقول « إن أفضل صياغة للنحو هي أن يكون دراسة قائمة بذاتها مستقلة عن علم الدلالة »(٢) . فهذا موقف صارم من المعنى والدلالة . إلا أن بحثه الموسوم بـ (البنية العميقة وغير العميقة والتفسير الدلالي . يعدّ واحداً من أهم الابحاث التي أشارت الى المدخل الحقيقي الى نظريته التي تشتمل على فرضية تقول ، بان البنية غير العميقة وكذلك البنية اللغوية العميقة تساهمان بتوفير المعلومات ذات الصلة بالتفسير الدلالي(٣) . يقول جومسكي « وتفترض النظرية القياسية الموسعة أن البنى السطحية تسهم بطريقة محدودة في التأويل الدلالي »(٤) . ثم تأتي نظرية كاتز وفودور بوصفها أول نظرية تُقترح في علم الدلالة . يقول جون لاينز « لقد صيغت نظرية كاتز وفودور لمعنى الجملة ضمن إطار تحليل المكوّنات »(٥) .

ويبدو أن إشكالية المعنى في الدراسات اللغوية تبقى بين أخذ ورد لاسباب يعود بعضها الى طبيعة تلك الدراسات وفلسفتها

ويعود الاخر الى طبيعة المعنى نفسه ، إذْ إننا نجد في الجانب الاخر نموّ اتجاهٍ معاكس تماماً فقد برزت مدرسة لغوية تولي المعنى دوراً حاسماً تمثل ذلك بالدور الوظيفي ، إذْ تبنتهُ مدرسة براغ ومؤسسوها ابتداءً من ماشيوس وانتهاءً بهالدي .

ان مباحث المعنى التي تناولها البنائيون والتحويليون والوظيفيون كانت تدور في فلك (معنى الجملة أو العبارة) .

أما معنى المفردة أو دراسة معنى المفردات فكانت له مدارس واتجاهات قطعت شوطاً كبيراً واتخذتْ نظريات متنوعة عُرفت بـ(علم دلالة المفردات) التي برزت في هذا العلم .

ثانياً : نظرية الحقول الدلالية :

١ ــ لم تتبلور فكرة الحقول الدلالية إلا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين على أيدي علماء سويسريين وألمان . وفكرةُ الحقل الدلالي تقوم على إعطاء مفردات اللغة شكلاً تركيبياً . فكلمات كل لغة ــ طبقاً لهذه الفكرة ــ تصنف في مجموعات ينتمي كل منها الى حقل دلالي معين ، وعناصر كل حقل يحدد كلٌ منها معنى الآخر ويستمد قيمته من مركزه داخل النظام[٦] . أو أن الحقل عبارة عن مجال تدور ضمنه مجموعة من الكلمات يصل بينها معنىً أساسي[٧] . وترى هذه النظرية أنه لكي تفهم معنى كلمة يجب أن تفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً أو كما يقول ليونز « يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي » .[٨]

٢ ــ أهم المباديء التي تقوم عليها هذه النظرية :

أ ــ لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل .

ب ــ لا وحدة معجمية لا تنتمي الى حقل معين .

حـ ــ لا يصح إغفال السياق .

د ــ لا تدرس المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي .

وقد وسّع بعضهم مفهوم الحقل الدلالي ليشمل :

١ ــ الكلمات المترادفة والمتضادة

٢ ــ الاوزان الاشتقاقية / الحقول الدلالية الصرفية .

٣ ــ أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية .

٤ ــ الحقول الخطية Syntagmatic / مجموعة الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال التي لا تقع أبداً في الموقع النحوي نفسه (كلب ــ نباح) ، وبعضهم يقسم العلاقات داخل الحقل الى نوعين : الوقوع المشترك والتنافر .[٩]

٣ ــ أنواع الحقول : يقسم أولمان الحقول الى أنواع ثلاثة :

أ ــ الحقول المحسوسة المتصلة ويمثلها نظام الالوان .

ب ــ الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة ويمثلها نظام العلاقات الأسرية .

حـ ــ الحقول التجريدية ويمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية ، إذْ يعدّ هذا النوع أهم من الحقلين المحسوسين نظراً للاهمية الأساسية للغة في تشكيل التصورات التجريدية[١٠] .

ويبدو ان كل لغة تنتظم في حقول دلالية ، وكل حقل دلالي له جانبان : حقل تصوري / مفهومي . وحقل معجمي / تعبيري ، إذ إن مدلول الكلمة مرتبط بالكيفية التي تعمل بها مع كلمات أخرى في الحقل المعجمي نفسه ، فإنّ كلمتين تكونان في الحقل الدلالي نفسه اذا أدى تحليلهما الى عناصر تصورية مشتركة . وبقدر ما يكثر عدد العناصر المشتركة بقدر ما يصغر الحقل الدلالي[١١] .

ــ العلاقات داخل الحقل ــ

لما كان علم الدلالة قائماً على الفكرة القائلة إننا نستطيع أن نحدّد معنى الكلمات بموجب ارتباطها بالكلمات الاخرى[١٢] . لذا كان من الضروري بيان أنواع العلاقات داخل كل حقل معجمي . وتنحصر هذه العلاقات بما يأتي :

١ ــ علاقة الترادف : تتحقق هذه العلاقة حين يوجد تضمّن من الجانبين كما في كلمة « أم » و « والدة » .

٢ ــ الاشتمال : وتُعد من اهم العلاقات وهي تختلف عن الترادف في أنها تضمّن من طرف واحد مثل « فرس » الذي ينتمي الى فصيلة أعلى « حيوان » وعلى هذا فمعنى « فرس » يتضمّن معنى « حيوان » واللفظ المتضمن يسمىٰ اللفظ الاعم أو الكلمة الرئيسة أو الكلمة الغطاء أو اللكسيم الرئيس أو الكلمة المضمنة أو المصنف[١٣] . ومن الاشتمال نوع يطلق عليه اسم الجزئيات المتداخلة وهي مجموعة من الالفاظ التي يكون كل لفظ منها متضمناً فيما بعده مثل : ثانية ، دقيقة ، ساعة .. الخ .[١٤]

٣ ــ علاقة الجزء بالكل ومثالها علاقة اليد بالجسم ، فاليد ليست نوعاً من الجسم ولكنها جزءٌ منه . وبذلك يمكن التمييز بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال ويدخل في هذه العلاقة جزء الجزء أيضاً مثل « أظفار ــ أصابع » و « أصابع ــ يد » فمن الممكن القول أصابع محمد بدون ذكر أظفار . ويمكن أن تحمل عليه الآية الكريمة « يجعلون أصابعهم في آذانهم » بدون ذكر الانامل . وكذلك القول : يدُ محمد ، بدون ذكر أظفار أيضاً .

٤ ــ التضاد : وأنواعه هي :

أ ــ التضاد الحاد أو التضاد غير المتدرج ومثاله : ميت / حي

متزوج / عَزَب ، ذكر / انثى . وهذا النوع لا يعترف بدرجات أقل أو أكثر . كما أن نفي أحد عضوي التقابل يعني الاعتراف بالاخر .

ب ـ التضاد المتدرج : وهذا النوع يمكن أن يقع بين نهايتين لمعيار متدرج أو بين أزواج من المتضادات الداخلية ، وإنكار أحد عضوي التقابل لا يعني الاعتراف بالاخر[15] .

حـ ـ تضاد العكس : وهو علاقة بين أزواج من الكلمات مثل :ـ
باع / اشترى . زوج / زوجة

د ـ التضاد الاتجاهي ، ذكره ليونز ومثاله العلاقة بين كلمات مثل : أعلى / أسفل . يصلُ / يغادر

هـ ـ التضادات العمودية والتضادات التقابلية أو الامتدادية ذكرها ليونز أيضاً فالعمودية : شمال بالنسبة للشرق والغرب . والتقابلية مثل شمال بالنسبة للجنوب[16] .

٥ ـ التنافر : وهو عدم التضمن من طرفين وذلك مثل علاقة : خروف / فرس . قط / كلب . ويدخل تحت هذه العلاقة ما يسمى بعلاقة الرتبة العسكرية والمجموعات الدورية مثل الشهور والفصول وأيام الاسبوع[17] .

العلاقات الاستبدالية والتلازمية داخل الحقل الدلالي

في العلاقات الاستبدالية تدخل الوحدة اللغوية عبر المقارنة أو التعويض في ظرف خاص مع وحدات مشابهة أخرى . أما في العلاقات التلازمية فيتحدد إرتباط الوحدات اللغوية باقتران ورودها بورود وحدات مشابهة أخرى .

ففي : باب احمر : ⇅ } تترابط الكلمتان (أحمر ـ أخضر) .
باب أخضر : } ترابطاً استبدالياً بعضها مع بعض

باب ← { أخضر } تترابط الكلمتان ترابطاً تلازمياً .. مع
باب ← { أحمر } « باب »[18] .

ويعود الفضل الى العالِم اللغوي دي سوسير في التمييز بين هذين النوعين من العلاقات القائمة بين العناصر اللغوية[19] .

إن نظرية الحقول الدلالية تولي هذين النوعين من العلاقات أهمية واضحة ، فالعلاقة التلازمية القائمة بين (يعض / اسنان) (ينبح / كلب) (أشقر / شَعر) ، وبشكل مختلف قليلًا قال فيرث « إنك ستعرف الكلمة عن طريق ما يصاحبها » . وقد أطلق على هذه المصاحبة لفظة (الاقتران) إذ يرى أنها جزء من معنى الكلمة[20] . والاقتران ليس مجرد ربط للافكار .

فعلى الرغم من أن الحليب أبيض فلا نقول عادةً (حليب أبيض)[*] . كما أننا نقول (كَتَبَ) : فعل ماضٍ . ولا نقول : فعل ذاهب . على أن هناك مجموعة كبيرة من التحديدات والقيود الاقترانية[21] .

ـ تطبيقات النظرية ـ

حظيت نظرية الحقول الدلالية باهتمام الانثروبولوجيين فضلًا عن اهتمام اللغويين ، والحقيقة ـ كما سيتبين لنا ـ أن مباحث المعنى والدلالة عند الغربيين لم تقتصر على جهود علماء اللغة حسب ، بل إن علماء من خارج اللغة كان لهم جهود كبرى في هذا المجال أثرت المباحث الدلالية وكشفت أمام الباحثين اللغويين عن معالم واسعة . وكان من تطبيقات هذه النظرية الشروع في عمل معجم كامل يضم الحقول الموجودة في اللغة كافة ولعل أحدث معجم يطبق هذه النظرية هو المعجم الذي يحمل عنوان Greek New Testament .

إذْ انه يقدم نموذجاً جيداً لمعجمات المجالات التي تقوم على التصنيف المنطقي والأساس التسلسلي . وهذا المعجم قائم على أربعة مفاهيم رئيسة : الموجودات entities والاحداث events ، والمجردات abstracts ، والعلاقات relations ، وتحت كل قسم من هذه الاقسام نجد أقساماً أصغر ثم يقسم كل قسم على أقسام فرعية وهكذا[22] .

ومن تطبيقات الحقول الدلالية ما نجدهُ في (الفعل) الواحد حين يستعمل في حقول دلالية متنوعة مثال ذلك :

١ ـ تحوّل القطار عن اتجاهه ـــــ وضع فضائي / مكاني
٢ ـ تحوّل الرجلُ الى لص ـــــ معاينة
٣ ـ صار العيش مملًا ـــــ معاينة
٤ ـ صار اليه كل المال ـــــ ملكية

في هذه الامثلة نجد كل فعل مستعملًا في حقلين دلاليين ، فالفعل هو هو ولكنه يغير حقله الدلالي بالتعميم عبر الحقل . وهذه وسيلة للتوسع في المعنى إذْ يحتفظ الفعل ببنيته الدلالية ولا يغيّر الا الجزء الذي يتعلق بالحقل الدلالي المختار [الملكية ـ المعاينة ـ الحركة] . وفي الاتجاه نفسه يمكن أن يؤول تعدد المعنى ، فالكلمة الواحدة يمكن استعمالها في حقول دلالية مختلفة ، فهذه الاستعمالات ليست منفصلة ولا عارضة وإنما هي متصلة[23] .

ومن تطبيقات هذه النظرية ما . عدّ بعضهم التحليل الى عناصر (النظرية التحليلية) امتداداً لنظرية الحقول ومحاولة لوضع النظرية التحليلية على طريق أكثر ثباتاً[٢٤] . ومن تطبيقاتها في الدراسات الادبية دراسة قامت بها (أوديت بيتي) تحت عنوان « تحليل نصي للفصل الاول من كتاب الايام / طه حسين » « حقل الهواجس »[٢٥] .

ـــ الحقول الدلالية ومعجمات الموضوعات القديمة في العربية ـــ

هناك شبه كبير بين معجمات الحقول الدلالية الحديثة وكتب الموضوعات التي ألفت في القرن الثالث الهجري ، فكلاهما يقسم الاشياء الى موضوعات ، وكلاهما يعالج الكلمات تحت كل موضوع ، وكلاهما قد سبق بنوع من التأليف الجزئي المتمثل في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد ودراستها تحت عنوان واحد[٢٦] .

ان الجهود التي قام بها اللغويون القدماء في تصنيف الالفاظ بحسب موضوعاتها أو ما يسمىٰ اليوم بالحقول الدلالية ، كانت تسير على وفق منهج لغوي هدفهُ تاكيد قضية الاعجاز القرآني في ضوء الاستعمال القرآني لهذه الالفاظ ، ولذلك نجد كثيراً من المباحث الدلالية تتخذ من الاستعمال القرآني مبدأ في تصنيف الالفاظ بحسب معانيها .

والامثلة كثيرة ، منها على سبيل المثال : ألفاظ المطر فهناك القطر / والغيث / والمزنة / والديمة / والوسمي ... وغيرها وهذه كلها تندرج بحسب نظرية الحقول الدلالية تحت حقل المطر .

ولذلك نحن لا نتفق تماماً مع الدكتور أحمد مختار عمر في نعته لجهود اللغويين بكونها لا تتبع منهجاً معيناً وأنها غير منطقية في التطبيق أو أنها لا تهتم ببيان العلاقات بين الكلمات ، إذ يكفي أن نذكر كتاب المخصص لابن سيده (٤٥٨ هـ) الذي نعته الدكتور أحمد مختار عمر بانه أضخم ما وصل الينا من معاجم الموضوعات[٢٧] . إلا أن النقطة الجوهرية التي يفترق بها البحث اللغوي العربي عن البحث الاوربي في مجال مباحث المعنى والدلالة ، هذه النقطة تكمن في ان مباحث المعنى والدلالة عند العرب وُلدت في محراب الاعجاز القرآني ، أما عند الاوربيين فإنها وُلدتْ في احضان الانثروبولوجيا والسيكولوجيا ، ولذلك اختلف المنهجان بسبب نقطة البداية والهدف ، فالمتتبع لهذه المباحث عند الاوربيين يجد أن اكثر العلماء الذين بحثوا في هذا المجال هم من علماء الاجتماع والنفس ، بل علماء اللغة أنفسهم قد درسوا وتخصصوا في هذين العلمين أو في أحدهما في الاقل .

وبسبب ذلك نجد مباحثهم قد اقتصرت في بادىء الأمر على الموضوعات الاجتماعية مثل ألفاظ القرابة والفاظ الطّهْو والالوان وغيرها ، ونحن إذا ما أردنا مقارنة الجهدين العربي والاوربي فمن التعسف بمكان المقارنة بينهما دون حساب الفارق الزمني وما يتبعه من اختلاف في المناهج والاساليب ، وما دام العرب هم الأقدم في تناول هذه الموضوعات او المباحث التي تسمىٰ اليوم بالحقول الدلالية ، فلهم يعود فضل السبق والريادة .

ـــ الملاحظات ـــ

١ ـــ علاقة التضاد داخل الحقل المعجمي ولا سيما التضاد الحاد أو التضاد المتدرج مثل : حي / ميت . متزوج / عَزَب ذكر / انثى .. تبدو هذه العلاقة من خلال وصف علماء اللغة لها بانها غير دقيقة تماماً إذْ إنها تنفي صفة التدرج في هذه الالفاظ والحقيقة أن اللغة لا يمكن بأية حال من الاحوال أن تفقد حلقة التدرج حتى في تلك الكلمات التي تبدو أنها ثنائية تضادية لا تدرج فيها ، ففي / حي / ميت ، هناك تدرج (بين بين) لا هو بميت ولا هو بحيّ . وقد استعملت ألفاظ للدلالة على هذا التدرج « بين بين » منها مثلاً « محتضر » وفي الاستعمال القرآني « اذا حضر أحدكم الموت » ، فحضور الموت هو تدرج (بين الحياة والموت) إلا انه الى الموت أقرب ولذلك تكون علاقة التدرج هكذا : حي / محتضر / ميت . وكذا الامر بالنسبة الى متزوج / عَزَب . إذْ إن هناك (بين بين) وهو (المعاشر) الذي لا يعد متزوجاً ولا عَزَباً . فهو الذي تكون له علاقة بامرأةٍ يختلف اليها لكنه لا يعد متزوجاً ولا يعدّ عَزَباً ، وعليه تكون علاقة التدرج ، عَزَب / معاشر / متزوج . وكذا الامرُ في الثنائية :

ذكر / أنثى . فهناك أيضاً (بين بين) وهو الخنثى الذي يميل في طبعه الى الانوثة ، وهناك المسترجلة التي تميل في طبعها الى الرجولة ، ولذلك تكون علاقة التدرج : ذكر / خنثى / مسترجلة / انثىٰ .

وكذلك : جمل / مستنوق / ناقة

٢ ـــ العلاقة بين الكلمة الاساس وكلمات الحقل الاخرى : يبدو أنها تكتسب معناها من حيث قربها من الكلمة « الأساس » ومن حيث بعدها عنها ، فكلما كانت اللفظة في الحقل قريبة من الكلمة الاساس كانت مساحة المعنى واسعة وكبيرة ، وكلما بعدت عنها كانت مساحة المعنى ضيقة وصغيرة .

ومثاله ألفاظ حقل الاكل :

فالحقل هو (الاكل) : الذي هو عملية ادخال شيء مادي الى جوف الانسان أو الحيوان لسد حاجة الجوع . وهذه الصفة تبدو واضحةً في الكلمة الاساس ثم تاخذ معاني أخر ، وأحياناً معنى خاصاً لنوع معين .

٣ ــ أفضل ما تكون دراسة مباحث الدلالة في الحقل عندما تكون الكلمات أو الالفاظ منتظمة في سياق معين .

أكل	خضم	بلغ	التقم	لطع	لحس	افترس	نقز	لقط
عام مشترك لانسان والحيوان	قضم للزرع اليابس والاخضر (تخصص)	خاص بالحيوانات الضخمة	كان عاماً ثم خصص	غالباً عند الحيوان	عند الحيوان	عند الحيوان المفترس فيه وحشية	عند الطير فقط	عند الطير فقط

الهوامش

(١) فهم اللغة / نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي / ٤٦ .
(٢) نفسه / ٢٢ .
(٣) نفسه / ١٩٨ .
(٤) تاملات في اللغة / ٧٤ .
(٥) اللغة والمعنى والسياق / ١٧١ .
(٦) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ٨٢ .
(٧) عصر البنيوية / ٢٨٦ .
(٨) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ٨٠ .
(٩) نفسه .
(١٠) نفسه / ٨٢ .
(١١) اللسانيات واللغة العربية / ٢٠٢ .
(١٢) علم الدلالة / بالمر / ٧٧ .
(١٣) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ١٠٠ .
(١٤) علم الدلالة / بالمر / ٧٨ .
(١٥) الالسنية / ٢٢٩ .
(١٦) علم الدلالة / بالمر / ٨٨ .
(١٧) للمزيد ينظر علم الدلالة / بالمر / ٩٠ .
(●) بعض الشركات تنتج حليباً ملوناً منه الابيض والبرتقالي . إلا اذا قصد بالحليب (اللبن) فلا نقول : لبن أبيض .
(١٨) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ٨٧ .
(١٩) اللسانيات واللغة العربية / ٢١٠ .
(٢٠) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ١٢٠ .
(٢١) أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث / ١٢٥ .
(٢٢) علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ١٢٠ .
(٢٣) علم الدلالة / ١٢٠ .

■ المصادر ■

١ ــ اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث / توفيق الزيدي / الدار العربية للكتاب / طرابلس / ليبيا / ١٩٨٤ .

٢ ــ الالسنية / المبادىء والاعلام / ميشال زكريا / ط ـ ٢ / ١٩٨٣ .

٣ ــ اللسانيات واللغة العربية / عبد القادر القاسمي الفهري / بغداد .

٤ ــ اللغة والمعنى والسياق / جون لاينز / ترجمة عباس صادق / بغداد / ١٩٨٧ .

٥ ــ تاملات في اللغة / تقديم جومسكي / ترجمة مرتضى جواد باقر / وعبد الجبار محمد علي بغداد / ط ـ ١ / ١٩٩٠ .

٦ ــ عصر البنيوية / أوديت كيرزويل / ترجمة جابر عصفور / بغداد / ١٩٨٥ .

٧ ــ علم الدلالة / أحمد مختار عمر / ط ـ ١ / ١٩٨٢ .

٨ ــ علم الدلالة / بالمر / ترجمة مجيد الماشطة / ١٩٨٥ .

٩ ــ فهم اللغة / نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي / مورو وكريستين كاينغ ترجمة حامد الحجاج / مراجعة سلمان الواسطي / بغداد / ١٩٩٨ .

شعرية الخطاب واشكالية التجنيس

قراءة جمالية في ((رسالة)) عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب (رض)

د . محمد صابر عبيد
كلية التربية / جامعة تكريت

مقاربة في المنهج :

تسعى هذه القراءة الى تحليل رسالة عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب (رض) تحليلاً جمالياً ، يأخذ بعين الاعتبار انتماء هذا النوع الفني الى نمط خاص من الخطاب السردي ، لم يأخذ حصته المرجوة من الاهتمام النقدي ، كما هو الحال بالنسبة للخطابات المماثلة كالخطبة والمقامة والحكاية الخرافية والسيرة الشعبية فضلاً عن الخطابات السردية الحديثة كالرواية والقصة والمقالة وغيرها .

ولا يخفى ما تنطوي عليه القيمة الزمنية - التاريخية والحضارية لهذه الرسالة ، كونها تسهم في الكشف عن قوة الخطاب النثري فنياً وجمالياً في العصر الاسلامي ، ومدى ما كان يتمتع به القادة المسلمون الاوائل من بيان بارع ، يضاهي براعة سيوفهم وقوة ايمانهم .

تنهج قراءتنا نهجاً حديثاً في الاستقراء والمعاينة والتحليل ، في الوقت الذي تمكنت فيه اللسانيات والشعريات والسرديات الحديثة من تقديم خدمة كبيرة للادب العربي قديمه وحديثه ، عبر كشوفها المنهجية المثيرة في تحليل انماط خطاباته ، والكشف عن طاقاتها الفنية العالية الكامنة فيها ، سواء على المستوى البنيوي ام السيميائي ، مما لم يكن متاحاً امام المناهج التقليدية التي هيمنت طويلاً على الدرس النقدي العربي .

تميل معظم المناهج الحديثة : « اكثر فاكثر الى اعتماد النص مصدراً اولاً ورئيساً للدراسة ، وصولاً الى ما يتوخى من اهداف : خصائص العمل الادبي ، دلالات تتعلق بالعصر او بفن من الفنون الخ . والنقد في هذه الحال ، ينطلق من النص كبنية ، يقارب اللغة التي ينهض بها النص ، يقوم بتفكيكها ، ينظر في الاجزاء المكونة للبنية ، يكشف عناصر النص ، يضيء محموله ليقدم من ثم استنتاجاته »[1] النقدية ، وقد توفرت على قدر عال من الدقة والعلمية والفنية ، وربما يكون النص التراثي العربي - بوصفه اثراً خالداً - ، بحاجة الى مثل هذا الاستقراء والتقويم للتدليل على عمق هذا التراث وغناه .

ينتمي النص الذي انتخبته هذه القراءة للنقد والتحليل الى فن الرسائل ، وعلى الرغم من أن هذا الفن في العصر الاسلامي - خاصة - ، ينطوي على غائية نفعية ذات سمة سياسية ودبلوماسية او حضارية او اجتماعية او غايات اخرى تتسع باتساع هذا الفن ، فان اعلامه تركوا ميراثاً خصباً بالفن لغة وصورة وبناء ودلالة ورؤية ، واستكمالاً لضرورات المنهج النصي الذي قاربت به قراءتنا هذا النص ، فاننا سنورد نص الرسالة كما وردت في كتاب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة »[2] :

« قال بعض المؤرخين : انه لما استقر عمرو بن العاص رضي الله عنه على ولاية مصر كتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ان صف لي مصر ، فكتب اليه :

ورد كتاب امير المؤمنين اطال الله بقاءه يسالني عن مصر : اعلم يا امير المؤمنين ان مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر ، يكنفها جبل اغبر ، ورمل اعفر ، يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات ، تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر ، له اوان يدر حلابه ، ويكثر فيه ذبابه ، تمده عيون الارض وينابيعها حتى اذا ما اصلخم عجاجه ، وتعظمت امواجه ، فاض على جانبيه فلم يمكن التخلص من القرى بعضها الى بعض الا في صغار المراكب ، وخفاف القوارب ، وزوارق كأنهن في المخايل ورق الاصائل ، فاذا تكامل في زيادته ، نكص على عقبيه كاول ما بدأ في جريته ، وطما في درته ، فعند ذلك تخرج اهل ملة محقورة ، وذمة مخفورة ، يحرثون بطون الارض ويبذرون بها الحب ، يرجون بذلك النماء من الرب ، لغير ما سعوا من كدهم ، فناله منهم بغير جدهم ، فاذا احدق الزرع واشرق ، سقاه الندى وغذاه من تحته الثرى ، فبينما مصر يا امير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، اذا هي عنبرة سوداء ، فاذا هي زمردة خضراء ، فاذا هي ديباجة رقشاء ، فتبارك الخالق لما يشاء . الذي يصلح هذه البلاد وينميها ويقر قاطنيها فيها ، الا يقبل قول خسيسها في رئيسها ، والا يستادى خراج ثمرة في اوانها ، وان يصرف ثلث ارتفاعها ، في عمل جسورها وترعها ، فاذا تقرر الحال مع العمال في هذه الاحوال ، تضاعف ارتفاع المآل ، والله تعالى يوفق في المبدأ والمال .

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لله درك يابن العاص ! لقد وصفت لي خبراً كأني اشاهده . »

بنية الاستهلال والموجهات السردية للخبر :

تتشكل بنية الاستهلال في الخطاب الادبي استناداً الى طبيعة الخطاب ونوعه ومقصديته ، اذ « يرى ارسطو ان الاستهلال جزء من البرهان على الشيء ، لا نذكر الشيء الا من اجل البرهنة عليه »[٣] ، فالاستهلال في هذه الرسالة يقدم « مفروضاً » يجتهد متنها في البرهنة عليه :

« ورد كتاب امير المؤمنين اطال الله بقاءه يسألني عن مصر »

وهو بذلك استهلال تسبيبي ينطوي على مجموعة من الموجهات ، تحدد المكونات السردية المزمع تشغيلها في الخطاب السردي المؤلف للرسالة ، ويمكن تصنيفها بما يأتي :

١ - تعريف الخطاب « الرسالة » بانه اجابة عن خطاب « وارد » وليس اجتهاداً نابعاً عن رغبة شخصية في تاليفه « ورد كتاب امير المؤمنين » ، وهذا بحد ذاته يمنح الرسالة منهجاً خاصاً في الصياغة وانتخاب المادة اللغوية والموضوعية المؤلفة لها ، فضلاً عن ان الاشارة الى « امير المؤمنين » يضع نسق الرسالة - داخل نظرية الخطاب « مرسل - رسالة - مرسل اليه » - في نمط معين تقليدي ، عليه ان يلتزم بضوابط تاليفية متعارف عليها ، يفرضها موقع المرسل بالنسبة للمرسل اليه ، وانعكاس ذلك على طبيعة بنائية محددة للرسالة .

بمعنى ان الرسالة استجابة لمرسلة ، وبالتالي فهي محكومة ضرورة بمنطق المرسلة وفضائها ومتطلباتها ، ويمثل هذا المنطق - في التقدير العام - سلطة تضغط على المؤلف للانضباط الكلي داخل حدوده ، وعدم التصرف بالكتابة انطلاقاً من نزعة ذاتية ، قد تقود الرسالة في نسق معين من انساقها خارج المجال الضاغط - المطلوب ..

ان الالتزام بهذه المتطلبات هو الذي يتمذج الرسالة ، ويخطط لمجاليها البنيوي والسيميائي .

٢ - تسهيل مهمة الخطاب لغة ودلالة بوساطة الجملة الاعتراضية الدعائية « اطال الله بقاءه » ، وهو اسلوب تقليدي في المخاطبة ، يفرضه واقع العلاقة الدبلوماسية بين طرفي الخطاب « مرسل / ادنى » و « مرسل اليه / اعلى » .

وعلى الرغم من تقليدية هذه الجملة وتكرارها في اية رسالة من هذا النوع ، الا انها تحولت الى لازمة خطابية تسهل عملية الانتقال الى نص الخطاب سياقياً ، فضلاً عن ان الفضاء الذي تصنعه داخل اجواء الرسالة ، مما يتيح قدراً من الحرية والانفتاح في صياغة متن الرسالة .

٣ - تحديد مضمون الخطاب الوارد ، الذي نهض على اساسه خطاب الرسالة « يسألني عن مصر » ، والمضمون الاستفهامي للخطاب الوارد هنا مضمون عام وشامل ومفتوح ، وعلى الرغم من انه يحدد الموضوع تحديداً مكانياً وزمانياً واضحاً فإنه يترك حرية التناول والتعبير مفتوحة ، تتيح لمؤلف الرسالة / الخطاب المجيب فرصة كاملة لبناء خطابه ، بالشكل الذي تمليه ضرورات فنية ، تنبع من طبيعة المؤلف وموهبته في صناعة الخطاب ، بطريقة تكشف عن ثقافته وقدراته الاسلوبية ، وعمق مرجعياته وادراكه لاسرار اللغة وطاقاتها في التعبير والابانة والتوصيل ، ولا سيما اذا عدنا الى مضمون « يسألني عن مصر » ، وهو في الخطاب الوارد « صف لي مصر » ، ويتضح منه شمولية وحرية وفنية ، يتضمنها الفضاء المقترح للفعل الامري « صف » ، وهو يتطلب امرين : الاول اختباري للكيفية التي سينتقي فيها المخبر اسلوب صناعة الخبر من الناحية الفنية والجمالية ، والثاني معرفي يتضمن طبيعة المادة الموضوعية ، التي يهدف الخبر التعريف بها تعريفاً دقيقاً ، وتمثل ضرورات معرفية ميدانية « جغرافية وتاريخية واجتماعية » ، تدعم الرسالة بقدر عال من الاشباع الذي يتطلبه السؤال الوارد ، وباسلوب انتخابي يتناول المفردات حسب تدرج اهميتها ، من الاكثر اهمية ، الى المهم ، الى الاقل اهمية . وضرورات قيادية تكشف عن قدرة المؤلف على اتقان صنعه « القيادة » ، وما يتمخض عن ذلك من حسن اهتمام بمفردات معينة ، استناداً الى ذكاء العقل القيادي ومرونته ، ومهارته في قراءة الاشياء قراءة صحيحة وشاملة .

ان الاستهلال بهذا التشكيل بدا وكانه مفتتح لا ينتمي الى المتن النصي انتماءً حاسماً ، بالقدر الذي يطرح نفسه موجهاً ، وما يجعلنا نطمئن كثيراً الى هذه القراءة ، هو ان الخطاب الذي يتضمنه الاستهلال يتوجه نحو مرويٍّ له عام / غائب ، على حين يبدأ المتن بتخصيص مروي له خاص / حاضر « اعلم يا امير المؤمنين » ، وهذا التحول الخطابي يرافقه تحول اسلوبي للدخول في فضاء الرسالة / الفن ، الذي تقدم قراءتنا هذه تحليلاً لنظمه البنائية والسيميائية .

السياسة السردية للمتن النصي :

يفتتح الخطاب متنه النصي - بعد المقدمة الاستهلالية بـ« إعلم يا امير المؤمنين » ، ويتم الفعل « اعلم » عن خطاب احاطة واعلام بالغ القصدية ، الى مرويّ له مسمى محدد « يا امير المؤمنين » .

ولعل فن الرسائل من بين معظم انماط الفنون السردية ، هو الاكثر تخصيصاً وتقييداً في تعيين مكوناته السردية وحصرها ، فالراوي غالباً هو الكاتب نفسه ، والمروي له هو المرسل اليه « القارىء الاوحد » ، الا في حالة نشر الرسالة خارج هذا الاطار الضيق ، فان المروي له يتحول من ظاهر الى مضمر / محتمل ، وبذلك ينفصل المروي له عن القارىء ، وكذلك ينفصل الكاتب عن الراوي ، لأن المهمة السردية التي ينهض بها الخطاب ، تتحرر من المقصدية السردية الضيقة لتنفتح على افق سردي واسع .

ثم يستعيد الخطاب « المفروض » المكاني « ان مصر » ، الواجب نقله الى المروي له برهانياً بلغة واصفة ، تعتمد سرداً تصويرياً دقيقاً وشاملاً ، وكما تطلبه الخطاب الوارد « صف لي مصراً » . فاستعادة « المفروض » المكاني بالجملة الابتدائية « ان مصر ... » ، وهي تستدعي خبراً يستوفي بشكل ما شروط الاحاطة والشمول ، يتعين الخبر الموصوف اولاً « قرية غبراء / وشجرة خضراء » ، ليذهب الراوي بعدها واصفاً ومفصلاً ومصوراً ،

وكانه يستخدم آلة تصوير ميدانية ، تعزز لغته الساردة باستعراض فني لصورة المكان وخصائصه وصفاته الجغرافية والاجتماعية والحضارية ، ابتداء من المحيط وصولاً الى المركز .

المركز السردي هنا هو المركز المكاني ايضاً ومحور الاهتمام « يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ميمون الروحات » ، ولا يخفى لما لهذا التمركز من وعي اهمية الماء وخطورته سياسياً وحضارياً ، لذا نراه هيمن هيمنة طاغية على مساحة السرد في الرسالة ، كانه المعادل الموضوعي لـ« مصر » ، اذ ان وصف مصر جاء وصفاً للنيل الذي هو مصر ، كما يستدل على ذلك مما تضمنه خطاب عمرو بن العاص .

ان مراحل تطور بنية الخطاب المؤلفة للسياسة السردية ، وهي تقدم متنها النصي بهذا التشكيل ، مرت في رؤيتنا البنائية والسيميائية لتحليل الرسالة بثلاث محطات :

١ - اختصت المحطة الاولى باقامة وصف هيكلي ، يرسم الحدود الشكلية للمكان « قرية غبراء وشجرة خضراء ، طولها شهر وعرضها عشر ، يكنفها جبل اغبر ورمل اعفر » ، وهي محطة تمهيدية ، توفر للمروي له معرفة ميدانية تقرب من حدود المشاهدة للمكان العام ، بوصفه مشهداً كاملاً .

٢ - استخدام الراوي في المحطة الثانية ضاغطاً سردياً ، يركز الانتباه ويسلط عدسة مكبرة على تمركز المكان في « نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات » لجملة اسباب ، ربما كان اولها الانبهار والدهشة لراو ثقافته ورؤيته للاشياء « صحراوية » ، وثانيها الخطورة التي تنطوي عليها السياسة المائية اقتصادياً وسياسياً ، بالنسبة الى قائد يمتلك رؤية قيادية تحسب الاشياء بدقة ووعي كبيرين .

٣ - يشير في المحطة الثالثة الى منهج العمل في الولاية ، من خلال طبيعة جغرافية المنطقة وظروفها وقوانينها ، باسلوب سردي لا يتنازل فيه الاداء الفني عن شروطه لغة وصورة وايقاعاً ليختتم بهذا المثلث السردي شكل الخطاب .

بلاغة التشبيه وشعرية الصورة :

حفلت الرسالة بتشبيهات كثيرة ، كشفت عن قدرة تصويرية بارعة للقائد عمرو بن العاص ، لما انطوت عليه من طرافة وبلاغة من جهة ، ومشهدية من جهة اخرى قدمت صوراً فنية غاية في الشعرية ، وذات نظام خاص افاد كثيراً مما هو متاح من قوى شعرية وسردية في آن معاً .

الصورة التشبيهية الاولى ، هي : « تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر » اذ شبه النيل في حالة من حالاته « الزيادة والنقصان » وهما في حركة جدلية متوازنة بجدلية الحركة التعاقبية في جري الشمس والقمر ، وهو تشبيه صورة ذات نظام طبيعي ورياضي خاص ، فاختياره لتشبيه صورة طبيعية « ارضية » منتزعة من الواقع ، وهي صورة النيل في زيادته ونقصانه جرياً ، بصورة سماوية « جري الشمس والقمر » مستوحاة من القرآن الكريم في قوله تعالى « والشمس والقمر بحسبان »[٤] ، وجاء في تفسيرها « بحسبان : بحساب معلوم وتقدير سوي (يجريان) في بروجهما ومنازلهما ، وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب »[٥] . وذهب ابن كثير الى ان بحسبان « يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب »[٦] ، بالشكل الذي تتسق به « امور الكائنات السفلية ، وتختلف الفصول والاوقات ، وتعلم السنون والحساب »[٧] ، وبذلك تصبح الصورة المستوحاة صورة مركبة جدلية ، لا تؤدي وظيفة شكلية مجردة او دلالية مجردة وبالتالي فان اعتدادها مشبهاً به في صورة تشبيهية ، امر يتوجب ان ياخذ بعين الاعتبار جميع امتدادات المشبه به وطبقاته حركة وايقاعاً وتشكيلاً ودلالة .

وتذهب الصورة التشبيهية الثانية الى نمط آخر من التشبيه ، يدعى « التشبيه المشروط » بحسب البلاغيين القدامى ، ومفاده « ان تشبه شيئاً بشيء لو كان بصفة كذا او لولا انه بصفة كذا »[٨] ، كما في هذه الصورة :

« وزوارق كانهن في المخايل ورق الاصائل » . فالتشبيه مشروط بحصول حالة التشبيه في « المخايل » ، وهو جمع « مخيال » ، بمعنى ان المخيال فقط هو الذي يوصل التشبيه الى مستوى التحقق البلاغي ، وخارج هذا الفضاء الاشتراطي « المفترض » لا تشبيه .

والصورة في المخيال طيف قابل للغياب في اية لحظة ، مثل تلك الصور التي تمثل في الاصيل وهي مهددة بالغياب ، ان التشبيه هنا يستهدف تصوير لحظة خاطفة امعاناً في تكريس طرافتها وفنيتها وفرادتها ، ولعل سحب التشبيه الى هذا الفضاء الافتراضي « المخايل » ، يأتي من قدرة مختبر المخيلة على فرض آلية المخيال وقوانين عمله الخاصة لاستيعاب الصورة ، دلالة على بعد التشبيه وحاجته الى فضاء استثنائي لادراكه وتمثله .

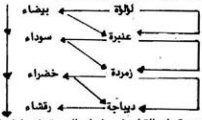
التشبيه - كما هو واضح - تشبيه جمعي ، يوسع مساحة الصورة ويملأ المشهد بها فالزوارق المشبهة بورق الاصائل « الحمامات ذات اللون الابيض الضارب الى السواد » ، وهن في وضع يختلط فيه السكون بالحركة - كما يوحيه المشهد - ، تتمخض عن اكثر من وجه شبه يمكن حصرها في اللون والحركة والاناقة والوظيفة .

تعدت لغة التشبيه في الصورة حدود الوظيفة البلاغية المجردة ، وخرجت الى وظيفة شعرية تشكيلية ، اذ ان شعرية الصورة تتأتى من خلال امكانية جمع المشبه والمشبه به في مشهد بانورامي شامل ، يقترب في تفاصيله من حدود اللوحة او اللقطة السينمائية مما يعمق الطاقات الشعرية للصورة التشبيهية ، ويدعمها بمستوى فريد من التصور .

اما الصورة التشبيهية الثالثة التي قدمها النص بفرادة وتميز فهي : « فبينما مصر يا امير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، اذا هي عنبرة سوداء ، فاذا هي زمردة خضراء ، فاذا هي ديباجة رقشاء » .

اذ شبه « مصر » وهي المرتكز المكاني الذي تمركز في بؤرته كل ثقل المروي وتحولاته وحالاته ، بمشبه به متحول تحولاً يخضع لقوانين الطبيعة ونواميسها ، ويمكن ان نطلق عليه تحولاً

تراسبياً من خلال اخضاعه لهذا المرتسم :



ان مستويات التطور في مفردات الصورة وفي طرفي المعادلة تاخذ شكلين ، مستوى التطور الاول يخضع لتحول شكلاني « لوني » « بيضاء← سوداء← خضراء← رقشاء » ، ومستوى آخر يخضع لتطور دلالي معبأ في البعد التشبيهي لكل مفردة من مفرداته « لؤلؤة← عنبرة← زمردة← دبياجة » .

ثمة علاقة بنائية متضافرة بين المستويين ، هذا التضافر العلائقي بينهما هو الذي يقيم المشهد ويؤسس اركان الصورة .

ان الاحساس باللون يتولد اساساً من مقصدية الدلالة ، بهدف ايصال الدلالة متضمنة الفكرة الى المروي له ، باقصى ما يمكن ان تنطوي عليه الفكرة « المنتخبة » من توصيل ، لكن المستوى التعبيري هنا يتجاوز حدود « التوصيل » المتوسل بالبيان ، الى توصيل مشهد تصويري يستدعي الرؤيتين الذهنية - الادراكية والبصرية - العينية ، ليتوصلا معاً بافاق المروي .

البنية التي نهض عليها التطور اللوني « بنية دراما » ، ودرامية التطور اللوني لا تتأتى من الخصائص التشكيلية المجردة للون ، بل من خلال ارتباط اللون بتحولات فعلية ميدانية ، تشتغل في الحقل الدلالي ، لتنتج مقاربات حياتية تسهم في تنظيم حياة الناس ومستقبل وجودهم ومصيرهم ، وبذلك فان اللون بهذه الحمولة الدلالية « الطبيعية » يرتبط في الذاكرة الانسانية بقيم ذات شان خطير في وجودهم واستمرارية حياتهم ، وغالباً ما اكتسبت هذه الالوان بالذات « بيضاء / سوداء / خضراء / رقشاء » ايحاءات خاصة ، اضيفت الى الدلالة الاولية للون من خلال امتزاجها القدري بهذه الدلالات .

ايقاع الخطاب : ايقاع السجع :

تلوّن الخطاب بايقاع يتردد صداه من البداية حتى النهاية ، مستفيداً من كل ما يتيحه فن الجناس بلاغياً لطاقة السجع ايقاعياً ، وكانت البنية الايقاعية التي حكمت لغة السرد ، وضبطت حركتها متماثلة مع البنية الدلالية ، ولا سيما في سعي اللغة السارية الى الوصف والتصوير وصناعة المشاهد الدالّة .

قدم النص سبع عشرة وحدة سجعية هي على التوالي « غبراء - خضراء / شهر - عشر / اغبر - اعفر / الغدوات - الروحات / حلابة - دبابة / عجاجه - امواجه / المراكب - القوارب / المخايل - الاصائل / جريته - درته / محقورة - مخفورة / الحب - الرب / كنهم - جدهم / الندى - الثرى / بيضاء - سوداء - خضراء - رقشاء - يشاء / يتميها - قاطنيها - فيها - خسيسها - رئيسها / الحال - العمال - الاحوال - المال - المآل » .

وغطت مساحته كاملة ، وكان لهذا التلوين الايقاعي اثره البالغ في ايصال الرسالة الى المستوى الذي جعل المروي له « عمر بن الخطاب رضي الله عنه » يقول : « لله درك يا بن العاص ، لقد وصفت لي خبراً كاني اشاهده » ، ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه الاستجابة من تقويم نقدي لقدرة الخطاب الوصفية والتصويرية والايقاعية على الاقناع الذهني والبصري ، بحيث تحول من خطاب لساني الى خطاب عياني او بصري .

الهوامش والاحالات :

(١) في معرفة النص ، يمنى العيد ، ص ١٧١ .

(٢) الكتاب من تاليف جمال الدين ابي المحاسن بن تغري بردي الاتابكي ٨١٢ - ٨٧٤ هـ ، وقد وردت الرسالة في الجزء الاول من الكتاب ص ٣٢ - ٣٣ ، واوردها نقلاً عنه احمد زكي صفوت في الجزء الاول من كتابه « جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة » ، ص ١٩٠ - ١٩٢ ، بالاختلافات الاتية : كلمة « نبابه » وردت في الجمهرة « نبابه » ، وكلمة « عجّاجه » وردت في الجمهرة « عجاجه » بتشديد الجيم الاولى وجملة « يحرثون بطون الارض » وردت في الجمهرة « يحرثون الارض » ، وجملة « الذي يصلح ... » وردت في الجمهرة « والذي يصلح .. » وجملة « فاذا تقرر الحال مع العمال في هذه الاحوال » . وردت في الجمهرة وعلى الرغم من ان هذه الاختلافات لا تؤثر كثيراً على المنطق النقدي الذي يحكم قراءتنا للنص ، فإننا فضلنا ايرادها حرصاً على الامانة العلمية ، معتمدين على النص الاصل الذي اورده صاحب « النجوم الزاهرة » .

(٣) الخطابة لارسطو ، وينظر الاستهلال - فن البدايات في النص الادبي - ، ياسين النصير ، ص ٤٩ .

(٤) سورة الرحمن : ٥ .

(٥) الكشاف للزمخشري ، ص ٤٣ .

(٦) صفوة التفاسير للصابوني ، ص ٢٩٤ .

(٧) انوار التنزيل للبيضاوي ، ٢ / ٤٥١ .

(٨) حسن التوسل الى صناعة الترسل ، شهاب الدين الحلبي ، ص ١١٦ .

المصادر والمراجع :

(١) القرآن الكريم .

(٢) انوار التنزيل واسرار التاويل ، البيضاوي ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، ط ١ بيروت ١٩٨٨ .

(٣) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، احمد زكي صفوت ، جـ ١ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د . ت .

(٤) حسن التوسل في صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي ، تحقيق ودراسة اكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠ .

(٥) الخطابة ، ارسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٠ .

(٦) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، جـ ٣ ، دار الرشاد ، ١٩٨٨ .

(٧) في معرفة النص ، يمنى العيد ، منشورات دار الافاق الجديدة ، ط ٢ ، ١٩٨٤ ، بيروت .

(٨) الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل:ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) ، المجلد الرابع ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت .

(٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف ابن تغري بردي الاتابكي ، جـ ١ ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، د . ت .

جهود علماء الكوفة وبيوتها العلمية في تواصل الثقافة العربية الاسلامية ١٢٨٥ - ١٥٣٤ م

د . نوري عبد الحميد العاني
كلية التربية (ابن رشد) بغداد

اتخذ المسلمون الكوفة بعد تحرير العراق قاعدة للجند يتطلعون للجهاد وتشجيع العرب على السكنى في الاراضي المحررة . وقد مصرها القائد سعد بن ابي وقاص بعد امر تلقاه من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) جاء فيه « اتخذ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً »[١] . اي ان تكون في طرف الصحراء لا يفصلها عن شبه الجزيرة العربية حاجز مائي . فاختار سعد موقع الكوفة واختطها واقطع الناس المنازل وانزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها .

وقد وفرت الادارة الحازمة والاستقرار والعيش الهانيء لسكان المدينة الذين تم تسجيلهم في ديوان العطاء واجري الرزق عليهم بانتظام ، فضلاً عن قرب المدينة من مدينة الحيرة القديمة التي كانت مركزاً لدراسة وترجمة كتب الفلسفة والطب ، كل ذلك وفر لها الشروط الموضوعية للنشاط الفكري والاسهام بدور فاعل في نشر الثقافة العربية الاسلامية . خاصة بعد ان نزل فيها بعض اصحاب الرسول (ص) وصاروا يعلمون الناس القرآن الكريم ويفسرونه ويروون الاحاديث النبوية الشريفة ويفتون في الاحداث الجارية وشؤون الناس اليومية باستنباط الاحكام من الكتاب والسنة ، ويجتهدون ويفتون برأيهم . كل ذلك وفر للكوفة حلقة كبيرة من العلماء كونوا بمرور الزمن مدرسة فكرية وحركة علمية نشطة كان من ابرز علمائها بعد ذلك ، شريح وعامر الشعبي وابراهيم النخعي وسعيد ابن جبير ، وتمت الحركة الفقهية حتى توجت بابي حنيفة النعمان (رض) .

ولم يكن اهتمام اهل الكوفة قاصراً على علوم الدين بل امتد الى اللغة والادب والشعر والعلوم العقلية . واقبل الناس على حلقات الدروس والتعليم بحماس وتحولت الكوفة الى مركز علمي يقصده طلاب العلم حتى قيل ان عدد طلاب الحديث فيها بلغ سنة ٧٠١ م اربعة الاف طالب[٢] .

قال المصنف عن ابيات للحصري ان همز استغنا وان لم يُعد خطأ لا عذر عنه ، وفيها كتب التطيلي نظما عن هذه المسالة : (المتقارب)

أتـانـي رسـولـك يقفـو الصـوابَ
فـإمـا يعمُّ وإمـا يخصّ

بعثتَ إليَّ بســـه خـــاتمـــاً
فـــركّبتُ فيـــه من العلم فصّ

تســائـلُ عن مــدّ ســوءاتكم
وقــد جــاء في قصره أصلُ نصّ

وصـغ لـــه فتحهـا عن هُــذيــلٍ
فلم يستمــــــره بجنـــــاحٍ أحصّ

التخريج الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة : ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) ؟
تحقيق : د . احسان عباس ، المكتبة الاندلسية (١٢) - دار الثقافة - بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥

وقد اتخذ العباسيون الكوفة عاصمة مؤقته لهم ، وبعد فترة قصيرة نقلوا العاصمة (لاسباب سياسية) الى الهاشمية القريبة منها ثم الى الانبار واخيراً الى بغداد

وقد ادى خروج مركز الحكم من الكوفة الى انتقال النشاط الاقتصادي والفكري الى العاصمة الجديدة (بغداد) واهمال مدينة الكوفة وضعف اجهزتها الادارية الامر الذي عرضها لهجمات البدو وهجرة الكثير من سكانها الى النجف القريبة منها والى بغداد والمدن الاخرى . ثم جاء الغزو المغولي للعراق ليزيد وضع المدينة سوءً والى خراب اجزاء واسعة منها . وقد اشار الرحالة العربي ابن بطوطة الذي زارها سنة ١٣٢٦ الى ذلك بالقول « ان الخراب قد استولى عليها بسبب ايدي العدوان التي امتدت اليها من فساد البدو المجاورين لها فانهم يقطعون طريقها » واضاف يقول « لا سور عليها وان قصر الامارة الذي بناه سعد بن ابي وقاص لم يبق الا اساسه » . ويبدو مما كتبه عن المدينة ان نشاطها الاقتصادي ظل قائماً و « ان اسواقها حسان واكثر ما يباع فيها التمر والسمك وان الفرات قريب منها على مسافة نصف فرسخ (ميل ونصف) وهو منتظم بحدائق النخل »[٣]

والى حد كبير ينسجم هذا الوصف مع ما ذكره حمد الله المستوفي القزويني سنة ١٣٣٩ الذي اقام ببغداد مدة حين ذكر ان معظم اجزاء المدينة كانت قرية في زمانه . ومع ذلك فهي تشتهر بنخلها والقصب الذي ينمو فيها اكبر واحسن من اي مكان آخر ، مع وفرة غلالها من القطن والحنطة والحبوب الاخرى وانها تروى من نهر ياخذ ماءه من الفرات[٤]

وعلى الرغم من خراب المدينة وانتقال مركزها التجاري الى مدينة النجف وهجرة الكثير من علمائها ومفكريها فقد ظلت مركزاً علمياً طوال القرون التالية حتى الحكم العثماني ، تلك الحقبة التي سجلها المؤرخون على انها اكثر الحقب التي مرت على العراق تخلفاً . فقد انجبت الكوفة الكثير من العلماء والمفكرين الذين ابدعوا في شتى مجالات الفكر والمعرفة ، وظهرت بيوتات علمية دافع افرادها عن العراق واهله واسهموا بقسط وافر في تواصل الثقافة العربية والاسلامية وحافظوا على تراث الامة وقيمها وتقاليدها ، وتصدوا للتيارات الفكرية الوافدة الغربية عن العراق في تلك العهود . ورفدت الكوفة كلًّا من بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من الحواضر العربية بالعلماء والمبدعين ورجال الادارة وفيما ياتي جوانب من نشاط هؤلاء واسهامهم في تواصل الثقافة العربية والاسلامية ممن وردت اسماؤهم في المصادر المعاصرة .

اول عالم كوفي وصلنا اسمه من تلك العهود هو علي بن عبد الله بن ابراهيم الذي غادر العراق الى الشام ومصر بعد الاحتلال المغولي لبغداد وكان نحوياً بارزاً حتى انه عرف بسيبويه تشبيهاً بالنحوي الكبير المعروف . وكان شاعراً اورد السيوطي بعضاً من اشعاره التي تدل على تمكنه في بغداد ميدان النحو والشعر

عـــزيت قلبي بهجـــر منـــك متصـــل
يـــا من هـــواه ضميـــر غيـــر منفصـــل
ما زال من غير تـــأكيد صدودك لي
فمـــا عـــدولـــك من عطف الى بـــدل

مات بالقاهرة سنة ١٢٦٨[٥] ولم تذكر المصادر شيئاً عن نتاجه الفكري .

وعالم آخر ذكره ابن شاكر الكتبي هو تقي الدين مبارك بن حامد الحداد ، كان له صيت كبير في الحلة والكوفة وتلك الاماكن كان « عنده دين وامانة وصدق لهجة وحسن معاملة » . توفي في بعلبك سنة ١٢٧٥ ورثاه الشعراء بقصائد طويلة[٦] وكان ممن غادر العراق بعد الغزو المغولي ايضاً .

ومن الذين كتبوا في النحو واللغة عمير الدين منصور بن محمد ، الكوفي كان « اديباً كاملًا عالماً بالنحو والصرف واللغة » حسب وصف ابن الفوطي له . والذي قرأ له (علل منع الصرف) الذي هو من الكتب المفقودة ، وابيات من شعره دون ان يذكر تاريخ وفاته . وانجبت الكوفة عالماً آخر طارت شهرته الى انحاء بغداد والعراق بالوعظ والتدريس والتاليف هو عفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي الواعظ . كان من القضاة والعلماء والادباء ، شهد عند اقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي (ت ١٢٦٨) وولي تدريس المدرسة المصمتية[٧] ببغداد وهي مدرسة انشاتها شمس الضحى بنت عبد الخالق الايوبية ارملة الشهيد احمد بن الخليفة المعتصم بالله . وقد تزوجها علاء الدين عطاء الجويني والي بغداد وكانت كثيرة الصدقات والاحسان فافتتحت هذه المدرسة سنة ١٢٧٢ واوقفتها على الطوائف الاربعة . واختارت لها افاضل علماء العصر واكثرهم اجلالًا وعلماً ومنهم عفيف الدين الكوفي المذكور الذي رتب مدرساً للحنفية[٨] . وسمع منه كثيرون منهج تاج علي بن سنجر البغدادي (ابن السباك) المتوفى سنة ١٣٤٨ الذي قرأ عليه اصول الفقه[٩] وروى عنه غياث الدين عبد الكريم احمد بن طاؤوس الحكي سنة ١٢٨٩[١٠] وناب في قضاء بغداد اضافة الى التدريس في المصمتية وقد عزل عن القضاء[١١] سنة ١٢٩٠ . وأشارت المصادر الى بعض مؤلفاته التي لا يزال بعضها مخطوطاً في خزانات الكتب العالمية . ويذكر السيوطي ان له شرح (مقصورة ابن دريد) وقد رأى خطه (توقيعه) عليها سنة ١٢٨٣[١٢] . وذكر له صاحب كتاب كشف الظنون شرحاً لكتاب (المقصور والممدود) تاليف ابراهيم بن يحيى الزيدي المتوفى سنة (٨٣٩ م) . واضاف المرحوم مصطفى جواد ان في خزانة يني جامع (الجامع الجديد) في استانبول نسخة من

كتاب آخر له بعنوان (شرح بيان كتاب سيبويه والمفصل) كتب سنة ١٢٩٦ . وقد صورتها الادارة الثقافية في الجامعة العربية . قال ابن الفوطي عنه كان اديبا فاضلاً عالماً بالكلام والاصول ، انشدني ما كتبه الى احد الاعيان سنة ١٢٨٩ ومنه :.

إنّا مدحناك لا من اجل حاجتنا
لكن لفضلك ان الفضل ممدوح
وباب حاجتنا ان سده قدر
فعندنا لك باب العز مفتوح
ولي اذا نلتها او لم انل امل
على فنائك ملقى الرحل مطروح
واي حكميك في امري حكمت به
قلبي بـــه طيب ......

لم تذكر المصادر تاريخ وفاة هذا العالم التي يبدو انها وقعت في نهاية القرن الثالث عشر .

وثمة علماء آخرون لم تصلنا سوى اسمائهم ومعلومات مختصرة عن حياتهم واعمالهم ومن هؤلاء عماد الدين عبد الله بن جعفر الكوفي الذي ذكره ابن الساعي في مشيخته وقال « كان اديباً شاعراً مدح الاكابر » دون ان يذكر سنة وفاته . وعماد الدين علي ابن احمد ابن محمد الكوفي المعروف بابن الطيوري الذي قدم بغداد من الكوفة « وكان رجلاً صالحاً يقرىء القرآن المجيد بالالحان بين يدي الوعاظ والجنائز . وكان حسن الصيت جميل الاخلاق متودداً » رآه ابن الفوطي وكتب عنه وعن ولديه تاج الدين محمد وعز الدين حسن . ولم يزل على طريقته الى ان توفي ببغداد سنة ١٣٠١ . وقد عرفت اسرة الطيوري بحبها للاسرة العباسية ومن بقي منهم الامراء في اسر المغول . اذ كان عز الدين حسن بن علي المذكور من القراء المجودين على طريقة ابيه عماد الدين علي . وقد استقر في تبريز وكتب عنه ابن الفوطي (وكان ممن اسره المغول ايضاً) في بغداد وتبريز وقال عنه « جميل السيرة حسن الملتقى لطيف الاخلاق نزلت في داره في خدمة الامير محمد بن المستعصم بالله (اسرة المغول ونقلوه الى مراغة) وخدم بوسع طاقته وذلك في شهر رمضان سنة ١٣٠٦ وهو اخو الفقيه تاج الدين محمد بن علي الطيوري »[١٣]

اما عز الدين الحسين بن ابراهيم المعروف بابن زريق الكوفي القاضي الحنفي فقد قدم بغداد ودرس الفقه والاصول ورتب معيداً بالمستنصرية ثم مدرساً بمدرسة جامع السلطان[١٤] . ثم ولي القضاة ببغداد وتردد الشهود في خدمته وجرت اموره على احسن نظام لنزاهته وعفته وزهده ولين كلمته . وهو حسن السيرة مقبل على شأنه » حسب وصف ابن الفوطي[١٥] . ولم توفق في العثور على تاريخ وفاته . ومحيي الدين صالح بن جعفر القريشي الكوفي الذي تولى قضاء الحلة وسمع من كمال الدين علي ابن وضاح الشهرباني المتوفى سنة ١٢٧٣[١٦] وعز الدين عبد المطلب بن الحسين بن محمد النقيب . الذي قدم بغداد وسمع منه شمس الدين محمد بن احمد الهاشمي الشاعر الكوفي بمنزله في الجانب الغربي بقصر عيسى .

اسرة الهاشمي المطلبي الكوفية : -

من البيوتات العلمية التي اشتهرت في الكوفة وعرفت بنشاطها الثقافي ببغداد وحرصها على تواصل الموروث الحضاري للامة في تلك الحقبة اسرة الهاشمي المطلبي ومن علمائها المعروفين شمس الدين محمد بن احمد بن عبيد الله الكوفي الشاعر المذكور اعلاه وهو من ولد ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب ولد سنة ١٢٢٦ وسمع من عز الدين عبد المطلب بن الحسين بن محمد الكوفي[١٧] المذكور اعلاه ايضاً ثم عمل واعظا ببغداد وعرف بكونه « اديباً فاضلاً عالماً شاعراً تولى التدريس بالمدرسة النتشية[١٨] حيث درس بها مدة وعمل خطيباً لجامع السلطان ووعظ بباب بدر[١٩] حتى وفاته سنة ١٢٧٦[٢٠] . وصف هذا الشاعر بانه (شيخ شعراء العراق) بعد الغزو المغولي . اوضح في شعره حالة بغداد بعد انهيار الخلافة العباسية . وكان واعظها ايام الخليفة المستعصم بالله . وشهد ما انزله المغول بالمدينة من قتل وتخريب[٢١] وما حصل بالاسرة العباسية فهو شاهد عيان كرس معظم خطبه واسفاره لوصف تلك النكبه في المجالس التي كان يقصدها في المستنصرية ويلقي مراثيه فيها فقال في احداها وهي قصيدة طويلة :

بانوا ولي ادمع في الخد تشتبكُ
ولوعة في مجال الصدر تعترك
بالرغم لا بالرضى مني فراقهمُ
ساروا ولم ادر اي الارض قد سلكوا
يا صاحبي ما احتيالي بعد بعدهم
اشر علي فان الراي مشترك
ان كنت فاقد الف نح عليه معي
فاننا كلنا في النوح نشترك
يا نكبة ما نجا من صرفها احد
من الورى فاستوى المملوك والملك
تمكنت بعد عز في احبتنا
ايدي الاعادي مما ابقوا لا تركوا
ربع الهداية اضحى بعد بعدهم
معطلاً وبه الاسلام ينسفك
كانوا وكانت حماة الغر تحرسهم
من الاعادي فلما نكبوا فتكوا
اين الذين على كل الورى حكموا
اين الذين اقتنوا اين الذي ملكوا

وقال في اخرى

كنا جميعاً وكان الدهر يسعدنا
والكائنات بكاس الامن تسقينا
والان قرت عيون الحاسدين بنا
بما جرى واشتفت منها اعادينا

فصار يرحمنا من كان يأملنا
وعاد يبعدنا من كان يدنينا
وبات يخذلنا من كان ينصرنا
وصار يرخصنا من كان يغلينا(٢٢)

وقال في قصيدة يتحسر فيها على خراب بغداد
يا دار اين الساكنون واين ذ
اك البهاء وذلك الاعظام
يا دار اين زمان ريعك مؤنقا
وشعارك الاجلال والاكرام
يا دار قد افلت نجومك غما
والله من بعد الضياء ظلام
فمتى قبلت من الاعادي ساكنا
بعد الاحبة لاسقاك غمام
والدار مذ عدمت جمال وجوهكم
لم يبق في ذاك المقام مقام
يا غائبين وفي الفؤاد لبعدهم
نار لها بين الضلوع ضرام
لا كتبكم تأتي ولا اخباركم
تروى ولا تدنيكم الاحلام

ولما شاهد ترب الرصافة وقد نبشت قبور الخلافة وبرزت العظام والرؤوس قال
ان ترد عبرة فتلك بنو العبـ
ـاس حلت عليهم الافات
استبيح الحريم اذ قتل الاحـ
ـياء منهم واحرقت الاموات

وقال ايضاً :
يا عصبة الاسلام نوحوا واندبوا
اسفاً على ما حل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه
لابن الفرات فصار لابن العلقمي(٢٣)

وعلى الرغم من العز الذي حظي به شمس الدين في بغداد فقد كان يتذكر موطنه الكوفة فيقول :
حنت النفس الى اوطانها
والى من بان من خلانها
بديار حيها من منزل
سلم الله على سكانها
تلك دار كان فيها منشاي
من غريبها الى كوفانها
فلكم حاورت فيها احوراً
ذلكم غازلت من غزلانها
لايلام الصب في ذكر ربا
بان من غير رضى عن بانها
ولكم قضيت منها اربا
آه واشواقاً الى كثبانها .
ليس لي شوقاً الى اطلالها
انما شوقي الى جيرانها
كلما رمت سلواً عنهم
لاتريم النفس عن اشجانها(٢٤) .

وله اشعار كثيرة اوردتها المصادر في اغراض شتى وله ديوان شعر في مدح النبي (ص) وآل بيته والاسرة العباسية وموشحات ومراث ودعوة للصلاح ووصف وغزل واغراض اخرى مثل وصف حمام المدرسة المستنصرية والنبات والربيع والحنين الى بلدة الكوفة . والواقع ان شمس الدين يعد من ابرز الشعراء الذين عاصروا الغزو المغولي وعاشوا ماساته وشاهد عيان كما حدث .

وعلى شاكلته نشأ ولده جلال الدين محمد فتربى وتتلمذ على يد والده ونشأ على طريقته في الوعظ والرثاء وكانت له مجالس بالمستنصرية ايضاً سمع من الرشيد محمد بن عبد الله والسلامي ومن اسماعيل بن علي الطبال (ت ١٣٠٨) والنظام الهروي وشهاب الدين محمد بن يعقوب (ت ١٢٨١) وهم شيوخ المستنصرية آنذاك . سمع من شهاب الدين المقامات الحريرية ومن النظام الهروي مشارق الانوار للصغاني ومن عبد الله ابن ورحز (ت ١٢٧٥) جامع الترمذي واجاز له عبد الصمد بن ابي الجيش (ت ١٢٧٧) وعبد الله ابن بلدجي وموفق الدين احمد الكواشي (ت ١٢٨١) ومحيي الدين صالح ابن الصباغ وشمس الدين ابن القتيل (توفي بعد سنة ١٣١٣) . ورتب مسمعاً للحديث بالمستنصرية وكان « من اكابر امناء بغداد » حسب قول ابن رافع السلامي(٢٥) مات سنة ١٣٥٤ ودفن الى جنب والدة قرب مشهد ابي حنيفة .

ومن رجال الكوفة الاعلام عميد الدين عبد المطلب بن علي الكوفي النقيب الذي وصفته المصادر المعاصرة بالادب والفصاحة تتلمذ عليه المؤرخ البغدادي ابن الفوطي في داره بالكوفة واثنى عليه كثيراً وقال « من محاسن الدنيا في علو الهمة ووفور الحشمة والدين المتين والعقل الرصين والاخلاق المهذبة والاعراف الطيبة . كان لافاضل بغداد عليه رسوم من الانعام يوصلها اليهم كل عام . ولما وصلت من مراغة اسهم لي قسطاً وافرا . كان اديباً فصيح البيان مليح الخط له اطلاع على كتب الانساب ومشاركة في جمع العلوم والاداب وصنف لاجله شيخنا جمال الدين ابن مهنا كتاب الدوحة المطلبية طالعتها في داره المعمورة (سنة ٦٨١ هـ ١٢٨٢) كان ينعم اذا ورد بغداد ويتردد الى داري ويطالع ما جمعته ووضعته والفته وصنفته »(٢٦)

ومن هذا النص يفهم ان عميد الدين هذا من الاسرة الهاشمية المطلبية وان افراد هذه الاسرة تتلمذوا على يديه ثم وانه كان من الوجاهة والثراء انه كان يخصص رسوم (رواتب) وانعامات لبعض علماء بغداد وقد توفي سنة ١٣٠٧ .

اسرة آل الصباغ :

من البيوتات العلمية في الكوفة التي اسهمت في تواصل الحركة الفكرية في تلك العهود واشتهر افرادها في طلب العلم تدريساً وتاليفاً وتميزوا بالادب والفصاحة وابدعوا في حقول المعرفة اسرة آل الصباغ الكوفي .

ذكرت المصادر منهم تقي الدين عبد الله بن جعفر بن علي ابن صالح ابن الصباغ الاسدي الكوفي . ولد بالكوفة ودرس فيها حتى اصبح عالماً . درس عليه جمال الدين الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي المتوفى سنة ١٣٢٥ وروى عنه جميع مروياته ومقروءاته ومسموعاته ، وما اجيز روايته ووصفه انه « من فقهاء الكوفة »[٢٧] وقال عنه ابن رافع السلامي « كان ثبتا اديباً فاضل الكوفة في وقته اخذ عنه كثيرون »[٢٨] . ولكن ابن حجر العسقلاني خلط بينه وبين ولده محيي الدين صالح وسايره في ذلك الخلط بعض الباحثين . ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته ولا اسماء مؤلفاته[٢٨] .

اما ولده محيي الدين صالح ابن الصباغ المولود بالكوفة سنة ١٢٤١ فقد تتلمذ على يد والده تقي الدين عبد الله وحفظ القرآن وعدة مختصرات في مذهبه . تفقه على علماء عصره فاجاز له والده تقي الدين وروى عن الشيخ رضي الدين الحسن ابن محمد الصفاني العدوي اجازة ، واجاز له سنة ١٢٥٢ وموفق الدين احمد ابن يوسف الكواشي[٢٩] . وتتلمذ على يديه عفيف الدين عبد الله ، وفخر الدين ابن الفصح اللومي وركن الدين عبد الصمد بن محمد القزويني بالكوفة . واجاز لتقي الدين ابن رافع السلامي بكتابته له من الكوفة سنة ١٣٢٠[٣٠] . برع في الفقه والاصول والنحو والتفسير والادب واللغة فكان « امام وقته وعالم الكوفة وفاضلها في زمانه . كان فيه خير وعبادة وله جلال ووقار[٣١] » . ويبدو انه انتقل الى بغداد في اواخر ايامه وبعد ان ذاع صيته فيها ، على الرغم من تعففه وعزوفه عن قبول المناصب الحكومية اذ وصفه ابن رافع السلامي بقوله « كان فقيهاً فاضلاً زاهراً ورعاً طلب لتدريس المستنصرية فامتنع . وله ادب وشعر وتصوف والقى دروسه (الكشاف) عدة مرات . كان جمال بلده وامامها في انواع العلوم ودخل بغداد » . وذكره تاج الدين عبد الباقي في ذيل الوفيات فقال « كان فريداً في علوم التفسير والفقه والفرائض والادب نادرة العراق في ذلك مع « الزهد والفضل والورع »[٣٢]

اجتمع به المؤرخ البغدادي ابن الفوطي في الكوفة سنة ١٢٨٢ وقال عنه « من فضلاء الدهر واعيان علماء العصر » وذكر تلمذة جلال الدين محمد بن محمد بن احمد الهاشمي الكوفي له وقراءته عليه ارجوزته في الفرائض الموسومة بالكافية ونعته (المدرس)[٣٣] على الرغم من امتناعه عن التدريس بالمستنصرية كما ذكرنا ، الامر الذي يدل على اشتهاره بالتدريس بالمدارس الشعبية . ولكن المصادر لم تذكر شيئاً عن نتاجه الفكري سوى قولها « له ادب وشعر وفرائض منظومة سماها (الكافية) وعدد ابياتها ٢٤٧ بيتاً . وقد ذكر السلامي « انشدنا اجازة لنفسه منها :-

نسيم الصبا مهما قصدت الى الحمى
تصدق بابلاغ السلام على الصب
وقد دنف بين الوصال وهجركم
وذا عجب كون البعاد مع القرب »

توفي ببغداد سنة ١٣٢٦ وله ثمانيه وثمانون عاماً .

واوردت المصادر اسماء عدد من العلماء والمفكرين التدريسيين والادباء الكوفيين دون تقديم معلومات مفصلة عنهم . فركن الدين محفوظ الكوفي كان معيداً بالمستنصرية وقد ذكره ابن رافع السلامي في ترجمته لصفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق المتوفى سنة ١٣٣٨ مدرس المدرسة المستنصرية والمدرسة المجاهدية وقال « ان ركن الدين محفوظ كان ممن درسوا عليه »[٣٤] ولم يرد له ذكر في المصادر الاخرى . اما الشاعر عز الدين الحسن ابن حمزه ابن الحسن الكوفي الاديب النحوي المؤدي المولود بالكوفة سنة ١٢٤٧ فقد وصف بانه « شيخ ادباء العراق على الاطلاق وله شعر رائق في الفنون ومدح جماعته . وكان قد اختص بتاديب جماعة من اولاد الصدور والاعيان » وانشد ابن الفوطي قصيدة طويلة من نظمه منها :-

وعاد عود الاماني مورقاً خضراً
بعوده ومنار الحق وهو جلي
فالشمس مر بها غيم فحجبها
حيناً وزال وذاك النور لم يزل »

وكان له شعر كثير حسب قول ابن الفوطي .

ووجه علماء الكوفة اهتمامهم لدراسة العلوم الرياضية الى جانب العلوم اللغوية والدينية . وتخرج من هذه المدينة علماء موسوعيون الا ان معظم كتبهم فقدت بسبب اضطراب الاوضاع السياسية ومن هؤلاء عماد الدين يحيى ابن محمد الحارثي الكوفي النحوي المولود بالكوفة سنة ١٢٧٩ « كان كاتباً حاسباً له ذكر » اورد ابن الفوطي بعضا من اشعاره[٣٥] . واضاف ابن حجر العسقلاني الى ذلك قوله « درس ببغداد حتى صار نحوياً لامعاً صنف كتاباً سماه - مفتاح الالباب في علوم الاعراب » . زار دمشق ودرس بها وسمع عليه كثيرون نظمه . ثم عاد الى الكوفة وتوفي بها سنة ١٣٥١[٣٦]

ومنهم ايضاً محي الدين صالح ابن عبد الله المعروف بابن القتيل الكوفي الخطيب الواعظ كان « من افاضل العصر واكابر علماء الزمان له تصانيف في الفقه وعلم الحساب وكان اخوه شمس الدين ممن اجاز للشاعر جلال الدين محمد ابن احمد الهاشمي الكوفي سنة ١٣١٣[٣٧]

اسرة ابن الفصيح الكوفي :-

ومن الاسر العلمية التي انجبتها الكوفة وذاع صيت افرادها طوال سنوات القرن الرابع عشر في العراق والاقطار العربية والاسلامية في تحصيل العلم والتاليف والتدريس اسرة ابن

الفصيح التي عرف ابناؤها بفصاحتهم واهتمامهم بالنحو والادب والفلسفة والعلوم العقلية منهم فخر الدين احمد بن علي النحوي المقرىء .

ولد بالكوفة سنة ١٢٨١ وبها نشأ وتلقى تعليمه ودرس واخذ عن علمائها ثم قدم بغداد وتعين في مشهد ابي حنيفة ودرس بمدرسته فاعاد وافاد ودرس الفقه على علماء بغداد المعاصرين له منهم حسام الدين السغناقي صاحب النهاية والمدرس بالمدرسة نفسها . وسمع من صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق مدرس المستنصرية والمجاهدية . واخذ عنه الحديث ، ومن محمد بن عبد المحسن الدواليبي المتوفى في سنة ١٣٢٨ وكان شيخا لدار السنة المستنصرية . ومن صالح بن عبد الله ابن الصباغ الكوفي . واجاز له اسماعيل ابن الطبال شيخ الحديث بالمستنصرية(٣٨) .

ذكر الشيخ عفيف الدين عبد الله ابن المطري انه « سمع عليه الجزء الذي خرجه الحافظ الذهبي لعفيف الدين وقال له ميل الى صناعة الحديث واهله وذكر بعضهم انه كان معظماً وانه افاد بمشهد ابي حنيفة ودرس به(٣٩) » . سمع منه قاضي القضاة قطب الدين محمد بن عمر التبريزي سنة ١٣١٨ . ووصفه ابن الفوطي بقوله « من اعيان افاضل العصر واكابر اماثل الدهر صاحب النثر المليح والنظم الفصيح رأيته في حضرة مولانا النقيب الطاهر جلال الدين ابراهيم بن عبد المطلب ابن المختار الحسيني فوجدته كريم الاخلاق وهو سبط الفصيح العامري وممن اجاز للعدل جلال الدين محمد ابن محمد الهاشمي الكوفي الشاعر سنة ١٣١٣(٤٠) درس بمدارس بغداد وافتى واقرأ العربية بالمستنصرية ، « كان فقيها كبيراً محدثاً حسن الاخلاق كثير التودد لطيف المحاضرة كثير الاحسان الى الطلبة بنفسه وبماله جامعاً للعلوم العقلية والنقلية » اشغل التلاميذ بالفقه وبغيره فذاع صيته بالعراق والشام .

ويبدو ان الاوضاع السياسية المضطربة في العراق بعد سقوط الدولة الايلخانية سنة ١٣٣٥ واندلاع الحروب والمؤامرات بين الطامعين في الحكم واهمال العلم من الحاكمين الاجانب دفعته لمغادرة العراق ، فتوجه الى دمشق مع عائلته سنة ١٣٤٠ فاكرمه (نائب الشام) وتولى التدريس هناك بمدرسة الخاتون بالقصاعين واعاد بالريحانية . وقد تفقه عليه جماعة من اهل الشام منهم عبد الوهاب احمد الدمشقي بتخريج ابن جماعة في العربية . وتصدر للافتاء والفقه وقراءة القرآن ومهر في حل المشكلات والغوامض حين اصبح اماماً عالماً بارعاً . اعجب اهل الشام بعلومه وجذبتهم دروسه الواضحة الجامعة الرصينة فمدحه شعراؤهم واثنوا على اسلوبه في التدريس وفصاحته وسعة علمه وحسن رعايته للطلبة وفائدتهم ومن هؤلاء الشعراء ابو حيان الذي مدحه قائلاً :

شوق الشام واستنارت رباه
بامام الائمة ابن الفصيح
كل يوم له دروس علوم
بلسان عذب وفكر صحيح(٤١)

وقال عنه السلامي « له مشاركة في علوم من حكمة وفلسفة وادب وله نظم وهو شيخ النحاة في بغداد وله مصنفات »(٤٢) في الفرائض والقراءات (قصيدة في الفقه ،(٤٣) اجاز روايتها وهي على وزن الشاطبية بغير رموز سماها حل رموز الشاطبية ، فجاءت في نحو حجمها بل اصغر . ونظم السراجية في الفرائض ومستحسن الطرائف في نظم كنز الفقه والرقائق ومنار الانوار في اصول الفقه والنافع في الفروع وغيرها . وقد اوردت المصادر بعضاً من اشعاره منها ابيات كتبها عنه ابو الخير سعيد بن عبد الله الدهلي المتوفى سنة ١٣١٢ . وتوفي في دمشق سنة ١٢٥٤ .(٤٤) وعلى طريقته تربى ونشأ ولده جلال الدين عبد الله بن احمد ابن الفصيح . المولود سنة ١٣٠٢ سمع على جماعة من علماء بغداد منهم ابن الدواليبي وعلى ابن عبد الصمد ابن ابي الحبش ثم انتقل الى دمشق فاستوطنها ودرس الحديث على علمائها مثل الخزرجي والذهبي(٤٥) وشارك في الفضائل . اشادت المصادر بغزارة علمه وادبه وحسن تدريسه فكان « فاضلاً له نظم حسن وكفاية قوية ثبتاً اديبا نابغة » كان يقرىء العربية بالمستنصرية وله شعر فائق وقصائد منها قصيدتان في مدح الرسول (ص) وقصيدة في معرفة عقود القيظ سماها (عقد الدر في عقود الحر) وقصيدة في ظاءات القرآن الكريم والقراءات للقرآن الكريم سماها (عمدة القراء وعدة الاقراء ، سمع منه ابو الخير الدهلي وحدث عنه .(٤٦) توفي سنة ١٣٤٤ :

وانجبت اسرة (ابن الفصيح) عالماً آخر هو عبد الرحيم بن احمد الكوفي الدمشقي . ولد سنة ١٣٢٦ ، وسمع من ابن عمر ابن المرابط السنن الكبرى للنسائي ومن ابن الخباز مسند الامام احمد(٤٧) . ثم سافر مع ابيه وعمه الى دمشق فاقام بها ودرس مع اخوته شيوخ العصر في الشام ثم انتقل الى القاهرة وحدث بالسنن الكبرى للنسائي وبمسند الامام احمد واقرأهما في دمشق وفي القاهرة وتفرد بهما هناك سمع منه اصحاب المؤرخ المعروف ابن حجر العسقلاني الذي اطلع على ثبت كان يحمله عبد الرحيم بخط والده واخذ عنه مباشرة المعلومات التي ثبتها في ترجمته ثم عاد عبد الرحيم الى دمشق ومات بها في العام نفسه . وأفاض ابن حجر العسقلاني في الحديث عن ولده شهاب الدين احمد ابن الفصيح وقال عنه « صاحبنا الكوفي الاصل البغدادي ثم الدمشقي نزيل القاهرة . كان جده من اهل العلم والطلب للحديث وحدث ابوه بالسنن الكبرى وبمسند الامام احمد » . نشأ وترعرع في كنف والده في الشام وعمل في التجارة ثم عمل نقيباً للحكم بدمشق ثم انتقل الى القاهرة وسكنها مدة وكان علي بن محمد الدمشقي المعروف بابن الادمي يكرمه ويعظمه لانه كان يقرب له من جهة النساء وبعنايته تعين شهاب الدين من النيابه بالخانقاه البيبرسية فاستمر بها من وفاته سنة ١٤٢٤ . وصف بانه « قليل الكلام كثير المعرفة بالامور الدنيوية محبا في الانجماع ولا يعاشر

الا اناساً مخصوصين » . قال عنه ابن حجر العسقلاني « ما اتردد انه سمع عن ابن اميلة ومن قبله لكن لم اقف مع ذلك تحقيقا وسالته عن ذلك فلم يعترف وسالته ان يجيز لجماعة فا متنع ضناً منه ان ذلك على سبيل السخرية لسمه تخيله » .

اسرة النعماني :-

ومن البيوتات العلمية الكوفية التي اسهمت في تواصل الفكر العربي طوال القرن الخامس عشر الميلادي على مستوى العراق والوطن العربي اسرة النعماني المنسوبة الى ابي حنيفة النعمان ، رحل بعض افرادها الى الشام وتولوا مناصب ادارية وعلمية منها . وانجبت هذه الاسرة علماء لم يشتهروا بعلمهم حسب بل وفي المنافحة عن العراق ومقاومة الحكام الاجانب ومحاربة التيارات الفكرية الواحدة وللانحرافات وقمع البدع . وكان في مقدمتهم حسام الدين ابن احمد بن عمر من ذرية الامام ابي حنيفة النعمان ابن ثابت نزيل بغداد . درس كثيراً وسمع الحديث من سراج الدين عمر بن علي القزويني (ت ١٣٤٩) واجاز له صالح ابن عبد الله الكوفي (ابن الصباغ) واعاد بمشهد ابي حنيفة ببغداد وتوفي سنة ١٣٨١

اما ابن اخيه تاج الدين احمد بن محمد بن عمر فقد ولد بالكوفة سنة ١٣٥٠ ثم انتقل الى بغداد ودرس على علمائها وسمع فيها الحديث وحدث بمسند ابي حنيفة جمع محمد بن محمود الخوارزمي بروايته عن عمه صالح ابن الصباغ[٤٨] . برع في فنون العلم ودرس وافتى واخذ عنه الاعيان وصنف واوردت المصادر اسماء بعض كتبه التي ليس له وجود الان منها رسالة تشتمل على اربعة وعشرين علماً ونظم ارجوزه في علوم الحديث وشرحها واختصر شرح البخاري للكرماني[٤٩] ويذكر الراحل عباس العزاوي ان جامع النعماني منسوب اليه او الى عمه[٥٠] .

عاش تاج الدين فترة سياسية مضطربة تعرض فيها كل من العراق والشام لغزو تيمور وما الحقه بهما من قتل وتخريب . ويبدو ان تاج الدين واسرته قد وقعوا في اسر القوات الغازية لبغداد سنة ١٣٩٣ او انه هجر مع من هجرهم تيمور من العلماء والمفكرين واصحاب الحرف الى سمرقند وحواجز اذربيجان حيث نقلت اسرته الى مراغه من اعمال تبريز وولد له ولد هناك اسمه حميد الدين[٥١] .

وبعد وفاة تيمور سنة ١٤٠٤ عاد تاج الدين واسرته الى بغداد وولي قضاءها فحدث سيرته الى ان استولى قره يوسف القرة قيونلي واولاده على بغداد سنة ١٤١٠ والذين مارسوا الظلم والقسوة فسعى تاج الدين وكان قاضي قضاة بغداد – لتطبيق الشرع والنهي عن المنكر . فناصبه اولاد قره يوسف العداء وعظم عليهم الامر وخاصة شاه محمد حاكم بغداد فامر بالقبض عليه وامتحنه وعذبه وجدع انفه ثم امر باخراجه من بغداد فغادرها الى دمشق ثم الى القاهرة سنة ١٤١٧ فاكرمه سلطانها المؤيد شيخ المحمودي واجرى عليه راتباًيكفيه . واخذ تاج الدين يحرض السلطان على محاربة اولاد قره يوسف ويدعوه لتحرير العراق منهم . ويذكر ابن حجر العسقلاني ان المؤيد هم بذلك لكن المنية عاجلته سنة ١٤٢١ . وبعد استقرار الظاهر ططر في السلطنة انتقل النعماني الى دمشق واقام بها حتى وفاته سنة ١٤٣٠ بعد ان عاش حوالي خمسة وثمانين عاماً[٥٢] .

نظم في علوم الحديث وله مرويات كثيرة وقد اخذ عنه ولده حميد الدين والزين قاسم الحنفي الذي رحل معه الى الشام واخذ عنه علوم الحديث لابن الصلاح وجامع مسانيد ابي حنيفة للخوارزمي وغيرها واجاز له سنة ١٤٢٠ . صاحب تاج الدين النعماني كبار مؤرخي مصر والشام المعاصرين واخذوا عنه معلوماتهم على العراق وغزو تيمور له وما احدثه من قتل واسر وتخريب فلقد صحبه المؤرخ المصري احمد بن علي المقريزي ورأى بخطه اجازة لبعض الطلبة ذكر فيها مرويات عديدة[٥٣] . وصاحب ابن عربشاه الدمشقي الذي كان من جملة العلماء الذين نقلهم تيمور مع اسرته الى سمرقند سنة ١٤٠١ لكنه عاد الى حلب وتوفي في مصر سنة ١٤٥٠ . وقد اخذ ابن عربشاه عنه كل معلوماته عن احتلال تيمور الثاني لبغداد وما انزله فيها من قتل وتخريب وقدر عدد القتلى تسعين الف وبنى تيمور من جماجمهم عدة ابراج وخربوا المدينة . وبعد ان سرد ابن عربشاه هذه الاخبار قال « كذا اخذت من القاضي تاج الدين احمد النعماني الذي كان حاكماً (قاضياً)[٥٤] ببغداد .

وصاحب تاج الدين ايضاً المؤرخ ابن حجر العسقلاني الذي التقاه في دمشق واخذ منه الكثير من المعلومات عن علماء الكوفة وخاصة ما ذكره بشان ترجمة صالح ابن عبد الله الصباغ فقال « حدث صاحبنا القاضي تاج الدين النعماني محيي قاضي بغداد بعد العشرين وثمانمئة بدمشق عن عمه حسام الدين عن محيي الدين صالح ابن عبد الله الصباغ الكوفي فهذا هو الحق في اسمه ووصفه » وذكر ابن حجر العسقلاني ايضاً في كلامه عن حسام الدين النعماني « نقلت نسبه من خط ابن اخيه القاضي تاج الدين النعماني لما قدم علينا من بغداد بعد سنة ١٤١٧[٥٥] .

وعلى نهجه سار ولده حميد الدين محمد الذي ولد في الاسر في مراغه ثم عاد مع اسرته الى بغداد ونشأ في رعاية والده وتفقه عليه وعلى الشريف عبد المحسن البخاري . ثم غادر العراق مع ابيه الى دمشق بعد ان اخرجهم شاه محمد ، وبعد ان عذبهم واضطهدهم . ثم دخل حميد الدين القاهرة سنة ١٤١٩ وتفقه فيها بالشمس ابن الديري والعز عبد السلام البغدادي قرا عليه الكشف الصغير . ثم رجع الى دمشق سنة ١٤٢١ واستقر بها . وتفقه على العلاء البخاري والشرف قاسم العلائي ولازم اولهما بنحو ثماني سنين مقتصراً على ملازمته واخذ عنه علم الشريعة والطريقة وسائر فنون المعقولات وولي القضاء بدمشق سنة ١٤٤٩ ثم صرف عنه غير مرة . وحج مراراً حيث اطلع على الحياة العلمية في الحجاز ودرس فيها اذ سمع ابن فهد اولاده وغيرهم عليه بعض مسانيد ابي حنيفة للخوارزمي .

جمعته وابن حجر العسقلاني علاقة وثيقة واخذ عنه الاخير الكثير من المعلومات منها هذه الترجمة لنفسه وقال عنه « ولي

تداريس وانظار عده كالغرية والخاتونية والمرشدية والمعينية والسيفية والقصاعين » والف الرد علي ابن تيمية في الاعتقادات وشرحاً للكنز لم يكمل بل شرع في شرح الهداية وله عدة رسائل في مسائل . كان عالماً بالنحو والصرف والمعاني والبيان والاصول وغيرها مشاركاً في الفقه مات سنة ١٤٦٢ بالمدرسة المعينية بدمشق ودفن في سفح قاسيون .

وثمة عالم آخر انجبته اسرة النعماني وتولى مناصب ادارية في الشام هو عمر بن محمد النجم النعماني البغدادي ثم الدمشقي . كان يمت بصله القرابة الى حميد الدين المذكور قدم القاهرة سنة ١٤٤٦ وبيده حسبه دمشق ووكالة بيت المال وعدة وظائف حسبما ذكر السخاوي . نزل في القاهرة في زاوية التقي رجب العجمي تحت قلعة الجبل ، فلم يلبث ان مات فيها في العام نفسه فأسف عليه السلطان المصري الظاهر جقمق وامر بالصلاة عليه الامر الذي يدل على علو منزلته ومكانته العلمية[٥٦] .

هؤلاء هم العلماء الذين تمكنا من العثور على اسمائهم من اهل الكوفة في تلك الحقبة الطويلة التي وصفت بانها من اشد الحقب في تاريخ العراق . تخلفاً وجدباً فكرياً . فكان لهم فضل المساهمة في تواصل الثقافة العربية وان فقدان الكثير من الكتب التي القوها في تلك الاضطرابات السياسية الحق بهذا الفكر ضرراً كبيراً .

الهوامش

ابن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط ٥ (القاهرة) حـ ٣ ٥٧٩

(٢) نخبة من الباحثين العراقيين ، العراق في التاريخ بغداد ١٩٨٣ ص ٣٥٦

(٣) ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة (بيروت ١٩٦٤) ص ٢١٩

(٤) المستوفي القزويني ، نزهة القلوب تحقيق كامي لسترانج ليدن ١٩١٣ ص ٣٠ - ٣١

(٥) السيوطي ، بغية الدعاة (مصر ١٩٦٥) ٢ / ١٧٠

(٦) ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ بغداد ١٩٨٠) ٢١ / ٨٦

(٧) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب (دمشق ١٩٦٧) حـ ٤ ق ٢ ص ٩٢٦ ، ق ١ ص ٤٧٩

(٨) ابن الفوطي (منسوب له) الحوادث الجامعة (بغداد ١٣٥١)ص ٣٧٤ ، ٤١٠ ،

(٩) الصلامي ، تاريخ علماء بغداد (بغداد ١٩٣٨) ص ١٤٢

(١٠) محمد مفيد ال ياسين ، الحياة الفكرية في العراق (بغداد ١٩٧٩) ص ٢٤٣

(١١) الحوادث الجامعة ص ٤٦٢ (١٢) بغية الوعاة ١ / ٥٦٦

(١٣) تلخيص مجمع الاداب ٤ ق ١ ص ٤٧٨ ق ٢ ص ٧٤٧ ، ٧ ص ٧٧٧ ق ١ ص ٧٧

(١٤) مدرسة ببغداد انشاها بهروز مولى السلطان غياث الدين (ت ٥٤٠ هـ) في جامع السلطان المنسوب الى ملكشاه ابن الب ارسلان السلجوقي في محلة المخرم (الحيدرخانة حالياً)

(١٥) تلخيص مجمع الاداب ٤ ق ١ ص ١١٤

(١٦) آل ياسين الحياة الفكرية ص ٢٤٣

(١٧) تلخيص مجمع الاداب ٤ ق ١ ص ١١٤ ، ٢٣٢

(١٨) مدرسة اخرى ببغداد الشرقية قبالة جامع الاصفية الحالي انشاها الامير خمارتكين ابن عبد الله التتشي مملوك السلطان تتش ابن الب ارسلان

(١٩) احد ابواب دار الخلافة قرب جامع مرجان .

(٢٠) ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ٢١ / ١٠٧ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات (فيسبادن ١٩٦١) ٢ / ٩٧

(٢١) ابن الفرات تاريخ ابن الفرات بيروت ١٩٣٨ ، ٧ / ٧٢ ، ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات (مصر ١٩٥١) ٢ / ٥٧٦

(٢٢) - ابن شاكر الكتبي عيون التواريخ ٢٠ / ١٣٧ - عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد ١٩٣٦) ١ / ٢٨٠

(٢٣) - ابن شاكر الكتبي فوات الوفيات (مصر ١٩٥١) ١ / ٤٩٧ ، ٢ / ٥٧٦

(٢٤) الحوادث الجامعة ص ٣٢٤ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب (القاهرة ١٣٥١) ٥ / ٢٧١ وتلخيص مجمع الاداب حـ ٤ ق ١ ص ٣٥٠ ، الوافي بالوفيات ١ / ٩٧

(٢٥) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة (القاهرة ١٩٦٦) ٤ / ٢٨٠ ، ناجي معروف تاريخ علماء المستنصرية (بغداد ١٩٦٥) ٢ / ٢٢٨

(٢٦) تلخيص مجمع الاداب حـ ٤ ق ٢ ص ٩٢٤

(٢٧) آل ياسين . الحياة الفكرية ٢٣٩

(٢٨) السلامي تاريخ علماء بغداد ٦٤ ، ٩٨ . (٢٨آ) الدرر الكامنة ٢ / ٣٥٨

(٢٩) ابن رافع ، تاريخ علماء بغداد ص ٦٣ معروف : تاريخ علماء المستنصرية ١ / ٣١٤ ، ٢ / ١٧٣

(٣٠) الدرر الكامنة ٢ / ٣٥٨

(٣١)معروف ، تاريخ علماء المستنصرية ١ / ٢٢٩

(٣٢) ابن رافع ، تاريخ علماء بغداد ص ٦٣ و ١٢٣ الدرر الكامنة ٢ / ٣٥٨

(٣٣) آل ياسين ، الحياة الفكرية ٢٤٠

(٣٤) ابن رافع السلامي تاريخ علماء بغداد ص ٦٣ ، ١٢٣

(٣٥) تلخيص مجمع الاداب حـ ٤ ق ١ ص ٦٧ ، ق ٢ ص ٨٨٠

(٣٦) الدرر الكامنة ٥ / ٢٠٠

(٣٧) آل ياسين الحياة الفكرية ص ٢٤٠

(٣٨) بغية الوعاة ١ / ٣٣٩

(٣٩) ابن رافع السلامي ، تاريخ على بغداد ص ٣٤

(٤٠) تلخيص مجمع الاداب حـ ٤ ق ٣ ص ٩٣ ، ١٨٦

(٤١) الدرر الكامنة ١ / ٢١٧ - ٢١٨

(٤٢) ابن رافع السلامي تاريخ علماء بغداد ص ٣٤ - ٣٥

(٤٣) لا تزال مخطوطة بدار الكتب في برلين برقم ٤٥٨٦

(٤٤) الدرر الكامنة ١ / ٢١٨

(٤٥) بغية الوعاة ٢ / ٣٢ شذرات الذهب ٦ / ١٤٣

(٤٦) ابن رافع السلامي ، تاريخ علماء بغداد ٦٤

(٤٧) الدرر الكامنة ٢ /٤٦٢

(٤٨) ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر (القاهرة ١٩٦٩) ١ / ٤٥٢ ، ٤٦١ ، ٢٤٥

(٤٩)السخاوي الضوء اللامع (بيروت بلا) ٢ / ٨٢ ، ابن تغري بردي ، المنهل الصافي (القاهرة ١٩٧٨) ٢ / ١١١

(٥٠) عباس العزاوي ، تاريخ العراق ٢ / ١٦٤ ، ١٧٣ ، ٣ / ٨٠

(٥١) الضوء اللامع ٢ / ٨٢ ، ٧ / ٤٩

(٥٢) انباء الغمر ١ / ٢٤٥ ، الضوء اللامع ٢ / ٨٢

(٥٣) الضوء اللامع ٢ / ٨٢

(٥٤) ابن عربشاه ، عجائب المقدور (لاهور ١٨٦٨) ص ١٨٤

(٥٥) الدرر الكامنة ٢ / ٣٠٠ ، انباء الغمر ١ / ٢٤٥

(٥٦) الضوء اللامع ٧ / ٤٦ ، ١٣٦

صفة الخلفاء ونقش خواتيمهم

د . محمد جاسم الحديثي
المستشار القانوني والاداري
لاتحاد المؤرخين العرب

اني وجدت صفة الخلفاء ونقش خواتيمهم مبثوثة في بطون كتب التاريخ ، لذلك عملت على تخريجها من هذه الكتب وجمعها في بحث واحد أضعه بين يدي الكاتب الكريم للرجوع اليه .

غير أني لاحظت ان بعض الروايات الخاصة بصفة الخلفاء لم تكن متطابقة تبعا لرواتها فمنهم من يقول : ان الخليفة الفلاني ابيض وآخر يقول : اسمر ، او طويل ،او قصير . ومنهم من يذكر له خاتماً واحداً ، أو يذكر له أكثر من خاتم ، وبالنظر لان هذه امور وصفية ذات علاقة بتحلية الإنسان ، أو ذكر خواتيمهم لذلك آثرت إيراد هذه الروايات كما جاءت بمصادرها دون الترجيح بينها ،سواء كان الامر خاصاً بصفة الخليفة ، أو نقش خاتمه ، وأترك للقارىء الكريم الاطلاع عليها كما وردت في هذه النصوص .

والله من وراء القصد

الصفة الجِلية ، والحُليَة : الخِلْقة ، والجِليَة :

الصفة والصورة ، والتَّحلية : الوصف ، وتَحَلّاه : عَرَفَ صفته[١] .

والخواتيم : جمع الخاتَم ، والخاتَم : ما يوضع على الطينة . والخِتام : الطين الذي يختم به على الكتاب . والخَتْمُ : المنع ، والختم أيضاً : حفظ ما في الكتاب بتعليم الطينة .[٢]

وفي الحديث : « آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين »[٣] .

قيل : « معناه طابعه وعلامته التي تدفع عنهم الاعراض والعاهات ، لان خاتَم الكتاب يصونه ، ويمنع الناظرين عما في باطنه »[٤] .

والخاتم من شمار الخلافة ، والاصل فيه ما ثبت في الصحيحين :[٥] : أن النبي ، ﴿ ﷺ ﴾ أراد أن يكتب الى رهط ، أو أناس من الاعاجم ، وفي مسلم — أراد أن يكتب الى كسرى ، وقيصر ، والنجاشي — فقيل له : إنهم لا يقبلون كتاباً إلا عليه خاتم ، فاتخذ النبي ، ﴿ ﷺ ﴾ ، خاتماً من وَرِق[٦] ، وجعل نقشه : « محمد رسول الله » ونقش الخاتم ثلاثة اسطر ، محمد اسطر ، ورسول سطر ، والله سطر[٧] . ولبسه أبو بكر بعده ، ثم لبسه عمر بعد أبي بكر ، ثم لبسه عثمان بعد عمر ، فوقع منه في بئر فلم يقدر عليه . واتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيم ، لكل خاتم نقش يخصه ، وبقي الأمر على ذلك إلى انقراض الخلافة من بغداد[٨] .

وسنذكر صفة كل خليفة ونقش خاتمه من أول العصر الراشدي الى منتهى العصر العباسي .

العصر الراشدي

الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)
(١١ — ١٣ هـ) (٦٣٢ — ٦٣٤ م)

هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر ، كان أبيض ، نحيفاً ، خفيف العارضين ،[٩] أجنا ، لا يستمسك أزاره يسترخي عن حقويه[١٠] ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتيء الجبهة ، عاري الاشاجع[١١] ، كان يخضب بالحنا والكتم[١٢] [١٣]

وفي رواية أخرى : أنه كان ابيض يخالطه صفرة ، حسن القامة ، نحيفاً ، أجنا ، رقيقاً عتيقاً ،[١٤] أقنى[١٥] ، معروق الوجه ، غائر العينين ، حمش الساقين ،[١٦] ممحوص الفخذين ،[١٧] يخضب بالحنا والكتم[١٨] .

كان نقش خاتمه : « نعم القادر الله »[١٩] . وكان يتختم بخاتم رسول الله ، ﴿ ﷺ ﴾ ، حتى قبضه الله[٢٠] .

الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
(١٣ — ٢٣ هـ) (٦٣٤ — ٦٤٤ م)

هو عمر بن الخطاب بن نوفل ، كان طويلًا ، آدم ، أصلع ، أعسر يسراً ، يعمل بيديه ، وكان لطوله كانه راكب ، وقيل : كان أبيض ، أبهق — يعني شديد البياض — تعلوه حمرة ، طوالًا ، أشيب ، وكان يصفر لحيته ، ويرجل رأسه بالحناء[٢١] .

كان نقش خاتمه : « كفى بالموت واعظاً ياعمر »[٢٢] .

وقيل : « آمنت بالذي خلقني »[٢٣] .

وكان يتختم بخاتم رسول الله ، ﴿ ﷺ ﴾ ، حتى قبضه الله ، تلقاه عن أبي بكر ، رضي الله عنه ، بعد وفاته[٢٤] .

الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)
(٢٤ — ٣٥ هـ) (٦٤٤ — ٦٥٦ م)

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، كان حسن الوجه ، بوجهه نكتات من جدري ، وشعره كسا ذراعيه ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، رقيق البشرة ، كث اللحية عظيمها ، أسمر اللون ، عظيم الكراديس[٢٥] ، بعيد ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، يصفّر لحيته . وفي رواية : أصلع ، أروح[٢٦] الرجلين ، أسنانه مشدودة بالذهب[٢٧] .

عندما ولي الخلافة تختم بخاتم رسول الله ، ﴿ ﷺ ﴾ ، بعد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، لبث سنين ، فحفر بئراً بالمدينة مشرباً للمسلمين فقعد على رأس البئر ، فجعل يعبث بالخاتم ويديره باصبعه ، فانسل الخاتم من أصبعه فوقع في البئر ، فطلبوه في البئر ، ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه ، فجعل فيه

مالًا عظيماً لمن جاء به ، فلما يئس من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر مثله ، حلقه من فضة على مثاله وشبهه ونقش عليه « محمد رسول الله » فجعله في أصبعه حتى هلك ، فلما قتل ذهب الخاتم من يده ، فلم يدر من أخذه[28] .

كان نقش خاتمه : « آمنت بالله مخلصاً » وقيل : « آمنت بالله العظيم » وقيل :

« لتصبرن أو لتندمن »[29] . وقيل : « آمنت بالذي خلق فسوى »[30] .

الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)
(٣٥ ــ ٤٠ هـ) (٦٥٥ ــ ٦٦٠ م)

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب ابن هاشم ، كان رجلًا[31] . آلم شديد الادمة ، ثقيل العينين عظيمها ، إلى القصر أقرب ، عريض اللحية وقد أخذت ما بين منكبيه ، أبيض الرأس واللحية ، أصلع ، على رأسه زغيبات ، ضخم البطن ، مشاشة المنكب[32] ، ضخم عضلة الذراع ، دقيق مستدقها ، ضخم عضلة الساق ، دقيق مستدقها[33] .

كان نقش خاتمه : « الملك لله »[34] ، وقيل : « الملك لله الواحد القهار » .[35]

الخليفة الحسن بن علي (رضي الله عنهما)

هو أبو محمد الحسن بن علي (رضي الله عنهما) ، أمه فاطمة بنت محمد رسول الله ، ﴿ ﷺ ﴾ ، كان أشبه برسول الله[36] ، ﴿ ﷺ ﴾ ، وكانت فاطمة ، رضي الله عنها ، تقول له :

بــــــــأبي شبــــــــه النبي
غيــــــر شبيــــــه بعلي[37]

ويقال : إن أبا بكر قال له يوماً وقد لقيه في طريق المدينة :

بــــــــأبي شبــــــــه النبي
غيــــــر شبيــــــه بعلي[38]

كان نقش خاتمه : « لا إله إلّا الله الملك الحق المبين »[39] .

الخليفة معاوية بن أبي سفيان
(٤١ ــ ٦٠ هـ) (٦٦١ ــ ٦٧٩ م)

هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، كان طويلًا ، مسمناً ، أبيض ، كبير الرأس ،[40] كبير العجيزة ، قصير الهامة ، جهم الوجه ، جاحظ العينين ، عريض الصدر ، وافر اللحية ، يخضب بالحناء والكتم . كان إذا ضحك انقلبت شفته العليا[41] .

كان نقش خاتمه : « لا قوة إلا بالله » .[42]

وقيل : « لكل عمل ثواب »[43] .

الخليفة يزيد بن معاوية
(٦٠ ــ ٦٤ هـ) (٦٧٩ ــ ٦٨٣ م)

هو أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان كان آدم شديد الادمة ، عظيم الهامة ، بوجهه أثر جدري بيّن[44] ، وفي رواية كان آدم جعداً معصوباً[45] ، أحور العينين ، طوالًا ، بوجهه أثر جدري ، ويقال : كان أبيض ، وكان حسن اللحية خفيفها[46] .

كان نقش خاتمه : « ربنا الله »[47] .

الخليفة معاوية بن يزيد
(٦٤ ــ ٦٤ هـ) (٦٨٣ ــ ٦٨٣ م)

هو أبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية ، كانت ولايته أربعين يوماً[48] ، وفي ذلك خلاف كان ربعة من الرجال ، نحيفاً ، يعتريه صفار[49] .

كان نقش خاتمه : « بالله ثقة معاوية » .[50]

وقيل : « الدنيا غرور »[51] .

الخليفة مروان بن الحكم
(٦٤ ــ ٦٥ هـ) (٦٨٣ ــ ٦٨٤ م)

هو ابو الحكم مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، كان طوالًا ، أصهب ، ازرق ، بعيد الفور[52] ، وقيل : كان دقيقاً ، قصيراً[53] ، أو قص[54] .

كان نقش خاتمه : « العزة لله » وقيل : « آمنت بالله » وقيل :

« آمنت بالله العزيز الحكيم » وقيل : « آمنت بالعزيز الحكيم »[55] .

وفي رواية ، كان نقش خاتمه : « الله ثقتي ورجائي »[56] .

الخليفة عبد الملك بن مروان
(٦٥ ــ ٨٦ هـ) (٦٨٤ ــ ٧٠٥ م)

هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص ابن أمية ، كان أسمر ، مربوعاً ، طويل اللحية[57] أفوه مفتوح الفم[58] ، يشد أسنانه بالذهب[59] ، وقيل : كان رجلًا طويلًا ، أبيض ، مقرون الحاجبين ، كبير العينين ، مشرف الانف ، دقيق

الوجه ، حسن الجسم ، ليس بالقضيب ولا البادن ، أبيض الرأس واللحية[٦٠] .

كان نقش خاتمه : « آمنت بالله مخلصاً »[٦١] .

الخليفة الوليد بن عبد الملك

(٨٦ — ٩٦ هـ) (٧٠٥ — ٧١٤ م)

هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، كان طوالاً ، اسمر ، به أثر جدري خفي ، بمقدم لحيته شمط[٦٢] ليس في رأسه ولا لحيته غيره ، أفطس[٦٣] .

كان نقش خاتمه : « يا وليد إنك ميت »[٦٤] .

وقيل : « يا وليد إنك ميت ومحاسب »[٦٥] .

الخليفة سليمان بن عبد الملك

(٩٦ — ٩٩ هـ) (٧١٤ — ٧١٧ م)

هو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم كان له جمال وفصاحة ، رجل طويل ، أبيض ، قصيف البدن[٦٦] ، لم يشب ، وهو الذي يقول ونظر إلى نفسه في المرآة : « أنا الملك الشاب » فما دارت عليه الجمعة حتى مات[٦٧] .

وفي روارة : كان أبيض ، كبير الوجه ، مقرون الحاجب ، جميلاً ، له شعر جعد[٦٨] ، يضرب منكبيه[٦٩] .

كان نقش خاتمه : « آمنت بالله »[٧٠] .

وقيل : « آمنت بالله مخلصاً »[٧١] .

وقيل : « أومن بالله مخلصاً »[٧٢] .

الخليفة عمر بن عبد العزيز

(٩٩ — ١٠١ هـ) (٧١٧ — ٧١٩ م)

هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم كان أسمر ، رقيق الوجه ، حسن اللحية ، نحيف الجسم ، غائر العينين ، بجبهته أثر من نفح دابة رمحته في صباه ، وكان يقال له : أشج بني أمية ، وخطه الشيب ومات ولم يخضب[٧٣] .

كان نقش خاتمه : « لكل عمل ثواب » وقيل : « عمر يؤمن بالله مخلصاً »[٧٤] .

وفي رواية : « عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله »[٧٥] .

الخليفة يزيد بن عبد الملك

(١٠١ — ١٠٥ هـ) (٧١٩ — ٧٢٣ م)

هو أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم . كان جميلاً ، جسيماً ، أبيض ، مدور الوجه ، لم يشب ، شديد الكبر ، عاجزاً ، صاحب لهو ولذات[٧٦] .

كان نقش خاتمه : « فنني الشباب يا يزيد » ونقش خاتم آخر :

« يزيد بن عبد الملك »[٧٧] .

وفي رواية : « قِني السيئات يا عزيز »[٧٨] .

الخليفة هشام بن عبد الملك

(١٠٥ — ١٢٥ هـ) (٧٢٣ — ٧٤٢ م)

هو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم كان ابيض الى الصفرة ما هو ، أحول ، شديد انقلاب العين ، يخضب لحيته بالسواد ، ربعة من الرجال ، ، حسن البدن[٧٩] .

كان نقش خاتمه : « الحكم للحكيم »[٨٠] .

« وفي رواية : الحكم للحكم الحكيمَ »[٨١]

الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(١٢٥ — ١٢٦ هـ) (٧٤٢ — ٧٤٣ م)

هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

كان من اجمل الناس واشدهم ، ابيض مشرباً بحمرة ، جسيماً ، ربعة ، طويل اصابع الرجلين ، قد وخطه الشيب[٨٢] .

كان نقش خاتمه : « يا وليد احذر الموت » .

الخليفة يزيد بن الوليد

(١٢٦ — ١٢٦ هـ) (٧٤٣ — ٧٤٣ م)

هو أبو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

كان أسمر ، طويلاً ، صغير الرأس ، بوجهه خال ، وكان جميلاً من رجل ، في فمه بعض السعة ، وليس بالمفرط[٨٣] .

كان نقش خاتمه : « العظمة لله »[٨٤] .

وقيل : « يا يزيد قم بالحق »[٨٥] .

الخليفة ابراهيم بن الوليد

(١٢٦ — ١٢٧ هـ) (٧٤٣ — ٧٤٤ م)

هو أبو إسحاق ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

كان أبيض ، جميلاً ، وسيماً ، طويلاً الى السِمن . خفيف العارضين ، له ضفيرتان من شعر[٨٦] .

كان نقش خاتمه : « توكلت على الحي القيوم »[87].

الخليفة مروان بن محمد
(١٢٧ — ١٣٢ هـ) (٧٤٤ — ٧٤٩ م)

هو أبو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم .

كان شديد الشهلة ، أبيض ، مشرباً حمرة ، ضخم الهامة والمنكبين ، كبير اللحية ابيضها ، ربعة ، مهيباً[88].

كان نقش خاتمه : « فوضت أمري الى الله »[89].

وفي رواية : « اذكر الموت يا غافل »[90].

وقيل : « أذكر الله يا غافل »[91].

الخليفة عبد الله السفاح
(١٣٢ — ١٣٦ هـ) (٧٤٩ — ٧٥٣ م)

هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان طويلاً ، ابيض ، أقنى الانف ، حسن الوجه واللحية ، ذا شعرة جعدة[92].

كان نقش خاتمه : « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن »[93].

وفي رواية : « الله ثقة عبد الله »[94].

الخليفة المنصور
(١٣٦ — ١٥٨ هـ) (٧٥٣ — ٧٧٤ م)

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان أسمر ، طويلاً ، نحيفاً ، خفيف العارضين ، يخضب بالسواد ، رحب الجبهة ، أقنى الانف ، بيّن القنى ، أعين ، كان عينيه لسانان ناطقان ، تخالطه أبهة الملوك بزي النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف في تواضعه ، والعتق في صورته ، واللب في مشيته[95].

كان نقش خاتمه : « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن »[96].

وفي رواية : « الحمد لله »[97].

الخليفة محمد المهدي
(١٥٨ — ١٦٩ هـ) (٧٧٤ — ٧٨٥ م)

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان طويلاً ، مُضمَر الخلق ، جعداً ، واختلف في لونه ، فقال بعضهم : كان أسمر ، وقال بعضهم : كان أبيض ، وكان في عينه اليمنى ، في قول بعضهم : نكتة بياض ، وقال بعضهم : كان ذلك بعينه اليسرى[98].

كان نقش خاتمه : « الله ثقة محمد وبه يؤمن »[99].

وقيل : « العزة لله »[100].

وقيل : « حسبي الله »[101].

الخليفة موسى الهادي
(١٦٩ — ١٧٠ هـ) (٧٨٥ — ٧٨٦ م)

هو ابو محمد موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان طويلاً ، جسيماً ، جميلاً ، أبيض ، مشرباً حمرة ، وكان بشفته العليا تقلص[102].

كان نقش خاتمه : « الله ربي »[103].

وفي رواية : « الله ثقة موسى وبه يؤمن »[104].

وقيل : « بالله يثق »[105].

الخليفة هارون الرشيد
(١٧٠ — ١٩٣ هـ) (٧٨٦ — ٨٠٨ م)

هو أبو جعفر هارون الرشيد ابن ابي عبد الله محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان جميلاً ، وسيماً ، أبيض ، جعداً ، وقد خطه الشيب[106].

كان نقش خاتمه : « بالله يثق هارون »[107].

وفي رواية : « لا اله الا الله » ، وكان له خاتم ثانٍ نقشه : « كن من الله على حذر »[108].

وقيل : « العظمة والقدرة لله »[109].

الخليفة محمد الامين
(١٩٣ — ١٩٨ هـ) (٨٠٨ — ٨١٣ م)

هو أبو عبد الله محمد هارون بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان سبطاً ، أنزع ، أبيض ، صغير العينين ، أقنى ، جميلاً ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، طويلاً[110].

كان نقش خاتمه : « نعم القادر الله » وقيل : « مسائل الله لا يخيب »[111].

وفي رواية : « حسبي القادر »[112].

وقيل : « محمد واثق بالله »[113].

الخليفة عبد الله المامون

(١٩٨ ــ ٢١٨هـ) (٨١٣ ــ ٨٣٣ م)

هو أبو العباس عبد الله بن هارون بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

كان ربعة، أبيض، جميلاً، طويل اللحية، قد وخطه الشيب، وقيل:

كان أسمر، تعلوه صفرة، أجنا، أعين، طويل اللحية رقيقها، أشيب، ضيق الجبهة، بخده خال أسود[١١٤].

وعن عمرو بن بحر الجاحظ، قال: « كان المامون أبيض، يعلو لونه صفرة يسيرة، وكان ساقاه من سائر جسده صفراوين حتى كأنهما طليتا بالزعفران »[١١٥].

كان نقش خاتمه: « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن »[١١٦].

وفي رواية: « عبد الله يؤمن بالله مخلصاً »[١١٧].

وقيل: « سل الله يعطيك »[١١٨].

الخليفة المعتصم بالله

(٢١٨ ــ ٢٢٧ هـ) (٨٣٣ ــ ٨٤١ م)

هو أبو إسحاق محمد بن هارون بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

كان أصهب، أبيض، حسن الجسم، جميل الوجه، مربوعاً، مشرباً حمرة، عريض الصدر، شديد البدن، طويل اللحية، لم يشب، وكان الرجل الذي لا يقاس به الرجال قوة بدن، وشدة باس، وشجاعة قلب[١١٩].

كان نقش خاتمه: « الحمد لله الذي ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء »[١٢٠].

وفي رواية: « سل الله يعطيك »[١٢١].

وقيل: « الله ثقة أبي إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن »[١٢٢].

الخليفة الواثق بالله

(٢٢٧ ــ ٢٣٢ هـ) (٨٤١ ــ ٨٤٦ م)

هو أبو جعفر هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس.

كان ابيض، مشرباً حمرة، جميلاً، ربعة، حسن الجسم، قائم العين اليسرى، وفيها نكتة بياض[١٢٣].

كان نقش خاتمه: « الله ثقة الواثق »[١٢٤].

وقيل: « الله ثقة الواثق بالله »[١٢٥].

الخليفة المتوكل على الله

(٢٣٢ ــ ٢٤٧ هـ) (٨٤٦ ــ ٨٦١ م)

هو أبو الفضل جعفر بن محمد المعتصم بن هارون بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

كان أسمرٌ، رقيق البشرة، يضرب لونه الى الصفرة، حسن الوجه، حسن العينين، خفيف العارضين، نحيف الجسم، إلى القصر أقرب[١٢٦].

كان نقش خاتمه: « جعفر على الله يتوكل »[١٢٧].

وفي رواية: « على الله توكلت »[١٢٨].

وقيل: « على إلهي أتكل »[١٢٩].

الخليفة المنتصر بالله

(٢٤٧ ــ ٢٤٨ هـ) (٨٦١ ــ ٨٦٢م)

هو أبو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

كان أسمر، مربوعاً، أقنى، ضخم الهامة، عظيم البطن، جسيماً، عظيم اللحية، على عينه اليمنى أثر أصابة وهو صغير[١٣٠].

وفي رواية: كان المنتصر بالله ربعة من الرجال، أسمر، كبير العينين، مسمناً، مبصر الخلق، مليح الوجه، جيد اللحية، حسن المضحك[١٣١].

كان نقش خاتمه: « محمد بالله ينتصر »[١٣٢].

وفي رواية: « محمد رسول الله »[١٣٣] وله خاتم آخر نقشه: « المنتصر بالله »[١٣٤].

الخليفة المستعين بالله

(٢٤٨ ــ ٢٥٢ هـ) (٨٦٢ ــ ٨٦٦ م)

هو أبو العباس احمد بن محمد بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس.

كان أبيض، حسن الوجه، ظاهر الدم، بوجهه أثر جدري، حسن اللحية، كان عنده من الجوهر خاتمين، يقال لأحدهما:

البُرج ، وللآخر الجبل .[١٣٥]

كان نقش خاتمه : في النص المعروف بالجبل : « أحمد بن محمد »[١٣٦].

وفي رواية : « استعنت بالله »[١٣٧].

وقيل : « في الإعتبار غنى عن الإختبار »[١٣٨].

الخليفة المعتز بالله
(٢٥٢ ــ ٢٥٥ هـ) (٨٦٦ ــ ٨٦٨ م)

هو أبو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن عبد الله المنصور بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس .

كان رجلًا طويلًا ، جسيماً ، وسيماً ، أبيض ، مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، حسنهما ، أقنى الأنف ، حسن الوجه ، ضيق الجبين ، مدور الوجه ، أحمر الوجنتين ، حسن المضحك ، شديد سواد الشعر ، أكحل العينين ، لم ير في الخلفاء مثله جمالًا[١٣٩].

كان نقش خاتمه : « المعتز بالله »[١٤٠].

وفي رواية : « محمد رسول الله »[١٤١] وله خاتم آخر نقشه : « المعتز بالله » .

وقيل : كان نقش خاتمه : « الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء »[١٤٢].

الخليفة المهتدي بالله
(٢٥٢ ــ ٢٥٦ هـ) (٨٦٦ ــ ٨٦٩ م)

هو أبو عبدالله محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس .

كان أسمر ، رقيقاً ، مربوعاً ، رحب الجبهة ، أشهل العينين ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، طويل اللخية ، أجلح . جهم الوجه[١٤٣].

كان نقش خاتمه : « محمد أمير المؤمنين »[١٤٤].

وفي رواية : « هداني الله »[١٤٥].

وقيل : « من تعدى الحق ضاقت مذاهبه »[١٤٦].

الخليفة المعتمد على الله
(٢٥٦ ــ ٢٧٩ هـ) (٨٦٩ ــ ٨٩٢ م)

هو أبو العباس احمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس .

كان اسمر ، رقيق اللون ، كبير العينين ، حسن الجسم ، طويلًا ، جسيماً ، عظيم الهامة ، طويل اللحية ، جميلًا[١٤٧].

كان نقش خاتمه : « المعتمد على الله يعتمد »[١٤٨].

وفي رواية : « اعتمادي على الله وهو حسبي »[١٤٩].

وقيل : « السعيد من وعظ بغيره »[١٥٠].

الخليفة المعتضد بالله
(٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ) (٨٩٢ ــ ٩٠١ م)

هو ابو العباس احمد بن الأمير طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن مهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان أسمر ، نحيفاً ، ربعة من الرجال ، معتدل الخلق ، خفيف العارضين ، وخطه الشيب ، يخضب بالسواد ، في مقدم لحيته طول ، وفي مقدم رأسه شامة بيضاء ، أقنى الأنف ، تعلوه هيبة شديدة[١٥١].

كان نقش خاتمه : « الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء »[١٥٢].

وفي رواية : « أحمد يؤمن بالله الواحد »[١٥٣].

وقيل : « الإضطرار يزيل الإختيار »[١٥٤].

الخليفة المكتفي بالله
(٢٨٩ ــ ٢٩٥ هـ) (٩٠١ ــ ٩٠٧ م)

هو ابو محمد علي بن احمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان ربعة ، أسمر ، رقيق اللون ، أعين ، حسن الشعر ، حسن الوجه والبدن ، وافر اللحية عريضها[١٥٥].

كان نقش خاتمه كنقش خاتم ابيه المعتضد : « الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء »[١٥٦].

وفي رواية : « علي يتوكل على ربه »[١٥٧].

وقيل : « اعتمادي على الذي خلقني »[١٥٨].

وقيل : « بالله علي بن أحمد يثق »[١٥٩].

الخليفة المطيع بالله

(٣٣٤ — ٣٦٣ هـ) (٩٤٥ — ٩٧٣ م)

هو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر بن احمد المعتضد ابن الأمير طلحة الموفق ابن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

لم أقف على صفته .

كان نقش خاتمه : « المطيع لله »(١٦٠).

الخليفة الطائع لله

(٣٦٣ — ٣٨١ هـ) (٩٧٣ — ٩٩١ م)

هو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد ابن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس(١٦١).

وفي أنفه يقول ابن الحجاج(١٦٢):

خليفـــة في وجهـــه روشن(١٦٣)
خرْنشته(١٦٤) قـد ظلل المسكـرا
عهــدي بـه يمشي على رجلـه
وأنفـه قـد صعـد المنبـرا(١٦٥)

كان نقش خاتمه : « الطائع لله »(١٦٦) .

الخليفة القادر بالله

(٣٨١ — ٤٢٢ هـ) (٩٩١ — ١٠٣٠ م)

هو أبو العباس احمد بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن الواثق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس .

كان أبيض ، حسن الجسم ، كث اللحية ، عريضها ، يخضب(١٦٧).

كان نقش خاتمه : « القادر بالله »(١٦٨).

الخليفة القائم بامر الله

(٤٢٢ — ٤٦٧ هـ) (١٠٣٠ — ١٠٧٤ م)

هو أبو جعفر عبد الله بن احمد بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان جميلًا ، بديع الجمال ، مليح الوجه ، أبيض ، مشرباً حمرة ، طوالًا ، ممتد الجسم ، حسن الشمائل(١٦٩)، رقيق المحاسن .

كان نقش خاتمه : « العزة لله وحده »(١٧٠).

الخليفة المقتدي بامر الله

(٤٦٧ — ٤٨٧ هـ) (١٠٧٤ — ١٠٩٤ م)

هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كن أبيض ، أشهل ، تام الطول ، رقيق المحاسن ، حسن الشمائل .

مهيباً ، مرهوباً ، شجاعاً(١٧١).

كان نقش خاتمه : « من توكل عليه كفاه »(١٧٢).

المستظهر بالله

(٤٨٧ — ٥١٢) (١٠٩٤ — ١١١٨ م)

هو أبو العباس احمد بن عبد الله المقتدي بن محمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق ابن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان جميلًا ، مشرباً حمرة ، تام الطول ، لطيف المحاسن ، سخي النفس ، مؤثراً للإحسان(١٧٣)، منكراً للظلم .

كان نقش خاتمه : « ثقتي بالله وحده »(١٧٤).

المسترشد بالله

(٥١٢ — ٥٢٩ هـ) (١١١٨ — ١١٣٤ م)

هو أبو منصور الفضل بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق ابن المقتدر بن المعتضد بن طلحة ابن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان أسمر اللون، رقيق البشرة، تام الطول، في مقدم لحيته طول[175].

كان نقش خاتمه: «من توكل عليه كفاه»[176].

وقيل: «من توكل على الله كفاه»[177].

الراشد بالله

(٥٢٩ ـ ٥٣٠ هـ) (١١٣٤ ـ ١١٣٥ م)

هو أبو جعفر منصور بن الفضل بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد ابن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد ابن الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ابن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

كان أبيض، مشرباً حمرة، جسيماً، مستحسناً، تام الشكل، شديد الأيد، حسن الطوية لرعيته، جميل السيرة[178].

كان نقش خاتمه: «من أيقن بالإنتقال عمل للمآل»[179].

وقيل: «من آمن بالانتقال عمل المآل»[180].

المقتفي لامر الله

(٥٣٠ ـ ٥٥٥ هـ) (١١٣٥ ـ ١١٦٠ م)

هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن القائم بن احمد بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

كان تام الطول، عبل الجسم، في مقدم لحيته طول، وقد وخطه الشيب، وكان شجاعاً، مقدماً، مباشراً للحرب بنفسه[181].

وقيل: «كان أسمر، آدم، مجدور الوجه، مليح الشيب»[182].

كان نقش: «كن من الله على حذر تسلم»[183].

المستنجد بالله

(٥٥٥ ـ ٥٦٦ هـ) (١١٦٠ ـ ١١٧٠ م)

هو أبو المظفر يوسف بن محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد ابن طلحة بن جعفر المتوكل ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

كان مليح الوجه، بياض بحمرة، أزج الحاجبين، في شعره شقرة[184].

وقيل: «كان أسمر، جسيماً، تام القامة، طويل اللحية»[185].

كان نقش خاتمه: «من أحب نفسه عمل لها»[186].

المستضيء بامر الله

(٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ) (١١٧٠ ـ ١١٧٩ م)

هو أبو محمد الحسن بن يوسف بن محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس.

كان ابيض، أقنى الانف، أزج الحاجبين، جميل الوجه، عليه أبهة الخلافة، وكان عادلاً، حسن السيرة في الرعية، حليماً[187].

كان نقش خاتمه: «من فكر في المآل عمل للانتقال»[188].

الناصر لدين الله

(٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) (١١٧٩ ـ ١٢٢٥ م)

هو أبو العباس أحمد بن الحسن بن يوسف بن محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن جعفر المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

كان ابيض، مدور الوجه، مليح العينين، أقنى الانف، رقيق المحاسن، خفيف العارضين، أشقر اللحية[189].

كان نقش خاتمه: «رجائي من الله عفوه»[190].

الظاهر بامر الله

(٦٢٢ ـ ٦٢٣ هـ) (١٢٢٥ ـ ١٢٢٦ م)

هو أبو نصر محمد بن أحمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله ابن احمد بن اسحاق بن المقتدر ابن المعتضد بن طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم، ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي

ابن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان أبيض ، مشرباً حمرة ، مستدير الوجه ، عبل الجسم ، جميل الصورة ، كثير لحم العضدين ، حلو الشمائل ، رقيق المحاسن ، موصوفاً بالقوة والشجاعة[١٩١].

كان نقش خاتمه : « راقب العواقب »[١٩٢].

المستنصر بالله

(٦٢٣ — ٦٤٠ هـ) (١٢٢٦ — ١٢٤٢ م)

هو أبو جعفر المنصور بن محمد بن احمد بن الحسن بن يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

كان أبيض ، مشرباً حمرة ، مستدير البشرة ، جميل المنظر ، ازج الحاجبين ، ادعج العينين ، سهل الخدين ، أقنى الانف ، وسيع الصدر ، معتدل الخلق ، وخطه الشيب ، فخضب بالحناء ثم تركه[١٩٣].

كان نقش خاتمه : « العفو بك أولى »[١٩٤].

المستعصم بالله

(٦٤٠ — ٦٥٦ هـ) (١٢٤٢ — ١٢٥٨ م)

هو أبو أحمد عبد الله بن المنصور بن محمد بن احمد بن الحسن بن يوسف بن محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

كان جميل الصورة ، حسن الوجه ، كامل المحاسن ، أسمر اللون ، حسن العينين ، مسترسل شعر الوجه ، ربعة ، ليس بالطويل ، لين ، صالحاً ديناً[١٩٥].

كان نقش خاتمه : « اعتصمت بالله »[١٩٦].

الهوامش والمصادر

(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، (بيروت ، دار صادر ، ١٣٧٥ هـ) ج ٩ / ٣٥٦ ، مادة : وصف ، ج ١٤ / ١٩٦ ، مادة : حلا .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٦٣/١٢ ، مادة : ختم .

(٣) المصدر نفسه ؛ السيوطي ، جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير المأثور ، (بيروت) ، دار المعرفة ، د . ت) ج ١٧/١ ، الهندي ، علي المتقي بن حسام ؛ كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، ١٩٨٥ م) ج ٥٠٩/١ . المصدر السابق .

(٤) ابن منظور ، المصدر السابق ج ١٦٣/١٢ ، مادة : ختم .

(٥) أخرجه الإمام البخاري ، محمد بن اسماعيل ، في صحيحه ، (مصر ، مطبوعات محمد علي صبيح ، د . ت) ج ٢٠٢/٧ ، والإمام مسلم بن الحجاج ، في صحيحه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٩٥٥ م) ج ١٦٥٧/٣ ، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، (لبنان ، دار الفكر ، د . ت) ج ١٨١/٣ . جميعهم عن أنس بن مالك .

(٦) الورق : الفضة ، ابن منظور ، المصدر السابق ج ٣٧٥/١٠ ، مادة : ورق .

(٧) اخرجه الامام البخاري ، عن أنس بن مالك : ج ٢٠٣/٧ .

(٨) القلقشندي ، أحمد بن علي ، صبح الاعشى ، (القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، د . ت) ج ٢٦٩/٣ .

(٩) أجنأ : يقال : رجل من جنأ ، أي خذبٌ ، الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر : أساس البلاغة ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٩ م) ص : ١٠١ ، مادة : جنأ .

(١٠) الحقد : الكشح ، وقيل : مَعقد الإزار . ابن منظور ، المصدر السابق ، ج ١٨٩/١٤ ، مادة : حقا .

(١١) الاشاجع : واحدها أشجع ، في اليد والرجل ، العصب الممدود فوق السُلامي من بين الرُسغ الى أصول الاصابع التي يقال لها أطناب الأصابع فوق ظهر الكف ، وفي صفة أبي بكر ، رضي الله عنه « عاري الاشاجع » هي مفاصل الاصابع ، أي كان اللحم عليها قليلاً ، ابن منظور ، المصدر السابق ، ج ١٧٤/٨ ، مادة : شجع .

(١٢) الكَتَم : نبات يخلط مع الوشمة للخضاب الاسود ، قال الأزهري : الكتم نبت فيه حمرة . ابن منظور : المصدر السابق ، مادة : كتم .

(١٣) ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدي : الطبقات الكبير ، عني بتصحيحه : الدكتور أدوارد سخو ، والدكتور اوجين متوخ ، (ليدن ، مطبعة برايل : ١٣٢٢ هـ) المجلد الثالث ، القسم الاول ، ص ١٣٢ .

اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب : تاريخ اليعقوبي ، قدم له : محمد صادق بحر العلوم ، (النجف ، المكتبة الحيدرية ، ط ـ ٤ ، ١٩٧٤ م) ج ١٢٧/١ ، الطبري ، محمد بن جرير تاريخ الطبري ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، (مصر ، دار المعارف ، ط ٢) ج ٤٢٤/٣ .

(١٤) عتيق : كان يقال لابي بكر ، عتيقاً لجماله ، وفي حديث أبي بكر ، رضي الله عنه ، سمي عتيقاً لانه أعتق من النار ، سماه النبي ، (ﷺ) ، ابن منظور ، المصدر السابق ، ج ٢٣٥/١٠ ، مادة : عتق .

(١٥) القنا : ارتفاع في أعلى الانف ، واحديداب في وسطه ، وسبوغ في طرفه ، ابن منظور ، المصدر السابق ج ٢٠٣/١٥ ، مادة : قنا .

(١٦) حمش الساقين : دقيقهما ، ابن منظور ، المصدر السابق : ج ٢٨٨/٦ ، مادة : حمش .

(١٧) ممحوص الفخذين : خلص من الرهل ، ابن منظور ، المصدر السابق : ج ٨٩/٧ ، مادة : محص .

(١٨) الطبري ، المصدر السابق : ج ٤٢٤/٣ ، ابن الاثير ، علي بن أبي الكرم : الكامل في التاريخ ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ـ ٢ ، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م) ج ٢٨٨/٢ .

(١٩) الطبري ، المصدر السابق : ج ٤٢٧/٣ ، المسعودي ، علي بن الحسين : التنبيه والإشراف ، (بيروت ، مكتبة خياط ، ١٩٦٥ م (ص ٢٨٦ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٢٨٩/٢ .

(٢٠) الطبري ، المصدر السابق : ج ٢٨٢/٤ .

(٢١) ابن سعد ، المصدر السابق : المجلد الثالث ، القسم ١ ، ص ٢٣٤ ، اليعقوبي ، المصدر السابق : ج ١٤٩/٢ ، الطبري ، المصدر السابق : ج ١٩٦/٤ .

(٢٢) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٢٨٩ .

(٢٣) المصدر نفسه : ص ٢٨٩ .

(٢٤) البخاري ، المصدر السابق : ج ٢٠٣/٧ ، الطبري ، المصدر السابق : ج ٢٨٢/٤ ، القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، (بيروت ، عالم الكتب ، ط ـ ١ ، ١٩٦٤ م) ج ٨٨/١ .

(٢٥) الكراديس : رؤوس العظام ، المراد به ضخم الأعضاء . ابن منظور ، المصدر السابق : ج ١٩٥/٦ ، مادة : كربس .

(٢٦) أروح الرجلين : سعة في الرجلين ، وهو دون الفجع ، والأروح تتباعد صدور قدميه وتتدانى عقباه ، ابن منظور ، المصدر السابق : ج ٤٦٦/٢ ، مادة : روح .

(٢٧) ابن سعد ، المصدر السابق : المجلد الثالث القسم ١ ، ص ٤٠ ، اليعقوبي ، المصدر السابق : ج ١٦٤/٢ ، الطبري ، المصدر السابق : ج ٤١٩/٤ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥٦/٣ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ٩٢/١ .

(٢٨) الطبري ، المصدر السابق : ج ٢٨٢/٤ . ويخرج البخاري ، في الصحيح : ج ٢٠٣/٧ ، عن أنس بن مالك ، قال : « كان خاتم النبي (ﷺ) ، في يده ، وفي يد أبي بكر بعده ، وفي يد عمر بعد أبي بكر ، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس ، قال : فاخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط ، قال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فنزح البئر فلم نجده » . وبئر أريس : على ميلين من المدينة ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥٦/٣ .

(٢٩) المسعودي : المصدر السابق : ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ . القلقشندي ، المصدر السابق : ج ٩٢/١ .

(٣٠) ابن الكازروني ، علي بن محمد ، مختصر التاريخ ، تحقيق : الدكتور مصطفى جواد ، (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٠ م) ص ٧٢ . الذهبي ، محمد بن احمد ، تاريخ الاسلام عهيد الخلفاء الراشدين (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ـ ١٩٨٧ م) ص ٤٧٥ . القلقشندي ، المصدر السابق : ج ٩٣/١ .

(٣٠) ابن الكازروني ، علي بن محمد ، مختصر التاريخ ، تحقيق : الدكتور مصطفى جواد ، (بغداد ، وزارة الاعلام ، ١٩٧٠ م) ص ٧٢ . الذهبي ، محمد بن احمد ، تاريخ الاسلام ، عهيد الخلفاء الراشدين تحقيق : الدكتور عمر عبد السلام ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ، ١٩٨٧ م) ص ٤٧٥ . القلقشندي ، المصدر السابق : ج ٩٣/١ .

(٣١) الآدم من الناس : الأسمر ، والادمة : السمرة . ابن منظور ، المصدر السابق : ج ١١/١٢ ، مادة : أدم .

(٣٢) المشاشة : واحدة المشاش ، وهي رؤوس العظام ، والمشاشة : ما أشرف من عظم المنكب . ابن منظور ، المصدر السابق : ج ٣٤٧/٦ ، مادة : مشش .

(٣٣) ابن سعد ، المصدر السابق : المجلد الثالث ، قسم ١ ، ص : ١٦ ، ١٧ . الطبري ، المصدر السابق : ج ١٥٣/٥ . المسعودي ، المصدر السابق : ص : ٢٩٧ . ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ١٩٩/٣ . ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٧٥ . القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٠٠/١ .

(٣٤) المسعودي ، المصدر السابق : ص : ٢٩٧ .

(٣٥) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص : ٧٦ . القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٠٠/١ .

(٣٦) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١ ، الكازروني ، المصدر السابق : ص ٧٩ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٠٥/١ .

(٣٧) البلاذري ، أحمد بن يحيى : أنساب الأشراف ، تحقيق : الدكتور

محمد حميد الله ، (القاهرة ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) ج ٥٣٩/١ .

(٣٨) المصدر نفسه .

(٣٩) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٨٠ . القلقشندي ، المصدر السابق : ج ، ١٠٥/١ .

(٤٠) البلاذري ، احمد بن يحيى : أنساب الأشراف ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس ، (بيروت ، دار النشر فرانتس شتايز بفيسبادن ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م) القسم الرابع الجزء الأول : ص ١٥٠ .

(٤١) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٠٢ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٨١ ، الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان : سير اعلام النبلاء ، (مؤسسة الرسالة ، ط ٤) ج ٣/ ١٢٠ ، ابن كثير ، اسماعيل بن عمر القرشي : البداية والنهاية ، (بيروت ، دار الفكر ، د . ت) ج ١١٧/٨ ، ١١٨ .

(٤٢) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٠٢ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١١٠/١ .

(٤٣) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٨٢ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١١٠/١ .

(٤٤) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٠٦ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٨٣ .

(٤٥) المعصوب : شديد اكتناز اللحم ، ابن منظور ، المصدر السابق : ج ٦٠٣/١ ، مادة : عصب .

(٤٦) البلاذري ، المصدر السابق : القسم الرابع الجزء الأول : ص ٢٨٩ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج/ ١١٥ .

(٤٧) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٠٦ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٨٤ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١١٧/١ .

(٤٨) البلاذري ، المصدر السابق : القسم الرابع الجزء الأول : ص ٣٥٦ ، الطبري ، المصدر السابق : ج ٥٠٣/٥ .

(٤٩) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٠٧ .

(٥٠) المصدر نفسه : ص ٣٠٧ .

(٥١) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٨٥ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٢٢/١ ، وفيه : « الدنيا غرورة » .

(٥٢) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١١ .

(٥٣) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٨٨ .

(٥٤) الأوقص : قصير العنق ، كأنما رد في جوف الصدر . ابن منظور ، المصدر السابق : ج ٧ ، ١٠٦ .

(٥٥) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١١ .

(٥٦) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٨٨ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٢٥/١ .

(٥٧) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١٦ .

(٥٨) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٩٠ .

(٥٩) ابن سعد ، المصدر السابق : ج ١٧٤/٥ .

(٦٠) البغدادي (الخطيب) ، احمد بن علي : تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، د . ت) ج ٣٩١/١٠ .

(٦١) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١٦ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٩٠ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٢٧/١ .

(٦٢) الشمطُ : الشيب ، ابن منظور ، المصدر السابق : ج ٣٢٦/٧ .

(٦٣) اليعقوبي ، المصدر السابق : ج ٤١/٣ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١٧ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٩٢ .

(٦٤) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١٧ .

(٦٥) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٩٢ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٣٢/١ .

(٦٦) القصيف : الرجل المنحني من طوله . ابن منظور ، المصدر السابق : ج ٢٨٤/٩ ، مادة : قصف .

(٦٧) اليعقوبي ، المصدر السابق : ج ٤٧/٣ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١٩ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٩٤ .

(٦٨) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم : المعارف ، تحقيق : دكتور ثروت عكاشة ، (القاهرة ، دار المعارف ، ط ٤) ص ٣٦٠ .

(٦٩) الذهبي ، المصدر السابق : ج ٥/ ١١٢ .

(٧٠) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١٩ .

(٧١) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٩٤ .

(٧٢) الذهبي ، المصدر السابق : ج ١١١/٥ .

(٧٣) اليعقوبي ، المصدر السابق : ج ٣ / ٥٧ ، الطبري ، المصدر السابق : ج ٥٦٦/٦ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣١٩ و ٣٢٠ ، ابن الكازروني : ص ٩٦ .

(٧٤) المسعودي المصدر السابق : ص ٣٢٠ .

(٧٥) ابن الكازروني : المصدر السابق : ص ٩٦ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٤١/١ .

(٧٦) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٩٨ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٥٠/٥ ، الكتبي ، محمد بن شاكر ، فوات الوفيات ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس ، (بيروت ، دار الثقافة) ج ٢٢٢/٤ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٤٥/١ .

(٧٧) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٩٨ .

(٧٨) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/ ١٤٧ .

(٧٩) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٢٣ ، ابن الكازروني ،

المصدر السابق : ص ١٠١ ، الذهبي : المصدر السابق : ج ٣٥١/٥ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٢٢٨/٤ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٥٠/١ .

(٨٠) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٢٣ .

(٨١) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٠١ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٥٠/١ .

(٨٢) الطبري ، المصدر السابق : ج ٢٥٣/٧ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٠٢ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٣٧١/٥ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٢٥٦/٤ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٥٦/١ .

(٨٣) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٠٢ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٥٦/١ .

(٨٤) الطبري ، المصدر السابق : ج ٢٩٨/٧ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٠٣ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٥٠/٥ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٣٣٢/٤ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٥٩/١ :

(٨٥) ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٢٧٨/٤ .

(٨٦) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٠٣ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٥٩/١ .

(٨٧) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٠٤ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٣٧٦/٥ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٦١/١ .

(٨٨) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٧٤ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٦١/١ .

(٨٩) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٢٨ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٠٦ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٧٤/٦ ، الكتبي ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ١٢٨/٤ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١ / ١٦٣ .

(٩٠) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٢٨ .

(٩١) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٠٦ .

(٩٢) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٦٣/١ .

(٩٣) الطبري ، المصدر السابق : ج ٤٧١/٧ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٠ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٤٧/١٠ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١١٢ ، الاربلي ، عبد الرحمن سنبط قنيتو ، (المتوفى ٧١٧ هـ — ١٣١٧ م) : خلاصة الذهب المسبوك ، تصحيح : مكي السيد جاسم ، (بغداد ، مكتبة المثنى) ص ٥٤ .

(٩٤) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٠ ، ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد ، (المتوفى في حدود ٥٨٠ هـ — ١١٨٤ م) : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : الدكتور قاسم السامرائي ، (لايدن ، نشريات المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية) ص ٦١ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٧١/١ .

(٩٥) البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٤٧/١٠ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٥٤ .

(٩٦) الطبري ، المصدر السابق : ج ٦٢/٨ ، المسعودي ، المصدر السابق : البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٥٤/١٠ ، ٣٤٢/ ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٤٥/٥ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١١٤ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٥٩ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٨٣/٧ ، الكتبي ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٢١٦/٢ .

(٩٧) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٢ ، البغدادي (الخطيب) المصدر السابق : ج ٥٤/١٠ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١١٤ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٥٩ .

(٩٨) الكتبي ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٢١٧/٢ .

(٩٩) الطبري ، المصدر السابق : ج ١٧١/٨ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٣ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٤٠٠/٥ ، ابن العمراني ، المصدر السابق : ص ٧٢ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٧١/٥ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١١٨ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٩١ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٨٣/١ .

(١٠٠) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٣ .

(١٠١) البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٤٠٠/٥ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١١٨ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٩١ .

(١٠٢) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٨٣/١ .

(١٠٣) الطبري ، المصدر السابق : ج ٢١٤/٨ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٥ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٢٢/١٣ ، ابن العمراني ، المصدر السابق : ص ٧٤ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٧٩/٥ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٢١ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ١٠٤ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٤٤١/٧ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ١٧٣/٤ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٨٩/١ .

(١٠٤) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٥ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١٧٩/١ .

(١٠٥) ابن العمراني ، المصدر السابق : ص ٧٤ .
(١٠٦) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٢١ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ١٠٤ .
(١٠٧) الطبري ، المصدر السابق : ج ٨/٣٤٦ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٦ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٥/١٤ ، ابن العمراني ، المصدر السابق : ص ٧٥ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥/١٣٠ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٢٥ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ١٠٧ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٩/٢٨٧ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٤ / ٢٢٥ .
(١٠٨) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٦ ، ابن العمراني ، المصدر السابق : ص ٧٥ .
(١٠٩) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٢٥ .
(١١٠) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/١٩٢ .
(١١١) الطبري ، المصدر السابق : ج ٨/٤٩٩ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٩ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٣/٣٢٧ ، ابن العمراني ، المصدر السابق ، ص ٩٥ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥/١٦٧ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٣١ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ١٧٢ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٩/ ٣٣٤ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٤/ ٤٦ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٠٣ .
(١١٢) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٤٩ .
(١١٣) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٣١ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ١٧٢ .
(١١٤) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٠٣ .
(١١٥) الطبري ، المصدر السابق : ج ٨/٦٥١ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٥١ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ١٠ / ١٨٤ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥/٢٢٧ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ١٨٦ . ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٣٤ .
(١١٦) البغدادي (الخطيب) المصدر السابق : ج ١٠/ ١٨٤ .
(١١٧) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٥٢ .
(١١٨) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٣٤ .
(١١٩) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٠٩ .
(١٢٠) الطبري ، المصدر السابق : ج ٩/١١٩ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٥٤ ، البغدادي ، (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٣/٢٤٧ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥/٢٦٥ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٣٨ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ٢٢١ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٤/ ٤٨ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/ ٢١٨ .
(١٢١) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٥٦ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ٢٢١ .
(١٢٢) ابن العمراني ، المصدر السابق : ص ١١٠ .
(١٢٣) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢١٨ .
(١٢٤) الطبري ، المصدر السابق : ج ٩/١٥١ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦١ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ١٤/ ٢١ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥/ ٢٧٧ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٤٢ ، الأرباب ، المصدر السابق : ص ٢٢٤ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٠/ ٢١١ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٤ / ٢٢٨ .
(١٢٥) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦١ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ٢٢٤ . القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/ ٢٢٥ .
(١٢٦) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٤٢ .
(١٢٧) الطبري ، المصدر السابق : ج ٩/ ٢٣٠ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٢ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٧/ ١٧٢ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥/ ٣٠٢ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٤٦ الأربلي ، المصدر السابق : ص ٢٢٥ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ١/ ٢٩٠ .
(١٢٨) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٢ .
(١٢٩) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٤٦ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ٢٢٥ .
(١٣٠) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/ ٢٢٨ .
(١٣١) الطبري ، المصدر السابق : ج ٩/ ٢٥٤ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٣ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٢/ ١١٩ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥/ ٣١٠ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٤٩ ، الأربلي ، المصدر السابق : ص ٢٢٧ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٢ / ٤٢ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٣/ ٢١٧ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/ ٢٣٦ .
(١٣٢) البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٢/ ١٢٠ .
(١٣٣) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٣ .
(١٣٤) البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٢/ ١٢٠ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٤٩ .
(١٣٥) البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٢/ ١٢٠ .
(١٣٦) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٤ ، البغدادي

(الخطيب) : المصدر السابق : ج ٥/٨٥ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٥٢ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٢٨ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٢/٤٦ ، وفيه : بمقدم رأسه طول ، يلثغ بالسين كالثاء ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ١/١٤١ ، وفيه : كان يلثغ بالسين فيجعلها ثاء .

(١٣٧) الطبري ، المصدر السابق : ج ٩/٣٤٩ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٤ .

(١٣٨) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٥٢ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٢٨ .

(١٣٩) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٤٠ .

(١٤٠) الطبري ، المصدر السابق : ج ٩/٣٩٠ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٥ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٢/١٢٤ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٥/٣٤٢ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٥٤ . الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٢/٥٣٢ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٣/٣٢٠ .

(١٤١) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٥ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٢/١٢٤ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٣/٣٢٠ .

(١٤٢) البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٢/١٤٢ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٣٠ .

(١٤٣) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٤٤ .

(١٤٤) الطبري ، المصدر السابق : ج ٩/٤٦٩ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٦ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٣/٣٤٨ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٥٧ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٣١ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٤/٥٠ القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٤٨ .

(١٤٥) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٧ .

(١٤٦) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٥٧ ، الاربلي المصدر السابق : ص ٢٣١ .

(١٤٧) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٤٨ .

(١٤٨) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٩ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٤/٦٢ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٦١ . الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٣٣ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٠/٥٤٠ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ١/٦٤ . القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٥٢ .

(١٤٩) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٦٩ .

(١٥٠) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٦١ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٣٣ .

(١٥١) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٥٢ .

(١٥٢) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٧٠ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٤/٤٠٧ ، ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، (المتوفى ٥٩٧ هـ ـ ١٢٠٠ م) : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، (بغداد ، الدار الوطنية ، ١٩٩٠ م) : ج ٥/١٢٢ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٦/١٠١ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٦٤ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٣٥ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٣/٤٦٤ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ١/٧٢ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٦٢ .

(١٥٣) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٧٠ .

(١٥٤) ابن الجوزي ، المصدر السابق : ج ٥/١٢٣ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٦٤ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٣٥ .

(١٥٥) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٦٢ .

(١٥٦) الطبري ، المصدر السابق : ١٠/١٣٨ ، المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٧١ ، البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ١١/٣١٨ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق : ج ٥/٣١ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٦/١١٩ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٦٨ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٣٧ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٣/٤٧٩ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٣/٥ ، القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/٢٦٨ .

(١٥٧) المسعودي ، المصدر السابق : ص ٣٧١ .

(١٥٨) ابن الجوزي ، المصدر السابق : ج ٥/٣١ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٦٨ .

(١٥٩) الكتبي ، ابين شاكر ، المصدر السابق : ج ٣/٥ .

(١٦٠) القلقشندي ، المصدر السابق : ج ١/ ٢٦٨ .

(١٦١) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٩٠ .

(١٦٢) البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ١١/٧٩ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق : ج ٧/٦٦ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٩١ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٥٨ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٥/١١٩ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٢/٣٧٥ ، الصفدي ، خليل بن أيبك ، (المتوفى ٧٦٤ ـ ١٣٦٢ م : نكت الهميان في نكت العميان ، وقف على طبعه : احمد زكي بك ، ص ١٩٦ .

(١٦٣) ابن الحجاج : هو الحسين بن احمد ، شاعر ماجن مزّاح هجاء ، له باع طويل في الغزل ، توفي سنة (٣٩١ هـ ـ ١٠٠٠ م) له ترجمة في الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٧/٥٩ وفيها تخريج

لمصادر ترجمته .

(١٦٤) الروشن : الرّف ، الرفيف ، ابن منظور ، المصدر السابق : ج ١٨١/١٣ ، مادة : رشن .

(١٦٥) الخريشة : إفساد العمل ، المصدر نفسه : ج ٢٩٥/٦ ، مادة : خريش .

(١٦٦) يرد البيتان ، عند الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٣٧٥/٢ ، الصفدي ، المصدر السابق : ص ١٩٦ .

(١٦٧) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٩١ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص : ٢٥٨ .

(١٦٨) البغدادي (الخطيب) ، المصدر السابق : ج ٣٧/٤ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق : ج ١٦١/٧ ، ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٣٥٤/٧ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٩٦ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٦١ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٢٧/١٥ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٥٨/١ .

(١٦٩) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ١٩٦ .

(١٧٠) ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٨ / ١٢٠ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : الاربلي ، ص ٢٠٤ ، المصدر السابق : ص ٢٦٤ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٣٨/١٥ .

(١٧١) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٠٤ ، الاربلي المصدر السابق : ص ٢٦٤ .

(١٧٢) ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٨/ ١٧٠ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢١١ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٦٨ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق ، ج ٢/ ٢٢٠ .

(١٧٣) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢١١ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٦٨ .

(١٧٤) ابن الجوزي ، المصدر السابق : ج ٨١/٩ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢١٥ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٠ .

(١٧٥) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢١٥ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٠ .

(١٧٦) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢١٩ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٢ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٩ / ٥٦١ ، وفيه : « كان أشقر ، أعطر ، أشهل ، خفيف العارضين » .

(١٧٧) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢١٩ .

(١٧٨) الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٢ .

(١٧٩) ابن الجوزي ، المصدر السابق : ج ١٠/ ٥ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٢٤ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٤ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٥٦٩/١٩ .

(١٨٠) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٢٤ .

(١٨١) الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٤ .

(١٨٢) ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ٦٨/٩ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٢٨ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٥ .

(١٨٣) الذهبي ، المصدر السابق : ج ٤٠١/٢٠ .

(١٨٤) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٢٨ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٥ .

(١٨٥) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٣٣ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٧ .

(١٨٦) ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ١٠٨/٩ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٣٥٩/٤ .

(١٨٧) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ٢٣٣ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٧ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٢٠ / ٤١٣ .

(١٨٨) ابن الاثير ، المصدر السابق : ج ١٤٨/٩ ، ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٣٨ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٨ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٦٨/٢١ .

(١٨٩) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٣٨ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٧٨ .

(١٩٠) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٤٣ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٨٠ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٩٣/٢٢ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ٦٦/١ ، الصفدي ، المصدر السابق : ص ٩٣ .

(١٩١) المصادر نفسها .

(١٩٢) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٥٥ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٨٤ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ٢٦٦/٢٢ ، الصفدي ، المصدر السابق : ص ٢٣٩ .

(١٩٣) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٥٥ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٨٤ .

(١٩٤) ابن الكازروني المصدر السابق : ص ٢٥٩ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٨٦ ، الذهبي ، المصدر السابق : ج ١٥٦/٢٣ ، الكتبي ، ابن شاكر ، المصدر السابق : ج ١٧٠/٤ .

(١٩٥) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٥٩ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٨٦ .

(١٩٦) ابن الكازروني ، المصدر السابق : ص ٢٦٨ ، الاربلي ، المصدر السابق : ص ٢٩٠ .

تخطيط المدينة العربية القديمة

أ . د . حيدر عبد الرزاق كمونة

المقدمة

لقد صار لدينا واضحاً بانه ومن البديهيات في الفكر الحديث أن أسس الحضارة ، علومها وفكرها وفلسفتها ونظمها الاجتماعية ، قد اقيمت على تراث منجزات حضارية قديمة . والتي يؤلف تراثنا العلمي ، سواء كان القديم ام التراث العربي الاسلامي في العراق ، (حضارة وادي الرافدين القديمة) ومصر (حضارة وادي النيل) وثم الحضارة العربية الاسلامية التي أنبثقت من الجزيرة العربية الى كل الحضارات الانسانية وبالذات حضارة العرب في سائر انحاء الوطن العربي ، والتي كما قلنا تؤلف قسماً بارزاً ومهماً في تاريخ العلوم والحضارة الانسانية .

لذلك كان الباحثون يشبهون الحضارة المعاصرة ، بصرح او بناء اسهمت في اقامته حضارات كثيرة متعاقبة تفاوتت انصبتها في مدى اسهامها في تشييد هذا الصرح ، ويخصص المؤرخون والباحثون الموضوعيون والمنصفون نصيباً بارزاً لتراث الوطن العربي في ذلك البناء(١) .

من هنا تبرز اهمية احياء التراث العربي ودوره في اقامة نهضتنا الحديثة على اسس سليمة ، وذلك لأن التراث الحضاري كان ولا يزال من الاسس والدعائم لاقامة نهضتنا الحديثة وتثبيت شخصيتها في تطورها الحضاري بما يتفق وينسجم مع الشخصية القومية التاريخية الاصيلة .

وفي ذلك يقول السيد الرئيس (صدام حسين) ..

(ان أبناء حاضر جدي ومزدهر يستدعي الاهتمام بالماضي دراسة واستشهاداً واعتزازاً بجوانبه المشرقة لان الحاضر والمستقبل انما هو امتداد للماضي) .

ان ايضاح مثل هذه الحقائق التاريخية وابرازها للناس بالطريقة العلمية الرزينة وايراد الشواهد والادلة التاريخية عليها هي من بين الواجبات التي ينبغي ان يضطلع بها مفكرونا في موضوع احياء التراث . لتطمئن اجيالنا الناشئة المتشكلة في تراثنا الحضاري الى اننا ما كنا في جميع عصور التاريخ امة طارئة على الحضارة والتاريخ بل كنا في المقدمة في موكب الحضارات البشرية .(٢)

ان من بين الشواهد التاريخية لتراثنا الحضاري – هي المدينة العربية القديمة ، وصروحها الشامخة التي ظلت قائمة رغم كل العواصف العاتية التي مرت على الحضارة العربية خلال التاريخ .

لذلك كان المستعمرون ينظرون الى المدينة العربية القديمة بنظرة متدنية ، ويشجعون عملية هدم الاحياء القديمة بكاملها وتعويضها باحياء تخضع لمعطيات العمران العصري . لانهم وقفوا حائرين امام المدينة العربية القديمة اذ لم يفهموا رموزها ومغزاها .. وسرعان ما تحولت حيرتهم الى خوف فاستعملوا طريقة التحقير والازدراء كنوع من الدفاع الذاتي كما عمدوا الى تفكيك هذه المدينة كلما سمحت لهم الفرصة .(٣)

ان محاولات الاستعمار هذه ما هي الا واحدة من المحاولات لقطع الصلة بين الشعوب وتراثها وبالتالي طمس شخصيتها الحضارية والتاريخية الاصيلة ليتسنى تطبيعها على وفق الطابع الذي يجعلها تابعة تماماً للمستعمرين .

من كل ما تقدم يتبين لنا مدى اهمية التراث واهمية المحافظة عليه وبعثه من جديد ، لانه حلقة حية من حلقات التطور الحضاري التاريخي وليس حدثاً جامداً وقع في الماضي لذلك جاءت اهمية تاكيد تراثنا الحضاري الفني في كل المجالات ، والمدينة العربية القديمة واحدة من الشواهد التاريخية العظيمة في تراثنا الحضاري .

• نشاة المدن العربية القديمة ومبررات وجودها

ان مسالة نشاة المدن العربية في بلاد الرافدين مثلًا - لم تكن ظاهرة فجائية بل سبقتها مرحلتان اتصفت الاولى بتركيز جهود الانسان لاستغلال امكانات وموارد البيئة في محاولة للبقاء - فدفعته الحاجة الى اختراع الالات والتوصل الى بعض الفنون ، فاتسعت نتيجة لذلك القرية الزراعية في حدود « ٦٠٠٠ ق . م) فالمرحلة الاولى يغلب عليها التفاعل بين الانسان وبيئته الطبيعية . اما المرحلة الثانية فقد تميزت بالتركيز على تفاعل الانسان مع البيئة الاجتماعية اكثر من تفاعله مع بيئته الطبيعية ، وفيها ظهرت طلائع المدن الاولى واصبحت دلائل التحضر واضحة حوالي « ٤٠٠٠ ق . م » ومن هذه المدن اورك واور واوما ولكش وقد اصبحت هذه المدن فيما بعد ذات كيانات سياسية مستقلة خاضعة لحكام محليين في حدود « ٣٠٠٠ ق . م » الى « ٢٥٠٠ ق . م » على وجه التقريب وهذا ما يسمى تاريخياً بعصر فجر السلالات او دويلات المدن السومرية . إن هذا النمط الحضري القديم الذي ظهر في هذه المنطقة من العالم لا يمكن ان يفهم بوضوح الا بالاشارة المفصلة الى الظروف السابقة التي اتصف بها العراق ، منها انتاجية الزراعة الاروائية العالية التي يمكن الاعتماد عليها لتقويم القرية والحياة الريفية وتصدير الفائض منها الى المدينة . كما ان التحسينات التي ظهرت في مجال الزراعة وتربية الحيوانات التي انجزتها حضارة العصر الحجري وخاصة زراعة الحبوب الصلبة التي يمكن ان تنتج بكثرة وتحفظ لمدة طويلة بدون تلف، كبير كانت عاملًا آخر في ظهور المدينة من القرية[٤]

ويعتقد جوردان تشيلد G – child أن هناك ثورة في انتاج الغذاء سبقت ظهور المدينة كان من نتائجها الحصول على فائض لاول مرة في التاريخ سمح باطعام افراد من المجتمع انقطع معظمهم لاعمال اخرى غير الزراعة وانتاج الطعام . وقد انقطع هؤلاء للتفكير والتامل والابداع والتنظيم فاخترعوا الكتابة وشرعوا قوانين الاخلاق والمعاملة ووضعوا اصولًا للفن والصناعة وبدأت قضية المدينة بتجمع هؤلاء الافراد في مكان مميز يسهل وصول الغذاء اليه بكميات كافية ويسمح بمباشرة امور الادارة والحكم بطريقة مرضية وهكذا جمع في داخل المدينة كثيراً من الوظائف التي كانت مبعثرة وغير منظمة الى ذلك الحين وبقيت عناصر المجتمع في حالة يسودها نشاط دافق وتفاعل شديد « في هذه الوحدة التي جعلها اجبارية تقريباً قيام سور يطوق المدينة ، فنجد ان دار العبادة موجود وكذلك مورد الماء والسوق والحصن - كانت كلها موجودة قبل نشاة المدينة . فاسهمت في زيادة السكان وفي تركيز تجمعهم كما ادخلت على مبانيها التمييز والتباين مما اكسبها اشكالًا كان يسهل التعرف عليها في كل مرحلة تالية من مراحل تطور حضارة المدينة[٥]

ويذكرنا « ممفرد » بطريقة اخرى ظهرت بواسطتها المدينة من القرية وهي ان بعض القرى ويسبب مواضعها المنيعة ، كانت تقدم حماية لسكانها ضد الطامعين . لذلك فانها في اوقات الخطر والازمات كانت تجذب اليها السكان من المناطق الاخرى التي هي اقل اماناً وتحصيناً وبهذه الطريقة تحولت بعض القرى المنيعة الى مدن ذات سكان اكثر عدداً وتنوعاً ، لانها حتى بعد زوال الخطر احتفظت بقسم من المهاجرين الذين طلبوا الماوى والعيش الامن[٦]

يتضح مما سبق ان من خلال خزن الفائض من المنتوج وفتح القنوات وتنظيم الري وبناء الطرق والهجرة وغيرها من الفعاليات الحضرية الاخرى قد بررت المدينة وجودها وبالتالي ساعدت على التقليل من سيطرة البيئة على الانسان وحمت المجتمع من المؤثرات الطبيعية القاسية ضده . إن هذه الوظائف وغيرها كان من الصعب على جماعة صغيرة الحجم وعلى مستوى القرية ان تنجزها[٧]

ولكن على ما يبدو ان طلائع المدن القديمة التي من المناسب ان توصف بمولد الحضارة في العراق خاصة قد حافظت على علاقاتها التقليدية بالزراعة التي تجدها في القرية لذلك فمن المعقول ان تطلق عليها مصطلح « المدن الزراعية » حيث كان المصدر الرئيسي لغذائها ياتي من الارض التي حولها والى ان تقدمت وسائل النقل والمواصلات وتطور نظام السيطرة المركزية لم تستطع تلك المستوطنات ان تنمو خارج مناطق تجهيزات مياهها وموارد طعامها المحلية ، هذا يعني ان احد ضوابط التحضر كان القرب من مورد مائي دائم وتربة خصبة لذا فإن ميل المدن للنمو على طول الانهار كان شيئاً طبيعياً لاستعمال مياه الانهار للزراعة والنقل ولاغراض اخرى[٨]

وخلال الدور اللاحق لعملية التحضر بدأ التخصص التكنولوجي فمارس الانسان التعدين وتقدمت وسائل النقل التي سهلت التبادل التجاري والتفاعل بين جميع اشكال الاستيطان البشري ومن بينها المدن وقد ادى هذا التطور الى التقليل من اعتماد المدينة على مواردها المحلية واتساع نفوذها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فظهرت نتيجة لذلك المراكز الحضرية التي يمكن ان يطلق عليها اسم « المدن » وذلك في حدود « ٤٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق . م » مثل اور واكد وبابل وآشور ونينوى[٩]

وظائف المدينة العربية القديمة واستعمالات الارض فيها

ان ظاهرة التباين في استعمال الارض داخل المدن تدلنا على ان المدينة الواحدة كانت تجمع في الغالب بين عدد من الوظائف التي تخدم بها سكانها المحليين بالاضافة الى الجماعات البشرية المحيطة بها . وتشمل هذه الوظائف الوظيفة الاقتصادية والدينية والسياسية والحربية . ومن الطبيعي ايضاً ان تبرز احدى هذه الوظائف على غيرها في بعض المدن مما يشجعنا على الافتراض بان هناك مدناً تركز بالدرجة الاولى على احدى الوظائف دون غيرها . وعلى هذا الاساس يمكن الادعاء ان - كوثي

« تل ابراهيم » ونفر، وكيش والوركاء واريدو كانت مراكز للتلقين الديني، ومن الصفات البارزة لهذه المدن احتواؤها على الهياكل الدينية ومقرات الالهة والمعابد والزقورات[١٠]

وهناك طائفة اخرى من المدن القديمة وجدت بالدرجة الاولى او وجهت لتكون حصوناً وعواصم في الوقت نفسه كما كانت الحالة في مدينة « أكد » سنة « ٢٢٥٠ ق . م » وقد دعت وظيفتها – وهي عاصمة – اكد – ان تحاط المدينة بجدارين منيعين وقناة . اما بابل فانها خير مثال على المدن المتعددة الوظائف، إذ كانت تقوم بوظيفة سياسية وعسكرية وكانت كذلك مقراً دينياً وعلمياً في وقت السلم زيادة على كونها ملتقى التجار . ولهذا كان عليها ان تقدم الوانأ من النشاط التجاري . ولهذا الصنف من المدن يمكن ضم آشور، نينوى، وغيرها[١١]

● مقاييس التفريق بين القرى والمدن القديمة

رأى الباحث ممفرد ان الذي يميز المدينة عن القرية في ذلك الوقت شيئان مهمان .. اولهما وجود مركز اجتماعي منظم تتماسك حوله جميع انماط بنية المجتمع وهو – المعبد – وثانيهما ... يشمل مجموعة من المرافق، كالجسور والماوى الثابت والطرق المعبدة ومخازن المياه ومشاريع الري وجميع العناصر الاخرى التي ادت الى تكسية الموضع الطبيعي بظواهر اصطناعية من عمل الانسان وقللت من اعتماد المدينة على الارض مباشرة وزادت من سيطرة الانسان على البيئة الطبيعية[١٢]

اما المقاييس التي اقترحها الباحث « جايلد » فهي – تقسيم العمل او حجم السكان واستعمال الكتابة والاختراعات العملية وجمع الضرائب والمباني العامة والتجارة الخارجية والتركيب الطبقي والاجتماعي واضيف الى هذه العناصر الاصطناعية والتي هي من فعل الانسان المراكز الدينية والجسور والمساكن الثابته ومخازن المياه ومشاريع الري التي هي من مميزات المدينة[١٣]

طبعاً ليس المقصود من الكلام السابق معرفة ما يميز المدينة العربية القديمة عن القرية فحسب وإنما وكما هو واضح بيان صفات او بعض صفات ووظائف وانظمة المدن العربية القديمة وما تحويه من عمران ومنشآت وأنظمه اشير اليها ضمن الموضوع .

أشكال المدن العربية القديمة

يظهر ان الشكل الغالب الذي اتخذته خطط المدن العربية القديمة هو الشكل المستدير . اما الاشكال الهندسية الاخرى التي اتصفت بها هذه المدن فان الامثلة عليها قليلة « تل الدير » التي شيدها « سرجون الاول » وقد اقيمت على شكل ثلاثي وقد قام مقام الضلع الثالث قناة . وكذلك مدينة « عنه » التي يمكن ذكرها للدلالة على الشكل المستطيل لان هذه المدينة محصورة بين ضفة النهر « الفرات » والتلال المرتفعة المحاذية لمجرى الفرات، لذلك قد نمت بشكل طولي . اما الامثلة على الشكل الدائري لمدن العراق فانها كثيرة، فقد كشفت التنقيبات الاثرية في العراق على نقوش آشورية تدل على ان « شلمنصر الثالث – ٨٥٨ ق . م » « وسنحاريب ٧٠٥ – ٦٨١ ق . م » اتبعا الشكل المستدير في تصميم الحصون الدفاعية وان المدينة التي اقامها « سنحاريب » في نينوى كانت دائرية كما كانت مدينة « الحضر » التي لم يعرف مؤسس او تاريخ تاسيسها مستديرة البنية . وقد خططت « طيسفون » على اساس دائري ايضاً واخيراً نجد ان « بغداد » قد صمت على هذا الاساس ودعيت بالمدينة المدورة . ولا يعرف مدى تاثرها بالمدن التي ظهرت قبلها من حيث الشكل والخطة سواء كان ذلك مدن العراق او المدن التي وجدت في الاقطار المجاورة ولا سيما مدن جزيرة العرب لان الكثير من المدن التي اسسها العرب قبل الاسلام وبعده كانت دائرية الشكل ومحصنة ايضاً واينما كان اصل الشكل الدائري للمدن فان هذه الظاهرة يمكن ان تعزى لاسباب كثيرة منها ما يلي : –

١ – إن الشكل الدائري يعطي للمدينة بنية محتشدة مما يساعد على الدفاع، اذ يمكن حمايتها من جميع الجهات، وخاصة اذا علمنا ان اكثر المدن الدائرية هي حصون عسكرية او مدن اسست لهذا الغرض[١٤]

٢ – ان الشكل الدائري يساعد السلطات الحاكمة على ضمان السيطرة على المدينة من المركز .

٣ – نرى ان الاقتصاد في الوقت والنفقات وغيرها من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية هي من الصفات الموروثة في الشكل الدائري لخطة المدينة والتي تميزه عن الاشكال الهندسية الاخرى[١٥]

● التصميمات المتعلقة بالبيئة الداخلية للمدن العربية القديمة

ان الحفريات الاثرية التي اجريت في بعض المواضع في العراق تشير الى ان هناك تفاصيل عامة تشترك بها بعض المدن القديمة وعلى اساسها استطاع الباحث آدمز – Adams ان يقدم لنا التعميم الاتي : تمثل المباني العامة كالمعابد والقصور قلب المدينة القديمة وتعد هذه المؤسسات البؤرة « المركز » التي تتوجه اليها انظار السكان ومنها تتفرع الطرق العامة، اذ تقع دور الطبقة الغنية من السكان على امتداد هذه الطرق الرئيسية وتتصف باتساع مساحاتها وتعدد غرفها ومرافقها . اما احياء الطبقة الفقيرة فانها تقع خلف الاحياء السكنية وهي ذات دور صغيرة المساحات وتتخللها ازقة ضيقة ملتوية . وتتركز المناطق التجارية في العادة على واجهات الانهار القريبة او على ابواب المدن وفي الغالب كانت تلك المدن تحاط بالاسوار والخنادق لحمايتها من هجمات القبائل المتجولة واطماع الحكام المجاورين وتجاور المدن القرى الزراعية واخيراً تظهر الاراضي الصحراوية

التي يتجول فيها الرعاة[١٦]

ويشير الباحث الاثاري طه باقر ان دولة المدينة كانت تتالف من جملة مجتمعات او حارات معبدية « اي تتمركز حول معبد معين » . وقد قدرت نفوس حارة احد المعابد في « لجش » زهاء « ١٢٠٠ نسمه »[١٧]

تخطيط التحصين في المدن العربية القديمة

يشمل تحصين المدن احاطتها بالاسوار والخنادق واختيار الموضع واقامة الابراج والدعائم وتصميم مداخلها وكل ما من شأنه ان يزيد من قدرتها الدفاعية والهجومية بوجه الغارات الخارجية المعادية واحتمالات تعرضها لتمردات داخلية ضد السلطات الحاكمة وهناك امثلة كثيرة على المدن المسورة عندنا ، ويمكن ان نورد بعضها . ان عدد الاسوار التي احيطت بمدن العراق القديمة كان يتراوح بين سور واحد الى عدة اسوار . وقد اختلفت المدن من حيث درجة الاحكام والتحصينات الاخرى ايضاً حسب اهمية المدينة وتعرضها للخطر ومدى اهتمام السلطات بها وطبيعة موضعها وموقعها[١٨]

تخطيط حصون مدينة « آشور »

يحيط بمدينة آشور سوران محصنان بابراج ، أحدهما داخلي يحاذي دجلة من الشمال والشرق ويسير حول المدينة ، وثانيهما خارجي يمتد من الزاوية الشمالية الغربية للمدينة بموازاة السور الداخلي فيضم في جنوب المدينة بقعة واسعة من الخرائب لا يحيطها السور الداخلي وتعرف هذه البقعة بالمدينة الجديدة ، وليس للسور الخارجي امتداد بمحاذاة دجلة بل هناك مسناة[١٩]

من خلال ما تقدم في عرض تخطيط حصون آشور ، يتبين لنا اهمية اختيار موقع المدينة بحيث تكون محمية من جهتين : الشرقية والشمالية وذلك لوجود عارض طبيعي « نهر دجلة » وهو لا يحتاج الى حماية كبيرة لذلك اقتصر على السور الداخلي لمدينة آشور بينما احتاجت الحدود الغربية والجنوبية الى حماية اشد لعدم وجود عوارض طبيعية مهمة . ولذلك احيطت بسورين احدهما السور الداخلي الذي يحيط او يطوق المدينة من كل الجهات والثاني وهو السور الخارجي الذي يحيط الحدود الغربية والجنوبية للمدينة وهناك ظاهرة اخرى وجدت ضمن هذا التخطيط الا وهي وجود « المدينة الجديدة » المكونة من الخرائب خارج السور الداخلي للمدينة وضمن السور الخارجي لها . وهنا تحقق هذه الناحية شيئين : الاول تخلص وسط المدينة او مركزها من ظاهرة غير حضرية وهي وجود الخرائب . والثاني له ناحية أمنية وهي ابعاد هذه الفئة او الشريحة من الشعب عن مركز السلطة وقصور الملوك وذلك بفصلها بالسور الداخلي الذي يؤمن الحماية في احتمالات تعرض المدينة للتمردات الداخلية ضد السلطة - كما هو موضح بخارطة مصورة لمدينة آشور .

● تخطيط حصون مدينة بابل

ويمكن ان نستدل على درجة احكام تحصين المدن القديمة وخاصة الرئيسية منها مما كتبه الاستاذ طه باقر عن جهود «نبوخذنصر الثاني » « ٦٠٤ - ٥٦٢ ق . م » في تجديد بناء بابل وتوسيمها وتحصينها ، وهي المدينة التي قاست على ايدي الفاتحين المتتابعين وكان آخرهم « سنحاريب » الملك الاشوري الذي ازالها من الوجود تقريباً . وقد بنى الملك أسوارها الداخلية والخارجية ولم يكتف بذلك بل انه بنى لها خطين من الدفاع الخارجي « الجدار الماذي » ويعد اعظم واعجب الاسوار المحصنة في تاريخ البشر فانه بوجه التقريب يمر من الشمال الى الجنوب قاطعاً بالضبط ارض ما بين النهرين من « بلد » الحالية على دجلة الى مدينة « سبار » التي كانت آنذاك على الفرات قرب المحمودية والآن قرب قنال اللطيفية . والخط الثاني يمر بوجه التقريب من الناصرية على الفرات حتى « كيش » على الفرات « فرع النيل »[٢٠]

وبنى للمدينة سورين : سور خارجي وسور داخلي تتخللها ابراج ضخمة للدفاع وهما من اضخم الاعمال البنائية .. ويتالف السور الخارجي من ثلاثة جدران ضخمة . اولهما جدار من اللبن ثخنه « ٧ » أمتار ويليه بمسافة « ١٢ » متراً جدار آخر بني بالاجر ثخنه حوالي « ٨ » امتار ثم جدار ثالث من الاجر ثخنه « ٣,٥ » المتر ويتخلل الجدار الاول بين كل « ٥٢ » متراً ابراج شاهقة للدفاع[٢١]

● تخطيط حصون « سمنه » و « قمنه »

ان الغزوات الخارجية التي شنها ملوك الاسرة الثانية عشرة والتي وصلت بالحدود المصرية الى النوبة قد جعلت هؤلاء الملوك يفكرون في اقامة التحصينات لصد غارات النوبيين ، واهم هذه التحصينات . حصنا « سمنه » و « قمنه » القائمين على ضفتي النيل عند اضيق موقع فيه ، وكان السور الخارجي للحصن يتضمن جداراً يربط الزوايا المحصنة ، مزوداً في مواضع مختلفة بطوابي ، او زوايا متقدمة ، وكانت اعالي الحوائط مجهزة بمتاريس او مزودة بتركيب ثلاثي القصد منه توجيه الاسهم في ثلاث وجهات مختلفة ، وكانت جدران الحوائط السفلية تحاذي خندقاً من الحجر مائل الجوانب ، اما الحصن نفسه فهو مشيد بالطوب « اللبن » فوق قواعد متينة من الحجر وداخل السور توجد عدة مبان هامة منها ، الثكنات العسكرية ، المستودعات ومسكن القائد ومعبد الحصن .[٢٢]

● تخطيط تحصينات مدينة الحضر

كانت الحضر مدورة ومحاطة بسورين الاول خارجي واطيء مشيد من اللبن وقطره حوالي ٣ كم والثاني يبعد عن الاول

بمسافة « ٥٠٠ متر » وله اربعة ابواب ويحيط به خندق . بالاضافة الى هذه الاجراءات فان ابواب مدينة الحضر تمتاز بمناعتها وقد صممت بطريقة ماهرة لصد الهجوم عن المدينة ، فالداخل من الخارج يعبر الخندق ثم يدخل في باب في بداية مسلك مواز للسور الداخلي من الخارج وبعدها ينعطف به هذا المسلك الى جهة اليمين ، فينفذ في ذلك السور ماراً خلال باب واقع بين برجين اعدا لحراسة الباب ويعتقد انه كان لهذه المدينة ستون برجاً كبيراً وبين كل برجين كبيرين تسعة ابراج صغيرة وازاء كل برج قصر .[٢٣]

ان احكام هذه المدينة لا يدعو الى العجب اذا ما علمنا انها كانت تقع على طريق الفاتحين والتجار وبالقرب من التخوم الساسانية والرومانية وهنا يجب ان نبين اهمية تصميم ابواب السور بالشكل المذكور

ان لهذا الطراز من المداخل اهمية عسكرية بالغة اذ يلاحظ فيه ان الغزاة والمهاجمين يضطرون الى الانحراف نحو اليسار فتتعرض جوانبهم اليمنى للسهام الموجهة اليهم لان الجند يحملون التروس بأيديهم اليسرى فتبقى جوانبهم اليمنى مكشوفة .[٢٤]

مقدمة عن المعابد في المدن العربية القديمة

لقد كانت للمعابد القديمة علاقة وثقى بشؤون الناس الدنيوية فهي مركز مهم للقضاء بين الناس، وكان الكهنة في هذه المعابد اشبه بالقضاة في بداية التاريخ ، كما كان للمعبد مكانة مهمة في حياة الناس من الناحية الاقتصادية ، ففيه ما هو اشبه بمصرف للتسليف والايداع ، وفيه تجيء واردات المعبد الكثيرة وفي المعابد كنوز ثمينة من الاثار الفنية والمآثر الادبية والدينية المدونة على رقع الطين . والمعابد مواضع ذات قدسية خاصة بسبب علاقتها بالالهة .[٢٥]

وكانت المعابد اشبه بأديرة العصور الوسطى التي كانت تضم الى جانب الكنيسة الرئيسية والكنائس الصغيرة الاخرى الملحقة بها مباني ذات صبغة دنيوية تحتل مساحة واسعة كغرف النوم ومحلات الخزن وقاعات الطعام والمصانع والمكتبات فكان المعبد في كل مدينة يحتوي على غرف للكهنة وخدم المعبد والفتيات اللواتي وقفن انفسهن على خدمة الاله كما كانت هناك غرف خاصة للاطفال الذين يتلقون تعليمهم في المعبد . وكانت بعض النساء العاملات في المعبد يغزلن الصوف وينسجنه كما يقوم بعض الصناع بصهر النحاس لعمل الاواني او الاحجار النفيسة فتصنع منها التماثيل وتزين بها الجدران وهذا يدل على ان العمل في المعبد كان اوسع من النطاق الديني وان كل شيء يعمل بدقة ونظام . وهكذا كانت المعابد تضم كثيراً من الفعاليات المتنوعة ، كل منها تشغل مساحات كبيرة داخل ساحة الحرم المديمة التي تتوجها الزقورات المرتفعة والمتعددة الطبقات[٢٦]

• تخطيط المعابد

ان التخطيط العام للمعابد يتكون من حجرة المدخل او الايوان ومنها الى ساحة المعبد ثم حجرة « المابين » التي تفصل الهيكل عن الساحة واخيراً حجرة الهيكل « قدس الاقداس » حيث المحراب ودكة المذبح . وهناك اجزاء ثانوية في بعض المعابد كوجود حجرات تحيط بالساحة وفي بعض الحجرات هياكل لتماثيل آلهة اخرى . كما توجد حجر اضافية تتخذ مخازن لايداع الاثاث المقدس او لاستعمال الكهنة بصفتها مختلى لهم ، وقد يضاف الى المعابد ابنية ملاصقة لها لسكنى الكهنة وسدنة المعبد[٢٧]

الزقورات

لقد اثبت علم الاثار ان سكان وادي الرافدين في الالف الرابع ق . م كانوا قد جعلوا بعضاً من هياكل معابدهم قائمة على شرفات عاليه وفسرت هذه الخصيصة المعمارية ان العراقيين القدامى كان همهم الاول ان يحفظوا مساكن آلهتهم « الهياكل » من اجتياح الفيضانات المتكررة في القسم الاسفل من وادي الرافدين ، ولهذا فمسكن الاله وحده الذي يجب ان يرفع على هذا النحو فوق مستوى السهل . وعندما بنيت الشرفة العالية في درجتين ، كانت عملية التطور قد بدأت ومنذ نهاية الالف الرابع وحتى منتصف الالف الثالث اصبح اعلاء الهيكل اشد وضوحاً[٢٨]

وقد وصف المؤرخ الشهير « هيرودوتس » زقورة بابل بقوله . في وسط الهيكل بني برج متين ، وعلى هذا البرج قام برج آخر وعلى هذا قام برج كذلك ، وهكذا حتى كان المجموع ثمانية ابراج ، سلم لولبي يحيط بها من الخارج ، وفي حوالي منتصف الطريق الى الاعلى ثمة مقاعد يستطيع الصاعدون الجلوس عليها للاستراحة وفي البرج الاعلى هناك هيكل عظيم .[٢٩]

• تخطيط المعابد المصرية القديمة

ان معظم المعابد المصرية تتشابه في تخطيطها واجزائها ، فالطريق المؤدي الى المعبد اقيم على جانبيه صف من التماثيل على شكل ابي الهول الى ان يصل المدخل وفي مواجهة المعبد تماماً . والمدخل عبارة عن بوابة بين برجين عاليين اقيم امامهما مسلتان او تمثالان للملك وتتصل هذه البوابة مباشرة بصحن سماوي أو فناء داخلي محاط من ثلاث جهات بأروقه مسقوفة على عمد وتتكون من مجاز وسط على جانبيه اروقة سقفها على منسوب اقل من سقف المجاز يأتي اليها الضوء من فتحات تترك في المسافة التي بين السقفين ثم يتلو هذا « قدس الاقداس » وهو المكان او الحجرة التي يوضع بها تمثال الالهة ويحيط بهذا المكان الحجرات والمخازن والاجزاء التي لابد من وجودها بالمعبد . ومما يلاحظ ان الصحن يشغل مساحة اكبر من مساحة بهو الاعمدة وهكذا تتدرج اجزاء المعبد في الصغر كلما تعمق الانسان الى

الداخل فتنكمش احجامها وتقل ارتفاعاتها بتخفيض الاسقف ورفع الارضيات الى ان تصل الى قدس الاقداس حيث يحفظ تمثال الالهة فيكون اقل الاجزاء حجماً واخفها ضوءاً مما يبعث في النفس الرهبة ويدعو الى الخشوع امام هذا الاله . وهذه المعابد الفرعونية كانت غير مخصصة للصلاة فلا يوجد فيها محراب او مكان للصلاة فالمعابد كانت مخصصة لسكن الالهة . والصحن يجتمع فيه الوفود لزيارة الاله والبهو لعلية القوم والاجنحة لسكن الاله لا يلجأ اليها الا الكهنة .[٣٠]

تخطيط المدافن

بنى المصريون مدافنهم وزخرفوها باجمل النقوش ليضعوا فيها مومياء موتاهم وشيد ملوكهم الاهرامات الشامخة لتدفن فيها جثثهم حفاظاً عليها من العبث ولتبقى خالدة على مر العصور واولى المحاولات لبناء الاهرامات هي المصطبة[٣١]

والمصاطب هي مقابر رجال الجيش من حاشية الملك والامراء وكبار موظفي الدولة .. وهي تقليد لمقابر ملوك الاسرة الاولى وسمح للافراد باستعماله عندما استعمل الملوك الاهرامات .[٣٢]

والمصطبة بناء صغير قاعدته مستطيلة وواجهاته الاربع مائلة الى الداخل وبذلك يكون سطحه العلوي اقل مساحة من قاعدته اي ان البناء على شكل هرم ناقص قاعدته مستطيلة[٣٣]

وعادة تحتوي المصطبة على غرفة خارجية توضع فيها هدايا الروح وكان يقصدها اقارب المتوفى للزيارة وكانت حيطانها مزينة بالنحت البارز الذي يصور حياة صاحب المقبرة . وحجرة سرية اخرى داخلية تسمى بالسرداب وتحتوي على تماثيل مختلفة لاعضاء الاسرة وحجرة ثالثة تحتوي على الجثة ولا يمكن الوصول اليها الا عن طريق ممر سفلي[٣٤]

والمصطبة توضح ناحيتين ، الاولى التطور في عطايا المعبد ، والثانية المدخل النوعي العميق الى حجرة الدفن (الضريح) .[٣٥]

• الاهرامات

الهرم بناء ضخم قاعدته مربعة وواجهاته الاربع مثلثة الشكل مائلة الى الداخل ومتقابلة في نقطة واحدة هي قمة الهرم .[٣٦]

وقد شغل هرم « خوفو » مساحة تقدر بثلاثة عشر فداناً واستخدم في بنائه عدداً كبيراً جداً من كتل الحجر وبلغ ارتفاع الهرم « ١٤٦ » متراً وطول ضلع قاعدته « ٢٣٠ » متراً ووصل المصريون القدماء الى حد الاعجاز في ضبط الزوايا والابعاد واذا دخله الزائر زاد اعجابه بتلك الطرقات القليلة الارتفاع حيث يجد نفسه في الردهة المرتفعة حتى يصل اخيراً الى غرفة الدفن التي بها تابوت الملك وكان الهرم مغطى من الخارج بالحجر الجيري الابيض .[٣٧]

وقد كانت مجموعة كل هرم من الدولة القديمة تتكون من عدة ابنية لكل مبنى وظيفة خاصة به واهمها الهرم نفسه حيث يدفن فيه الملك ووجد ان الهرم يتبعه من الجهة الشرقية معبد جنائزي ، تقام فيه الصلوات على روح الملك وتقدم القرابين .[٣٨] ولما كانت الاهرامات تقام على ربوة عالية في الصحراء فللوصول كان يشيد على حافة المزارع المجاورة للصحراء معبداً آخر يسمى معبد الوادي يتصل هذا المعبد بالنيل بواسطة قناة تعبرها المراكب . ينزل منها الزوار الى مرسى اعد امام المعبد ، فيتجمعون فيه ويتطهرون ثم يسلكون طريقاً مرصوفاً ومبنياً على شكل نفق مقفول من جانبيه بحوائط تحمل سقفاً يدخل الضوء منه عبر فتحات فيه . يجاور هرم الملك اهرامات صغيرة تدفن فيها الملكات وكان الامراء وكبار رجال الدولة يبنون مقابرهم حول اهرامات ملوكهم .[٣٩]

كما حفروا في الصخر اماكن كانوا يضعون فيها سفناً كبيرة من الخشب لتكون تحت تصرف الملك عندما يقوم برحلتي النهار والليل مع اله الشمس ، وفي مختلف الاغراض عند عبور الانهار والبحيرات في العالم الاخر .[٤٠]

لقد تضاربت النظريات حول طريقة رفع الاحجار الى هذه الارتفاعات الكبيرة في بناء الاهرامات ، ولكن من الارجح ان المصريين استعملوا جسوراً من الخشب منحدرة الاسطح تنزلق عليها الاحجار الى الاعلى بواسطة زلاقات من الخشب تجرها الدواب او الرجال .[٤١]

لقد كان الهرم مثيراً بإجلاله وانه مظلم بالاضافة الى كونه شديد الصلابة بحيث توحي ان البنايات المقصودة تستمر الى الابد ، الفكرة ليست بدون قاعدة او اساس عندما نحن ندرك بأن الهدف المعلن للهرم ليس فقط حفاظ تحنيط « فرعون » لاجل ارجاع الروح في الحياة الاخروية « او الاخرة النهائية » لكن كذلك الى ان تكون الاساس في العبادة للموت الملكي « The cult of the royal dead » وبالنتيجة العناصر المسيطرة هي ، نُصُب أثرية عظيمة معقدة .[٤٢]

اما في بلاد آشور فكانت قبورهم بسيطة تكون غالباً خارج اسوار المدينة وحولها .[٤٣]

ولم يعتن الاشوريون ببناء القبور - اما موتى الملوك وعائلاتهم فكانوا يُدفنون تحت ارضية القصور الملكية وقد عثر على عدد منها بمدينة آشور .[٤٤]

السوق bazaar

اما الاسواق وما تحويه من دكاكين وخانات فقد كانت تقع دائماً قرب الانهار وذلك باعتبار الانهار واسطة نقل مهمة من المناطق الزراعية وغيرها من المناطق الى الاسواق على ضفاف الانهار او قربها وكذلك كانت الاسواق تأخذ مواقعها على ابواب المدينة او تأخذ مركزاً وسطاً في المدينة قرب او بجانب المعبد وهذا ما ساد المدن العربية الاسلامية القديمة لاعتبارات دينية

واجتماعية مختلفة حيث يكون السوق بجانب الجامع[٤٥]

اما معالم السوق في احد التعريفات الكلاسيكية في المدينة الاسلامية فهو العمود الفقري التجاري (Commercial spine) للنسيج الحضري المرتبط بالجامع - الحمامات ، الخانات ، المدارس ... الخ والسوق في مثال مصغر ، يحتوي على دستات (dozens) من الشوارع ، ففي بعض الاحيان وفي مدخل مقطع زاوية قائمة (right angles) تتجمع الدكاكين (shops) التي تبيع نفس السلع الى بعضها دائماً . مثل سوق التوابل (spice bazaar) وسوق الجلود (leather bazaar) وسوق الاعمال المعدنية (metal work bazaar) [٤٦].

والسوق هو شبكة من الشوارع المقببة (domeel) وغالباً ما تكون التقاطعات ذات قبب عالية او مناطق مفتوحة الى السماء .[٤٧]

لقد فرض المناخ السائد ، وطبيعة الانسان العربي التسويقية والتكنولوجيا السائده وتتخذ نمطاً معيناً من الاسواق وغالباً ما تكون مسقفة للوقاية من الامطار واشعة الشمس والرياح العاتية ، لقد لوحظ عند بناء الاسواق وملحقاتها معالجة امور اساسية كتوفير الضياء الكافي باقل حرارة ممكنة وضمان حركة الهواء داخل هذه الاسواق وتوفير مجال الحركة للمشاة ولوسائل النقل المستعملة داخل الاسواق وتنذاك[٤٨] .

• أنظمة الشوارع

ان للمدينة العربية القديمة وضعها الوظيفي والاجتماعي والاقتصادي والطبيعي الخاص مما ينعكس على انماط شوارعها التي غالباً ما كانت غير مستقيمة لاسباب تتعلق باختفاء السيطرة البلدية او الادارية التي لم توجد في اكثر من مدينة ، ثم لتجاوز المتنفذين من السكان على الشارع ، وربما كذلك لسبب دفاعي او لعلاج الظروف المناخية حيث لا يسمح لاشعة الشمس ان تنزل عمودية او لكي تكسر حدة الرياح وان اهم العوامل المؤثرة على اتجاه وسعة وبالتالي اهمية الشارع هو مدخل المدينة وموقع المعبد او الجامع والاسواق الرئيسية ، حيث تصب غالبية الشوارع على المنشآت الرئيسية (المركزية) ومن الشوارع الرئيسية تتفرع شوارع ثانوية الى منشآت اقل اهمية ، ومن ثم شوارع وازقة الدرجة الثالثة التي تخدم ابناء المحلة[٤٩] .

وكانت هنالك انواع من الشوارع المعقودة او المقببة (The vaulted streets) .

وهذه الشوارع هي شوارع داخلية للاسواق او شوارع فرعية لخدمات اخرى غطيت من الاعلى ببناء (على شكل سقف مقبب) وقد استفادت هذه الشوارع من الاضاءة الطبيعية للشمس ، حيث اضيئت من خلال فتحات او نوافذ (aspertures) في وسط كل مسافة تفصل بين العمودين (اللذين يحملان السقف) وقد خلقت هذه الطريقة برودة (acool) وفضاءات تهوية جيدة ، اعتبرت مثالية للمناخات الحارة - هذه العمارة سادت جميع انحاء العالم الاسلامي[٥٠] .

تخطيط شوارع مدينة « بابل »

يتميز تخطيط مدينة بابل بشوارع متعامدة واسعة تنتهي ببوابات المدينة الرئيسية . وقد عرفت اسماء ثمانية شوارع كبرى ولها ثماني بوابات كبيرة وقد ذكرت النصوص المسمارية اسماء شوارع اخرى حيث كانت للمدينة « ٢٤ » شارعاً ، وشارعان لمسيرة الجند ، كما ذكرت ثلاثة (٣) جسور على نهر الفرات . وكان اهم شوارع مدينة بابل (شارع الموكب) الذي يبدأ من باب عشتار في الشمال الى معبد (مربوخ) وكان عرض هذا الشارع في الجهة الشمالية نحو (٦٣) ثلاثة وستين قدماً وهو مبلط بالواح من الحجر ويكتنف الشارع من الجانبين جداران ضخمان يزين كلًا منهما (٦٠) اسداً[٥١] بلبد حمراء وصفراء ، على ارضية من الاجر المزجج الازرق ويقول المؤرخون ان بابل العاصمة في ذلك الحين كانت مخططة تخطيطاً سليماً وكانت الشوارع في تخطيطها موازية للنهر والشوارع الاخرى عمودية عليه كما هو الحال في تخطيط مدينة نيويورك (New York) الحالي[٥٢] .

تخطيط دور السكن

كانت هناك عدة انواع من الدور السكنية كالقصور الملكية وقصور الحاشية الملكية وكانت غالباً ما تكون في مركز المدينة كقصور الامارة او تكون بعيدة عن جو المدينة في البساتين والمزارع الملكية وهي قصور للراحة والنزهة وكانت هذه القصور تبنى على مساحات واسعة وتضم اقساماً وحجراً كثيرة . ولناخذ مثلًا احد هذه القصور من عصر الاشوريين وهو قصر سارجون في خورسباد ٧٢٢ - ٧٠٥ ق . م - يبلغ مسطح هذا القصر « ٢٥ » فداناً ويحتوي على صالات كبيرة وايوانات وحجر وممرات وبه « ٢٠٠ » حجرة بني على قاعدة مرتفعة من الطوب الاخضر مغطى بالحجر ويرتفع البناء نحو (٥٠) قدماً ويمكن الوصول الى القصر بواسطة سلالم متسعة ومنحدرات للخيول ويحرس ثلاث المداخل الرئيسية تماثيل رؤوس عجول واسود يبلغ ارتفاعها نحو ٣,٥٠ متراً . ويتكون القصر من ثلاث مجموعات سكنية . الاول الجناح الملكي ويحتوي على عشر قاعات كبيرة وجناح للرجال والاستقبال وبه (٦٠) حجرة اما القسم الثاني جناح الحريم ويحتوي على عدة شقق سكنية والقسم الثالث جناح الخدمة والحجرات موزعة حول الاجنحة السابقة الذكر . شُقِّفَ هذا القصر بالقبو والقباب والاضاءة تصل الى الحجرات من الداخل عن طريق الافنية كما كان متبعاً في ابنية قدماء المصريين . سمك حوائط القصر ثمانية وعشرون قدماً (للحرارة والعزل)[٥٣]

والنوع الاخر من المساكن هو الدور الشعبية او مساكن الطبقة الفقيرة وكانت هذه المساكن تقع خلف دور الاغنياء

تتخللها شوارع ضيقة وملتوية وغير منتظمة وغالباً ما كانت تؤلف هذه الدور حارات متعددة ضمن المدينة . اما فيما يتعلق بالتصميمات الداخلية لهذه الدور . فان التنقيبات الاثرية اظهرت نماذج من دور السكن من مختلف العهود فكانت البيوت تبنى من اللبن ، وهي على الاغلب مؤلفة من طبقة واحدة ويحتوي كل بيت على جملة حجرات تتوسطها الساحة المكشوفة « الفناء » وقد وجد احد هذه البيوت في خفاجي وهو ذو خمس حجرات صغيرة تبلغ مساحته نحو ١٠ م × ٥ و ٦ م وآخر اكبر منه ذو عشر حجرات مساحته ٣٠ م × ٢٠ م وقد عقد بعض ابوابه بالعقادة على شكل اقواس صحيحة ، والعادة انه يوجد في البيت شبابيك داخلية مفتوحة على فناء الدار ، ولا توجد شبابيك مطلة على الشارع ، وان اغلب هذه المظاهر قد اتبعت في مساكن المدن الاسلامية وكثيراً ما كانت المباني تزين من الخارج بالنقوش او الاعمدة المربعة والابواب الخشبية المكسوة بالمعدن وما شابه ذلك من فنون الزخرفة[٤١] .

• الجوانب الجمالية في تخطيط المدن العربية القديمة

انه ومن خلال دراسة تخطيط المدن العربية القديمة وتفاصيل مؤسساتها الرئيسية في ذلك الوقت تظهر لنا ناحية مهمة في تخطيط المدينة العربية القديمة وما تحويه من المعابد والقصور والدور السكنية والساحات وغيرها ... الا وهي الناحية الجمالية والفخامة في تصاميم هذه الابنية وهي تعكس لنا الذوق والفن المعماري في تلك الفترة .

فقد زينت جدران القصور والمعابد والبوابات المهمة الكبيرة بشتى انواع النقوش والرسوم والزينة .

واستعملت فيها انواع متعددة من مواد التزيين المعدنية والخشبية وكذلك الحجرية . بالاضافة الى مراعاة انسجام ابعاد البناء وجماله ومتانته . كما زينت ساحات وشوارع تلك المدن بشتى انواع الزينة وخصوصاً تشجير تلك الساحات وعلى امتداد شوارعها الرئيسية ، وكثيراً ما كانت تعبر تلك الفنون عن وظيفة او معتقدات معينة الا انها مع ذلك تعبر عن فن معماري واحساس وذوق جمالي رفيع « فقد برز فن العمارة في المعابد القديمة . الزقورات - والتي اتخذت شكل صرح مدرج بشكل متناسق ومرتفع - لكي تناسب مرتبة الاله ، تعبيراً عن السمو . وعلو الالهه

ويعتقد العالم « السروولي » ان جدران المعبد العالي الخارجية في اور كانت مغلفة بآجر مزجج بلون ازرق ، رمزاً الى لون السماء سكنى الآلهة . ويرى كذلك ان المعبد العالي كان على ما يحتمل مغطى بقبب ذهبية كما تشير المصادر الادبية[٥٥] كما ونلاحظ ان الجدران الخارجية للمعابد - رمزية بطلعات ودخلات كما تزين الجدران بحزوز عميقة على شكل T اما المداخل فتكون على شكل دخلات متكررة تجمل الباب غائراً بالنسبة الى الجدارين الواقعين على جانبيه .[٥٦]

اما جدران المعابد الداخلية فكانت تزين بالافاريز الخشبية والمعدنية او بنقوش الفسيفساء من الذهب والفضة او الاحجار الكريمة كالزمرد والفيروز والمرجان[٥٧] .

وانه من فنون العمارة في عصر فجر السلالات هو استخدام اللبن (المستوي - المحدب) الذي كان يصف على الجانب الواحد فوق الآجر بهيئة عظام السمكة[٥٨] .

وزيادة في تكامل الجمال في التخطيط والعمارة لبعض المعابد الرئيسية الكبرى اقيمت بعض الملحقات حول المعبد كالبحيرات المقدسة والتماثيل والمسلات في الافنية[٥٩] .

وكذلك يظهر الفن والجمال في بناء المصريين لمدافنهم . فقد بنى المصريين مدافنهم وزخرفوها بأجمل النقوش ليضموا فيها مومياء موتاهم وقد شيد ملوكهم الاهرامات الشامخة[٦٠] . واشتهر البابليون بكسوة حوائط مبانيهم بالطوب الخزفي ذي الالوان البديعة الرائعة بينما اشتهر الاشوريون بكسوة مبانيهم برخام (الالباستر) والحفر عليه . وعلى ذلك فالحوائط كانت عبارة عن وسيلة لاستقبال تلك المواد الجميلة لتغطيتها وكثيراً ما كانت تغطى الحوائط بالسجاد المنقوش البديع ذي الالوان الزاهية[٦١] .

ولا ننسى حدائق بابل المعلقة في المنازل والابراج حيث كانت المنازل ترتفع الى اربعة طوابق ورفع المياه بطرق هندسية رائعة من نهر الفرات لري هذه الحدائق المعلقة[٦٢] .

وعندما تولت الملكة (سميراميس) عرش بابل جعلت فيها الميادين الوسيعة والرحبات الفسيحة المفروسة بالاشجار من جميع الاقطار والجهات ، بحيث يمكن السير في المدينة من باب الى آخر من ابواب القناطر بدون ان يكون للشمس سلطنة على احد ولا عظيم سلاطة للمطر ، لالتفاف الاشجار بعضها ببعض وتعريشها[٦٣] .

الهوامش

١ - مجلة آفاق عربية - العدد - ٦ - ص ٣٤ - تراثنا العلمي معناه وجدوى احيائه « طه باقر »

٢ - مجلة آفاق عربية - العدد - ٦ - ص ٣٤ - تراثنا العلمي معناه وجدوى احيائه « طه باقر »

٣ - اسلوب اعادة تخطيط المدينة العربية القديمة - ص ٤ - ندوة التراث المعماري والعمارة العربية المعاصرة الدكتور - حيدر عبد الرزاق كمونه .

٤ - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية - ص ٣٩ - ٤٠ مصطفى عباس الموسوي

٥ - جغرافية العمرانية - د . عبد الفتاح محمد وهيب - ص ٢٧ - ٣٨

٦ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين - ص ١٩

٧ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين - ص ١٠

٨ - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية - ص ٤١

مصطفى عباس الموسوي

٩ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين - ص ١١

١٠ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين - ص ١٥

١١ - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية - ص ٤٤ - ٤٥ مصطفى عباس الموسوي

١٢ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين - ص ١١

١٢ - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية - ص ٤٢ مصطفى عباس الموسوي

١٤ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين ص ٧٠ - ٧٢

١٥ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين - ص ٧٢

١٦ - نفس المصدر - ص ١٣ - ١٤

١٧ - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية - ص ٤٣ مصطفى عباس الموسوي

١٨ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين - ص ٦٤

١٩ - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور - شريف يوسف - ص ١٢٩

٢٠ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين ص ٦٢

٢١ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين - ص ٦٥

٢٢ - تاريخ الفن في العصور القديمة - د . كمال المصري - ص ٤٣

٢٣ - نشأة مدن العراق وتطورها - د . عبد الرزاق عباس حسين - ص ٦٣

٢٤ - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية - ص ٢٣٦ مصطفى عباس الموسوي

٢٥ - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور - شريف يوسف - ص ٨١

٢٦ - المصدر نفسه - ص ٢٠

٢٧ - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور - ص ٨٥ - شريف يوسف

٢٨ - نفس المصدر - ص ١٨٤

٢٩ - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور - شريف يوسف - ص ١٨٢

٣٠ - تاريخ العمارة . توفيق احمد عبد الجواد - ص ٦٥

٣١ - تاريخ الفن في العصور القديمة - ص ٢٠ د . كمال المصري

٣٢ - تاريخ العمارة - ص ٥٢ - توفيق احمد عبد الجواد

٣٣ - تاريخ الفن في العصور القديمة - ص ٢٠

٣٤ - تاريخ العمارة - ص ٥٣

35 – AHistory of Architecture On The Comparative Method p. 26

٣٦ - تاريخ الفن في العصور القديمة - ص ٢٠

٣٧ - تاريخ الفن في العصور القديمة - ص ٢٢ - ٢٣ - د . كمال المصري

٣٨ - تاريخ العمارة - ص ٤٦ - توفيق احمد عبد الجواد

٣٩ - نفس المصدر - ص ٤٧

٤٠ - تاريخ الفن في العصور القديمة - ص ٢٣

٤١ - تاريخ العمارة - ص ٤٧

42 – AHISTORY OF ARCHITECTURE ON THE COMPARATIVE METHOD – P. 23 – sir B. Fletcher.

٤٣ - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور - خارطة مدينة آشور

٤٤ - تاريخ الفن في العصور القديمة - ص ١٢٠ . د . كمال المصري

٤٥ - مجلة آفاق عربية - ١ - أصالة المدينة العربية - ص ٢٤ . د . خالص الاشعب

46 – Architecture of the Islamic world – p. 93 – Thames and Hudson p. 92

٤٧ - نفس المصدر .

٤٨ - آفاق عربية - ص ٢٤ - د . خالص الاشعب

٤٩ - مجلة آفاق عربية - العدد ١ - ص ٢٤ . د . خالص الاشعب / اصالة المدينة العربية

50 – Architecture of The Is lamic worhd – p. 93 – Thames and Hadson

٥١ - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور - ص ١٥٦ - ١٦٠ شريف يوسف

٥٢ - تاريخ العمارة - ص ٧٨ - توفيق احمد عبد الجواد

٥٣ - تاريخ العمارة - ص ٨٠ - توفيق احمد عبد الجواد

٥٤ - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية - ص ٤٤

٥٥ - تاريخ العمارة العراقية في مختلف العصور - ص ٨٢ . شريف يوسف

٥٦ - نفس المصدر - ص ٨٤ ٥٧ - نفس المصدر - ص ٢٠

٥٨ - نفس المصدر - ص ٨٦

٥٩ - تاريخ العمارة - ص ٦٥ - توفيق احمد عبد الجواد

٦٠ - تاريخ الفن في العصور القديمة - ص ٢٠ - د . كمال المصري

٦١ - تاريخ العمارة - ص ٧٧ - توفيق احمد عبد الجواد

٦٢ - نفس المصدر - ص ٧٨

٦٣ - التمدن والحضارة والعمران - ص ٥٨٢ - محمد عمارة

« المصادر »

١ - مجلة آفاق عربية - العدد - ٦ - بغداد - شباط ١٩٧٦

٢ - اسلوب اعادة تخطيط المدينة العربية القديمة - د - حيدر عبد الرزاق كمونه « ندوة التراث المعماري والعمارة العربية المعاصرة »

٣ - نشأة مدن العراق وتطورها - د - عبد الرزاق عباس حسين بغداد - مطبعة الارشاد - ١٩٧٧

٤ - تاريخ الفن في العصور القديمة - د - كمال المصري - دار المعارف بمصر - ١٩٧٦

٥ - العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية مصطفى عباس الموسوي - دار الرشيد للنشر - ١٩٨٢

٦ - تاريخ العمارة - ج / ١ - توفيق احمد عبد الجواد - جامعة الازهر مكية الهندسة ١٩٦٨

٧ - التمدن والحضارة والعمران - الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي دراسة وتحقيق - محمد عمارة - المؤسسة العامة للنشر والدراسات (١٩٧٢)

٨ - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور - شريف يوسف بغداد - دار الرشيد - ١٩٨٢

٩ - جغرافية العمران - د - عبد الفتاح محمد وهيب - منشأة معارف الاسكندرية - ١٩٧٥

١٠ - مجلة آفاق عربية - العدد - ١ - بغداد - ايلول ١٩٧٧

١١ - Architecture of the Islamic world – Thames and Hudson London – 1978

١٢ - AHistory of Architecture on the Comparative Method by sir Banisler Fletcher . U . S . A . New York 1963 – 1967

رئيس المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي

أ . د . ناجي التكريتي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

لقد اهتم الفارابي اهتماماً كبيراً برئيس المدينة الفاضلة ، حتى انه عده اكمل اجزاء المدينة كما ان العضو الرئيس في البدن يكون بالطبع اكمل اعضائه واتمها ، وله من كل ما يشارك فيه عضو آخر افضله ، ودونه ايضاً اعضاء اخرى رئيسة لما دونها ، ورياستها دون رياسة الاولى ، وهي تحت رياسة الاول ، ترؤس وترأس ، فان رئيس المدينة ايضا ، دونه قوم مرؤوسون منه ويرأسون آخرين .

لا شك في ان ما ذهب اليه الفارابي هنا واضح تمام الوضوح ، اذا ما علمنا ان جسم الانسان يتكون من عدة اجهزة ، وكل جهاز يديره عضو ، وان هذا العضو في الوقت نفسه يدار من العقل او القلب ، الذي يدير اجهزة البدن ، دون ان يرأسه عضو آخر . وهكذا الامر في رئيس المدينة الذي يرأس جميع الاجهزة فيها ولا يرأسه انسان اخر ، مع ان من هذه الاجهزة المدنية رؤساء آخرين دونهم في المرتبة الاجتماعية والسياسية .

الفارابي اذن يرى ان القلب يزيل كل خلل يحدث في اي عضو من اعضاء البدن ، وان رئيس المدينة ، بوصفه العضو الرئيس في المدينة ، فان اختل اي جزء منها هو المرفد له ما يزيل عنه اختلاله . لا شك في ان الاعضاء التي تقرب من العضو الرئيس تقوم في الافعال الطبيعية التي هي على حسب غرض الرئيس الاول بالطبع بما هو اشرف ، اما ما دونها من الاعضاء ، فيقوم بالافعال بحسب طبيعته دون ذلك الشرف الاول ، حتى ينتهي الامر الى الاعضاء التي تقوم من الافعال ابسطها . الاجزاء ايضا كلما قربت مرتبتها من رئيس المدينة تفعل من الافعال اشرفها ، ومن دونهم يعمل دون ذلك الشرف ، الى ان ينتهي الى الاجزاء التي تفعل من الافعال ابسطها . ويفسر الفارابي ماذا يعني بالافعال البسيطة (الخسيسة) ، فيقول انها تلك الاعمال التي تكون سهلة جداً .

قد يعني الفارابي هنا ، الافعال التي لا تحتاج الى جهد فكري ولا الى حصيلة فنية ، اي انها الاعمال البسيطة التي لا تصعب على الرجل العادي .

رئيس المدينة مهم جداً بنظر الفارابي ، حتى انه يرى ان على اجزاء المدينة ان تحتذي بافعالها حذو مقصد رئيسها الاول على الترتيب ، وذلك انه يشبه نسبة السبب الاول الى سائر الموجودات كنسبة ملك المدينة الفاضلة الى سائر اجزائها . ان الموجودات البريئة من المادة تقرب من الاول ، ودونها الاجسام السماوية ، ودون السماوية الاجسام الهيولانية . وكل هذه تحتذي حذو السبب الاول وتأتم به وتقتفيه . ان ذلك يفعله كل موجود ، بحسب قوته ، وذلك ان الابسط يقتفي غرض ما هو فوقه قليلاً ، وذلك يقتفي غرض ما هو فوقه . وعلى هذا الترتيب تكون الموجودات كلها تقتفي غرض السبب الاول .

لا شك من ان اهتمام الفارابي برئيس المدينة يعود بسبب انه عاش في بغداد ، وسط مناظرات المتكلمين واهتمامهم بالامامة وتشعب فرقهم حول طاعة الامام واختيار الامام ؟ هو الراس ، وكما ان الجزء الرئيس في البدن هو بالطبع اكمل اعضائه واتمها في نفسه ، وفيما يخصه ، وله من كل يشارك فيه عضو اخر ، افضلها ، ودونه ايضاً اعضاء أخر رئيسة لما دونها برئاستها ، ودون رئاسة الاول ، وهي تحت رئاسة الاول ترؤس وترأس كما ان رئيس المدينة هو اكمل اجزاء المدينة هو اكمل اجزاء المدينة فيما يخصه ، وله في كل ما شارك فيه قوم مرؤوسون ويرأسون آخرين .

رئيس المدينة عند الفارابي هو الامام ، وهذا من دون شك تعبير اسلامي ، ولا سيما ان الفارابي لايجيز ان يرأسه آخر ، لان الامام عند المسلمين كالراس للجسم او كالقلب ، كما يعبرون عنه .

رئاسة المدينة الفاضلة ، بنظر الفارابي ، لا يمكن ان تكون لاي انسان كيفما اتفق ، لان الرئاسة تكون بشيئين : احدهما ان

يكون بالفطرة والطبع معداً لها ، والثاني بالارادة والتجربة والممارسة . وكما ان الرئيس الاول في جنس لا يمكن ان يرأسه شيء من ذلك الجنس ، مثل رئيس الاعضاء ، فانه هو الذي لا يمكن ان يكون عضو اخر رئيساً عليه ، وكما هو حاصل في كل رئيس بالجملة .

الرئيس الاول للمدينة الفاضلة ايضاً ، ينبغي ان تكون صناعته صناعة ، لا يمكن ان يخدم بها اصلاً ولا يمكن فيها ان ترأسها صناعة اخرى اصلاً ، بل تكون صناعته صناعة نمو غرضها تؤم الصناعات كلها ، واياه يقصد بجميع افعال المدينة الفاضلة . ان ذلك الانسان لا يرأسه انسان اصلاً ، بل يكون ذلك الانسان انساناً قد استكمل فصار عقلاً ومعقولاً بالفعل . ان قوته المتخيلة قد استكملت بالطبع غاية الكمال ، وان عقله المنفعل قد استكمل المعقولات كلها ، حتى لا يكون يخفى عليه منها شيء ، وصار عقلاً بالفعل ، وان اي انسان استكمل عقله المنفعل بالمعقولات كلها ، وصار عقلاً بالفعل ومعقولاً بالفعل ، وصار المعقول منه هو الذي يعقل . يحصل له حينئذ عقل ما بالفعل ، رتبته فوق العقل المنفعل ، أتم واشد مفارقة للمادة ، ومقاربة من العقل الفعال ، ويسمى العقل المستفاد : انه يصير متوسطاً بين العقل المنفعل والعقل الفعال ، ولا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر . اما الانسان الذي يحل فيه العقل الفعال ، واذا حصل ذلك في كلا جزأي قوته الناطقه وهما النظرية والعملية ، ثم في قوته المتخيلة ، كان هذا الانسان هو الذي يوحى اليه بتوسط العقل الفعال ، فيكون بما يفيض منه الى عقله المنفعل حكيماً فيلسوفاً ، وبما يفيض منه الى قوته المتخيلة ، يكون نبياً منذراً ، ان هذا الانسان هو اكمل مراتب الانسانية وفي اعلى درجات السعادة ، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعال . يكون له قدرة على جودة التخيل بالقول لكل ما يعلمه ، وقدرة على جودة الارشاد الى السعادة والى الاعمال التي بها تبلغ السعادة ، وان يكون له مع ذلك جودة ثبات ببدنه لمباشرة اعمال الجزئيات .

الرئيس اذن لا يرأسه انسان آخر اصلاً . انه رئيس المدينة الفاضلة ، ويعني الفارابي هنا بالمدينة الواحدة (دولة المدينة) كما انه رئيس الامة الفاضلة ، وهنا لا شك في ان الفارابي يقصد بالامة الفاضلة ، الامة الاسلامية ، لكن الفارابي ابى فوق هذا وذاك ، نراه يضرب ضربة عبقرية ، عندما يضيف قائلاً : وهو رئيس المعمورة من الارض كلها ، وهكذا نرى انّ الفارابي اول فيلسوف ، في تاريخ الفكر الفلسفي ، يتحدث عن رئيس واحد لسكان الارض قاطبة . لا شك في انه ذهب بثاقب بصيرته الى امكانية قيام مجتمع فاضل واحد كبير ، يضم ساكني المعمورة كلها ، يدير شؤونهم رئيس واحد .

اما الخصال التي اشترطها الفارابي في رئيس المدينة الفاضلة ، فهي :

١ - ان يكون تام الاعضاء ، قواها مؤاتية اعضاءها على الاعمال التي شأنها ان تكون بها ، ومتى همّ بعضو ما من اعضائه عملٌ يكون به ، أتى عليه بسهولة .

٢ - ان يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له ، فيلقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الامر في نفسه .

٣ - ان يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه ، وفي الجملة لا يكاد ينساه .

٤ - ان يكون جيد الفطنة ذكياً ، اذا رأى الشيء بادنى دليل فطن له على الجهة التي دلّ عليها الدليل .

٥ - ان يكون حسن العبارة ، يؤاتيه لسانه على ابانة كل ما يضمره ابانة تامة .

٦ - ان يكون محباً للتعلم والاستفادة منقاداً له ، سهل القبول ، لا يؤلمه التعلم ولا يؤذيه الكد الذي ينال منه .

٧ - ان يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح ، ومتجنباً اللعب بالطبع .

٨ - ان يكون محبا للصدق واهله ، مبغضا للكذب واهله .

٩ - ان يكون كبير النفس محباً للكرامة ، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الامور ، وتسمو نفسه بالطبع الى الارفع منها .

١٠ - ان يكون الدرهم والدينار وسائر اعراض الدنيا هينة عنده .

١١ - ان يكون بالطبع محباً للعدل واهله ، ومبغضاً للجور والظلم واهلهما ، ويكون مؤاتياً لكل ما يراه حسناً وجميلاً ، ثم ان يكون عدلاً غير صعب القياد ، ولا جموحاً ولا لجوجاً ، اذا دُعي الى العدل ، بل يكون صعب القياد اذا دعي الى الجور والى القبيح .

١٢ - ان يكون قوي العزيمة على الشيء الذى يرى انه ينبغي ان يفعل ، جسوراً عليه مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس .

نلاحظ ان الفارابي وهو يضع الخصال التي يشترطها في رئيس المدينة الفاضلة ، تكاد تكون اغلبها فكرياً . لا شك في انه يريد ان يكون رئيس المدينة تام الاعضاء ، وهذا شيء طبعي ، اذ ليس من المعقول ان يكون رئيس مدينة فاضلة وهو مصاب بعاهة كبيرة في احد اعضائه ، تمنعه من ممارسة القيام بواجبه الشروط الباقية اذن تهم العقل ، فرئيس المدينة الفاضلة يجب ان يكون جيد الفهم وعنده تصور لما يجري حوله ، وسريع الحفظ والادراك . كما نرى ان على رئيس المدينة الفاضلة ان يكون حسن العبارة ، وهذا دليل على فطنته وسعة معرفته ، ومع هذا يبقى دائم المحبة للتعلم ليقوده الى الكمال . وان يبتعد عن الشره ، ليكون في حياته معتدلاً ، زاهداً في المال ، وفي الوقت نفسه يكون قوي العزيمة

على الحق ، محباً للعدل مبغضاً للظلم .

الفارابي يوجب الدقة باختيار الحاكم ، فليس كل انسان يمكن ان يكون رئيساً للمدينة الفاضلة ، التي يريدها الفارابي ، لا بد ان يكون الرجل الحاكم كاملاً على المستويين العقلي والجسمي ، اذا كانت الحاجات الاجتماعية والاوضاع السياسية تدعو الى وجود الحاكم ، فان الفارابي يذهب الى اكثر من ذلك ، ليقول ان على الحاكم الحقيقي ان يكون ذا عقل كلي ، يدرك المثل والكمالات ، انه اذن يريد ان يكون الحاكم مثالًا للرجل الكامل ، الذي تتمثل فيه الصفات المثالية التي تخلو من كل انفعال وكل طمع في شهوات ومغريات الحياة . ان هم الحاكم الاول هو مطالب الملة العامة ، فينظر الى كل ما هو عام وضروري . الفارابي باختصار يريد من رئيس المدينة ان يكون فيلسوفاً ، لان صلاح المجتمع يكون ـ برأي الفارابي ـ اذا ما تولى امور الملة امام منزه من الهوى ، وقادر على النظر في الامور الالهية ، اي ان باستطاعته الى الوصول الحقيقة الكاملة . ان الفارابي باختصار يريد من حاكم المدينة ان يتمثل فيه حب الحكمة وحفظ الشريعة وحسن الاستنباط وجودة الفهم والارشاد . ان الحكمة اذن شرط اساس ينبغي ان يتمتع بها حاكم المدينة ، لان الحاكم الذي يفتقر الى الحكمة ، يكون على يديه هلاك المدينة .

لعل اهم ما يميز المدن الفاضلة عند الفارابي ، هي الرئاسة الحكيمة . ان المدينة الفاضلة تحتاج الى تدبير وتنظيم ، والى حكيم يوجه الناس الى الطريق الصواب . ان ذلك يتاتى برئاسة تمكن الافعال والملكات في المدينة او في الامة ، وتجتهد في ان تحفظها عليهم حتى لا تزول عنهم ولا تبيد . ان قيام الجماعة عند الفارابي منوط بوجود قائد ، وان المدينة الفاضلة منوط قيامها بوجود حاكم حكيم .

ان الرئاسة اذن حاجة ضرورية ، وان السياسة علم ، لان رئيس المدينة كان قد عرف الفلسفة ومارس الحكمة ، وانه وحده القادر على اسعاد الناس . ان الفلسفة سبيل قويم لاصلاح الملك ، مع ذلك فان الفارابي لا يريد من الحاكم الفيلسوف ان يقتصر على معرفة الفلسفة النظرية فحسب ، بل عليه ان يكون عملياً في معاملة الرعية ، وله القدرة على اقناعهم على سلوك الدرب الصواب .

لاشك ان الذي يهم الفارابي ، هو اصلاح الملة الاسلامية ، ولا سيما اصلاح ملكها المتمثل بالخلافة ، ليتحقق ازدهار الدولة الاسلامية . الفارابي باختصار يريد من حاكم المدينة الفاضلة ان يكون قريبا من الله ، ليكون على بينة من امره ومن اصلاح رعيته . يقول الفارابي في كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة « ولا يمتنع ان يكون الانسان اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ، فيقبل في يقظته عن العقل الفعال ، الجزئيات الحاضرة والمستقبلة او محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالاشياء الالهية » .

ان النبي برأي الفارابي يمتاز عن الفيلسوف من حيث ان له رسالة يمكنه من ان يبلغها الى الناس في كل مكان . ان النبوة برأي الفارابي تبنى على فكرة ان الانسان مختار من لدن الله لوحيه ، وبالرغم من تفوقه بذكائه وفضيلته ، ويجب ان يكون من الطبيعة نفسها ومن النوع عينه بالقياس الى الاخرين . ان مهمة النبي اذن لا تقتصر على تلقي الوحي ، بل عليه ان يكون رئيس المدينة ومدبرها . ان تهذيب العامة وارشادهم لا يتم عن طريق الفلسفة بل عن طريق النبي ، فهو يقول : « ان المدينة لا تصل الى كمالها الا عن طريق النبي والوحي ، وذلك بفضل رسالة الهية موجهة اليهم » .

الفارابي يشترط توفر الحكمة لاية رئاسة ، فهو يقول في كتاب تحصيل السعادة : « ان معنى الفيلسوف والرئيس الاول والملك والامام ، معنى كله واحد ، واية لفظة ما اخذت من هذه الالفاظ ثم اخذت ما يدل عليه كل واحد منها عند جمهور اهل لغتنا وجدتها كلها تجتمع في آخر الامر في الدلالة على معنى واحد بعينه » . وفي كتابه المدينة الفاضلة يقول : « ان لم تكن الحكمة جزءاً من الرئاسة ، وكانت فيها سائر الشرائط ، بقيت المدينة الفاضلة دون ملك ، وكان الرئيس القائم بامر هذه المدينة ليس بملك ، وكانت المدينة تعرض للهلاك » . وفي كتاب الملة يقول : « انها لا تكون رئاسة فاضلة ، بل تكون رئاسة جاهلية وسياسة جاهلية ومهنة جاهلية ، بل لا تسمى ملكاً ، لان الملك عند القدماء ما كان يمهنة ملكية فاضلة » .

ان رئيس المدينة الحق ، بنظر الفارابي ، هو « واضع النواميس ، الذي له قدرة على ان يستخرج بجودة فكرته شرائطها ، التي بها تصير موجودة بالفعل وجوداً ، تنال به السعادة القصوى » . الفارابي اذن يحاول التوفيق بين النبي والفيلسوف ، وذلك يرى ان يكون رئيس المدينة قادراً على التخيل والعمل ، وهكذا يرى ان الفلسفة والشريعة هدفهما واحد ، من حيث ادراك الخالق ، والتشبه بالله ، ليرقى بنفسه ، ثم ان يعمل على ترقية الاخرين في الدولة والمدينة . اي كما ان الله يدبر العالم ، فان الرئيس الفاضل يدبر شؤون المدينة الفاضلة .

يشير أبو نصر بعد ذلك ، الى ان اجتماع هذه الصفات كلها في انسان واحد امر صعب ، ولا يحدث الا قليلًا ، وفي الواحد بعد الواحد . اذا اتفق ان لا يوجد مثل هذا الرئيس في وقت من الاوقات فلا باس ان تؤخذ الشرائع والسنن التي شرعها هذا الرئيس الاول ،

اما الرئيس الذي يخلفه والذي سماه الفارابي : الرئيس الثاني ، فيجب ان تجتمع فيه ست شرائط :

١ - ان يكون حكيماً

٢ - ان يكون عالماً حافظاً للشرائع والسنن والسير التي دبرها الاولون للمدينة ، محتذياً بافعاله كلها حذو تلك بتمامها .

٣ - ان يكون له جودة استنباط فيما لا يُحفظ عن السلف . ويكون فيما يستنبطه من ذلك محتذيا حذو الائمة الاولين .

٤ - ان يكون له جودة روية فيما يستجد من الامور والحوادث ، وان يكون متحريا بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة .

٥ - ان يكون له جودة ارشاد بالقول الى شرائع الاولين ، والى التي استنبط بعدهم ، مما احتذى فيه حذوهم .

٦ - ان يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة الحرب .

لا شك ان ابا نصر يقصد بالرئيس الثاني ، الرئيس الذي يأتي بعد النبي ، او الذي يباشر ادارة المدينة بعد الملك الفيلسوف . وهكذا نرى ان الفارابي يدرك صعوبة وجود انسان واحد يتصف بالصفات السابقة ، فهو يقول بعد ذلك ، اذا لا يوجد انسان واحد اجتمعت فيه هذه الشرائط ، ولكن وجد اثنان احدهما حكيم ، والثاني فيه الشرائط الباقية ، كانا رئيسين في هذه المدينة .

يذهب الفارابي الى اكثر من ذلك في نظرته الى ديمقراطية الحكم ، او الى وجود الخصال التي يريدها ان تتمثل في رؤساء المدينة ، ولا سيما صفة الحكمة ، فانه يقول اذا تفرقت هذه الخصال في جماعة من الناس كانوا هم الرؤساء على شرط ان توجد الحكمة في احدهم . الذي يهم الفارابي اذن ان تكون الرئاسة صفة الحكمة والفلسفة وقوة العقل ، وتكون باقي الخصال موزعة كل خصله في احد منهم ، شريطة ان يكونوا عند ذاك الرؤساء الافاضل للمدينة الفاضلة . اما اذا خلت الرئاسة من الحكمة فان المدينة تتعرض للهلاك .

نلاحظ ان الفارابي يمزج بين الدين والفلسفة في معالجته مسألة رئيس المدينة الفاضلة ، فهومن ناحية يرى وجوب ان يكون رئيس المدينة حكيماً فيلسوفاً . من ناحية ثانية يرى ابو نصر ، ان الامام هو الراس في المجتمع . لا شك ان رأي الفارابي هذا متأثر المتكلمين ومناظراتهم حول الامامة وحول طاعة الامام واختياره . اضافة الى انه كان يعيش في دولة اسلامية تؤمن بالخلافة ، التي اعقبت موجد القوانين الاول ، وهو النبي ﷺ .

الفارابي لا ينسى ان يشير الى اهداف الملك للمدينة ، فيقول ان غرض الملك ومقصوده هو ان يدبر المدن ، وان يحقق السعادة لنفسه ولاهل مدينته ، لان هذه هي الغاية والغرض من المهنة الملكية ، يذهب ابو نصر الى اكثر من هذا ، فيقول ان من الضروري ان يكون الملك اكمل سعادة ، حتى يكون السبب في اسعاد اهل المدينة الفاضلة .

يلاحظ الفارابي ، ان هناك من يرى ان الغاية المقصودة بالملك وتدبير المدن ، هي الجلالة والكرامة والغلبة ونفاذ الامر والنهي ، وان يطاعوا ويعظموا ويمجدوا ، ويجعلوا سنن المدينة سنناً يصلون بها الى هذا الفرض ، بعضهم يصل الى ذلك بان يستعمل مع اهل المدينة ويحسن اليهم ، ويوصلهم الى الخيرات ، ويحفظها عليهم ، ويؤثرهم بها دونه ، فينال بذلك الكرامة العظيمة .

ان هؤلاء من رؤساء الكرامة افضل رؤساء ، وآخرون يرون انهم يستحقون الكرامة باليسار ، فيحاولون ان يكونوا ايسر اهل المدينة ليفوزوا باليسار والكرامة ، وبعضهم يرى ان يكرّم بالحسب فقط ، وآخرون يفعلون ذلك بقهر اهل المدينة وغلبتهم واذلالهم وترهيبهم ، وآخرون يرون ان الغرض من تدبير المدن هو الوصول الى اليسار ، حتى انهم يسنون السنن التي يصلون بها الى اليسار .

نلاحظ ان الفارابي ، يفرق بين الرئيس الذي يؤثر اليسار ليكرم عليه ، وبين من يؤثر الكرامة وان يطاع ليثرى . كما ان من الرؤساء من يرى ان الغاية من تدبير المدن هي التمتع باللذات ، وهناك آخرون يرون جمع هذه الثلاث ، وهي الكرامة واليسار واللذات .

وهؤلاء لا يصح ان يسمى احدهم ملكاً . ان الملك هو ملك بالمهنة الملكية ، وبصناعة تدبير المدن ، وبالقدرة على استعمال الصناعة الملكية ، سواء اشتهر بصناعته ام لم يشتهر به ، وجد قوماً يطيعونه ام لا يطيعونه ، يضرب الفارابي مثلًا بالطبيب ، فهو طبيب بمهنته ، وقدرته على ممارسة المهنة الطبية ، سواء أصادف مرضى يقبلون قوله ويطبقونه ام لا ، فهذا لا ينقص من طبه شيئاً ، الملك ايضاً هو ملك بالقدرة على استعمال الصناعة ، اكرم ام لم يكرم ، موسراً كان ام فقيراً ، عندما يشير بعضهم الى ان من صفات الملك ، التسلط بالقهر والاذلال والترهيب والتخويف ، نرى الفارابي يرد قائلًا : ان هذه ليست من شرائط الملك .

يطلب الفارابي من الرئيس الاول ، ان يتصل بالعقل الفعال ، كما جاء في كتابه (السياسة المدنية) فهو يقول : ان الرئيس الاول على الاطلاق ، هو الذي لا يحتاج ولا في شيء اصلًا ان يرأسه انسان ، بل يكون قد حصلت له العلوم والمعارف بالفعل ، ولا تكون له به حاجة في شيء الى انسان يرشده . ان له قدرة على جودة ادراك شيء ، مما ينبغي ان يعمل على الجزئيات ، وقوة على جودة الارشاد لكل من سواه الى كل ما يعلمه ، كما ان له قدرة على استعمال كل من سبيله ان يعمل شيئاً ما في ذلك العمل ،

الذي هو معد نحوه ، وقدرة على تقدير الاعمال وتحديدها وتسديدها نحو السعادة . ان ذلك يكون في اهل الطبائع العظيمة الفائقة اذا اتصلت نفسه بالعقل الفعال . ان الرئيس الاول يبلغ ذلك ، بان يحصل له اولًا العقل المنفعل ، ثم ان يحصل له بعد ذلك العقل الذي يسمى المستفاد ، وان بحصول العقل المستفاد ، يكون الاتصال بالعقل الفعال .

ان هذا الانسان ، بنظر الفارابي ، هو الملك في الحقيقة ، وهو الذي ينبغي ان يقال فيه انه يوحى اليه . ان الانسان يوحى اليه ، اذا بلغ هذه الرتبة ، وذلك اذا لم يبق بينه وبين العقل الفعال واسطة . ان رئاسة هذا الانسان هي الرئاسة الاولى ، وان سائر الرئاسات الانسانية متاخرة عن هذه وكائنة عنها . ان الناس الذين يدبر امرهم هذا الرئيس ، هم الناس الفاضلون والاخيار والسعداء . اذا كانوا امة فهم امة فاضلة ، واذا كانوا مجتمعين في تجمع واحد كانوا مدينة فاضلة .

ان مثل هؤلاء الرؤساء اذا كانوا جماعة في مدينة واحدة او امة واحدة او في امم كثيرة ، فان جماعتهم جميعاً تكون كملك واحد ، وذلك لاتفاق هممهم واغراضهم وارادتهم وسيرهم . واذا توالوا في الازمان واحداً بعد آخر ، فان نفوسهم تكون كنفس واحدة ، ويكون الثاني على سيرة الاول ، ومن ياتي بعده ، يكون على سيرة الماضين .

ان سكان المدينة يتفاضلون في الرئاسة والخدمة بحسب فطر اهلها والاداب التي تادبوا بها . ان الرئيس الاول هو الذي يرتب الطوائف ، وكل انسان من كل طائفة في المرتبة بحسب ما يستحقه . ان ذلك يكون ترتيب رئاسات ، تنزل بحسب الاستحقاق ، عن الرتبة العليا قليلًا قليلًا ، الى ان تصير الى مراتب الخدمة ، التي ليست فيها رئاسة ولا دونها مرتبة اخرى . ان الرئيس حين يرتب هذه المراتب في المدينة او الامة ، كي تكون المدينة مرتبطة الاجزاء بعضها ببعض ، ومؤتلفة مع بعضها ، وذلك بتقديم بعض وتاخير بعض .

ان الرئيس الذي هو مدبر المدن ، ان واجبه ان يدبر المدن تدبيراً ترتبط به اجزاء المدينة بعضها ببعض ، وتأتلف وترتب ترتيباً ، يتعاون به الجميع على ازالة الشرور وهدفهم من وراء ذلك تحصيل الخيرات . ان الهدف الرئيس هو ابعاد كل ما هو ضار ، والاجتهاد في ان يصير نافعاً ، وهكذا يكون العمل على ابطال الشر وايجاد الخير ، ان الواجب العام هو الافعال المحمودة ، كي ينال المجتمع السعادة . وعلى الرئيس الا يقتصر في تعليم الافعال الحسنة ، بل ان يعمل بها ، وياخذ اهل المدينة بفعلها .

يرى الفارابي ان هناك من يستطيع ان يرأس ويرشد ، وهو الرئيس الاول ، ومنهم من يستطيع ان يرشد اذا رأسه آخر ، وهذا هو الرئيس الثاني ، ومنهم من لا يستطيع ان يرأس ولا يرشد ، وهؤلاء هم العامة ، الذين على الرؤساء ارشادهم والاخذ بايديهم الى الطريق الصواب . الرئيس الاول لا يحتاج ان يرأسه احد . والرئيس الثاني هو الذي يرأسه انسان ويرأس انساناً اخر او اناساً اخرين . ان مثل هذه الرئاسات ليست مقصورة على السياسة وتدبير المدن ، بل هي موجودة في كثير من الاعمال والصناعات ، مثل الزراعة والتجارة .

اما الرئاسات الجاهلية ـ كما يراها ابو نصر ـ فهي في العادة تكون على المدن الجاهلية . ان كل رئاسة جاهلية اما يكون القصد بها ، واما التمكن من الضروري ، واما اليسار ، واما التمتع باللذات ، واما المنزلة والمديح واما الغلبة . لذلك فان هذه الرئاسات قد تشرى بالمال ، وخاصة الرئاسات التي تكون في المدينة الجماعية ، لان ليس لاحد هناك اولى بالرئاسة من احد . ان الرئيس عند مثل هؤلاء ، هو الذي يتمكن من ان ينيلهم شهواتهم واهواءهم على اختلافها . اما الرئيس الفاضل ، فانهم لا يرضون به ، فاذا اتفق ان رأسهم ، فهو اما مخلوع او مقتول او مضطرب الرئاسة منازع فيها .

ويضيف الفارابي في كتاب (الملة) قائلًا ، ان الرئيس الاول قد يلحقه ويعرض له ان لا يقدر الافعال كلها ويستوفيها ، فيقدّر اكثرها ، وقد يلحقه في بعض ما يقدّره ان لا يستوفي شرائطها كلها ، بل يمكن ان تبقى افعال كثيرة مما سبيلها ان تقدر فلا يقدرها لاسباب تعرض : اما لان المنية تخترمه وتعاجله قبل ان ياتي على جميعها ، واما الاشغال ضرورية تعوقه من حروب وغيرها ، واما لانه لا يقدّر الافعال الا عند حدوث حادث ، وعارض عارض ، مما شاهده او مما يسأل عنه ، فيقدّر حينئذ ويشرّع ويسن ما ينبغي ان يعمل في ذاك النوع من الحوادث .

ويذهب الفارابي بعد هذا الى القول : فاذا خلفه بعد وفاته من هو مثله في جميع الاحوال كان الذي يخلفه هو الذي يقدّر ما لم يقدره الاول ، وليس هذا فقط ، بل له ايضاً ان يغير كثيراً مما شرّعه الاول ، فيقدره غير ذلك التقدير اذا علم ان ذلك هو الاصلح في زمانه . اما اذا مضى واحد من هؤلاء الائمة الابرار ، الذين هم الملوك في الحقيقة ، ولم يخلفه من هو مثله في جميع الاحوال ، احتيج في كل ما يعمل في المدن التي تحت رئاسة من تقدم الى ان يحتذى في التقدير حذو من تقدم ولا يخالف ولا يغير ، بل يبقي كل ما قدره المتقدم على حاله ، وينظر الى كل ما يحتاج الى تقدير مما لم يصرح به من تقدم ، فيستنبط ويستخرج من الاشياء التي صرح الاول بتقديرها ، فيضطر حينئذ الى صناعة الفقه ، وهي التي يقتدر الانسان بها ، على ان يستخرج ويستنبط صحة تقدير شيء بشيء ، مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديده عن الاشياء

التي صرح فيها بالتقدير ، وتصحيح ذلك بحسب غرض واضع الشريعة بالملة باسرها ، التي شرعها في الامة ، التي لهم شرعت .

يفسر الفارابي رأيه بقوله ان الرئاسة الفاضلة ضربان : رئاسة اولى ورئاسة تابعة للاولى الرئاسة الاولى هي التي تمكّن في المدينة او الامة ، السير والملكات الفاضلة اولاً من غير ان تكون فيهم قبل ذلك وتنقلهم مع ذلك عن السير الجاهلية الى السير الفاضلة . ان الذي يقوم بهذه الرئاسة هو الرئيس الاول ، اما الرئاسة التابعة للاولى فهي التي تقتفي في افعالها حذو الرئاسة الاولى . ان القائم بهذه الرئاسة يسمى رئيس السنّة وملك السنة ، ورئاسته هي الرئاسة السنية . والمهنة الملكية الفاضلة الاولى تلتئم بمعرفة جميع الافعال التي بها يتأتى تمكين السير والملكات الفاضلة في المدن والامم ، وحفظها عليهم وحياطتها واحرازها عن ان يداخلها شيء من السير الجاهلية ، فان تلك كلها امراض تعرض للمدن الفاضلة على مثال ما عليه مهنة الطب ، فانها انما تلتئم بمعرفة جميع الافعال التي تمكّن الصحة في الانسان وتحفظها عليه وتحوّطها من ان يعرض لها شيء من الامراض .

يذكر ابو نصر مؤيداً رأيه : ان الطبيب الكامل انما تتم له مهنته حتى يتأتى بها الافعال الكائنة عن تلك المهنة بقوتين اثنتين : احداهما بالقدرة على معرفة الكليات التي هي اجزاء صناعته على الاطلاق وباستيفائها ، حتى لا يشذ عنه شيء ثم بالقوة التي تحدث له عن طول افعال صناعته في شخص فشخص ، كذلك حال المهنة الملكية الاولى ، فانها تشمل اولاً على اشياء كلية ، وليس يجترىء في ان يفعل افعالها تلك بان يكون قد استوعب معرفة الاشياء الكلية وبقدرته عليها دون ان يكون معه قوة اخرى استفادها عن طول التجربة والمشاهدة ، يقدر بها على تقدير الافعال في كميتها وكيفيتها وازمانها وسائر ما يمكن ان تقدّر بها الافعال .

يذكّر الفارابي الرئيس الاول بواجب آخر ، وهو ان عليه ان يحصي اصناف المهن الملكية ، غير الفاضلة والرئاسات كم هي ، ويعطي رسوم الافعال التي تفعلها كل واحدة من تلك المهن الملكية حتى يُنال بها غرضها من اهل المدن التي تحت رئاستها ، عليه ايضا ان يبين ان تلك الافعال والسير والملكات التي هي غير فاضلة ، هي امراض المدن الفاضلة ، وسيرها وسياساتها امراض المهنة الملكية الفاضلة ، واما الافعال والسير والملكات التي في المدن غير الفاضلة ، فهي امراض المدن الفاضلة .

لا ينسى ابو نصر بعد هذا ان يوصي الرئيس الفاضل ، بان يحصي كم الاسباب والجهات التي تحيل الرئاسات الفاضلة وسير المدن الفاضلة الى السير والملكات غير الفاضلة وكيف تكون استحالاتها الى غير الفاضلة ، كما ان على الرئيس الفاضل ان يحصي ويعرّف الافعال التي بها تضبط المدن والسياسات الفاضلة حتى لا تفسد ولا تستحيل الى غير الفاضلة ، والاشياء التي بها يمكن اذا استحالت ومرضت ان تُرد الى صحتها .

ان المهنة الملكية الفاضلة الاولى لا يمكن ان تكون افعالها عنها على التمام الا بمعرفة كليات هذه الصناعة ، بان تقرن اليها الفلسفة النظرية ، وان ينضاف اليها التعقل ، وهو القوة الحاصلة عن التجربة الكائنة بطول مزاولة افعال الصناعة ، في آحاد المدن والامم والجماعات ، وتلك هي القدرة على جودة استنباط الشرائط ، التي تقدّر بها الافعال والسير والملكات بحسب جماعة جماعة ، او مدينة مدينة ، او امة امة ، اما بحسب وقت قصير او بحسب وقت ما طويل محدود ، او بحسب الزمان ان امكن ، وتقديرها ايضا بحسب حال حال يحدث ، وعارض عارض يعرض في المدينة او في الامة او في الجمع ، وان هذه هي التي تلتئم بها المهنة الملكية ، الفاضلة الاولى . واما التابعة لها التي رئاستها سنيّة ، فليس تحتاج الى الفلسفة بالطبع. لا شك ان الاجود والافضل في المدن والامم الفاضلة ، ان يكون ملوكها ورؤساؤها الذين يتوالون في الازمان على شرائط الرئيس الاول . كما ينبغي ان يُعمل ، حتى يكون ملوكها الذين يتوالون على احوال من الفضيلة واحدة باعيانها ، واي شرائط يُتفقد في اولاد ملوك المدينة ، حتى ان وجدت في واحد منهم ، أمل فيه ان يصير ملكاً على مثل حال الرئيس الاول .

المصادر :

الفارابي :

١ ـ اراء اهل المدينة الفاضلة ، القاهرة .

٢ ـ احصاء العلوم ، تحقيق عثمان امين ، القاهرة ١٩٣١

٣ ـ تحصيل السعادة ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ

٤ ـ التنبيه على سبيل السعادة ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٦

٥ ـ الدعاوى القبلية ، حيدر اباد الدكن ١٣٤٩ هـ

٦ ـ رسالة في السياسة (مقالات فلسفية قديمة) بيروت ١٩١١

٧ ـ السياسة المدنية ، تحقيق فوزي النجار بيروت ١٩٦٤

٨ ـ عيون المسائل ، ليدن ١٨٩٠

٩ ـ فصول المدني تحقيق دنلوب ـ كمبردج ١٩٦١

١٠ ـ فلسفة افلاطون ، تحقيق روزنثال ووالتر ، لندن ١٩٤٣

١١ ـ كتاب الفصوص ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ

١٢ ـ كتاب الملّة ، تحقيق محسن مهدي بيروت ١٩٦٨

١٣ ـ مقالة في معاني العقل (الثمرة المرضية) ليدن ١٨٩٠

المادة الصوتية في كتاب الايضاح في القراءات للاندرابي

(الباب الثامن والعشرون) و(التاسع والعشرون)

تحقيق
حقي عبد الرزاق الصالحي

الباب الثامن والعشرون في ذكر مخارج الحروف

وهي المواضع التي تنشأ منها حروف العربية ، وهي حروف المعجم التي يُلقّنُها المبتدىء بهذه اللغة .

واعلم ارشدك الله ، ان اصل حروف العربية عند سيبويه وغيره من النحويين تسعة وعشرون حرفاً ، وترتيبها : الهمزة والالف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو(1) .

وتصير بفروع مستحسنه خمسة وثلاثين حرفاً ، وانما كانت فروعاً لامتزاجها بغيرها ، وكانت مستحسنة لما يستفاد بالامتزاج من تسهيل اللفظ ، وتحسينه في المسموع ، وهي : النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين ، والف التفخيم ، وهي الالف التي





نحا بها نحو الواو ، نحو : الصلٰوة والزكٰوة في لغة اهل الحجاز ، والف الترخيم وهي الالف الممالة[٢] ، والشين كالجيم والصاد كالزاي[٣] .

وتصير بفروع مُستَقْبَحة ثلاثة واربعين حرفاً[٤] وهي : الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ، والطاء التي كالتاء ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والظاء التي كالثاء ، والباء التي كالفاء ولا يحسن من هذه الاحرف الاخيرة شيء في قراءة القرآن ولا في إنشاد .. شعر الا لمن يطوّع لسانه مثل الذي به لكنة او لثغ راء وغيرها .

وقال ابو سعيد السيرافي[٥] وتجيء – على قياس ما عدّهُ سيبويه – الحروفُ اكثر من ثلاثة واربعين حرفاً ، نحو : الشين التي كالزاي ، والجيم التي كالزاي ، ويدخلُ في هذا : اللام المفخمة التي في اسم الله ، خاصةً ، في لغة اهل الحجاز ومن يليهم من ناحية العراق الى الكوفة وبغداد .

قال : ورأينا من يتكلم بالقاف بين القاف والكاف[٦] .

× × ×

ومخارج حروف العربية ستة عشر[٧] وهي على ستة أقسام : حروف الحلق ، وحروف اقصى الحلق ، وحروف وسط اللسان ، وحروف حافة اللسان ، وحروف طرف اللسان ، وحروف الشفتين .

اما حروف الحلق ، فلها ثلاثة مخارج : اقصاها مخرجاً الهمزة والالف والهاء ، واوسطها العين والحاء ، وادناها من الفم الغين والخاء .

اما اقصى اللسان ، فله حرفان : القاف والكاف ، الا ان القاف مُستعلية ، والكاف مُستَفِلة .

واما وسط اللسان ، فله ثلاثة احرف : الجيم والشين والياء .

واما حافة اللسان ، فلها حرفان : الضاد من حافة اللسان ، وما يليها من الاضراس ، ومن الناس من يخرجها من الجانب الايمن وهو اكثر واسهل ، ومنهم من يخرجها من الجانب الايسر ، ومخرجها من احدهما كمخرجها من الاخر .

واللام من ادنى حافة اللسان الى طرف اللسان .

واما حروف طرف اللسان المتواخية بالثنايا ، فتسعة : الطا والدال والتا من طرف اللسان ، واصول الثنايا العليا ، والظاء والذال والثاء من طرف اللسان واطراف الاسنان . والصاد والزاي والسين من طرف اللسان ، وما يليها من الثنايا[٨] . والنون من طرف اللسان وما يليها من الخياشيم .

ومن مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه الى اللام مخرج الراء .

ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو .

ومن باطن السفلى واطراف الثنايا العلى مخرج الفاء .

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة او الخفيّة اي الساكنه ، وهي نون منْك وعنْك ونحوها .

وللنون مخرجان احدهما من الفم والاخر من الخياشيم .[٩]

فهذه ستة عشر مخرجاً للحروف التي ذكرنا .

× × ×

وقال الخليل بن احمد (رضي الله عنه) :[١٠]

أقصى الحروف كلها العين ، وارفع منها الحاء ثم الهاء فهذه الثلاثة في حيز واحد ، [ثم الخاء والغين وهما في حيز واحد][١١] ثم القاف والكاف وهما في حيز واحد ، ثم الجيم والشين والضاد وهي ثلاثة في حيز واحد ثمّ الصاد والسين والزاي ، ثلاثة في حيز واحد ، والطاء والتاء والدال وهي ثلاثة في حيز واحد ، ثم الرا واللام والنون ثلاثة في حيز واحد ، ثم الفاء والباء .

ان الحروف تسعة وعشرون حرفاً ، خمسة وعشرون صحاح ، لها احواز ، واربعة احرف جوف : الواو والياء والالف اللينه والهمزة لانها تخرج من الجوف .

قال : فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية ، لان مبدأها من الحلق .

قال : واقصاهن العين ثم الحاء ولولا بَحّةٌ في الحاء لاشبهت العين ولولا هتّه في الهاء ، وقال مرة (ههة) لاشبهت الحاء لقرب مخرجهما .

قال : والكاف والقاف لهويتان ، [والجيم والشين والضاد شجرية][١٢] لان مبدأهما من شجر الفم ، والشجْر ، مفرج الفم ، والشجران طرف اللحيين اللذين يجمعهما الذقن .

والصاد والسين والزاي : اسلية ، لان مبدأها من أسَلةَ اللسان ، وهي مستدق طرف اللسان .

والطاء والدال والتاء نطعية لان مبدأها من نطع الغار الاعلى وهو سقف الفم .

والظاء والذال والثاء لثوية ، لان مبدأها من اللثه ، وهي اللحم الذي فيه الاسنان المركبة .

واللام والراء والنون ذُلْقيه ، ويقال : ذَلقيه ، بالفتح ، ويقال : ذَوْلَقيه لان مبدأها من ذلق اللسان ، وهو تحديد طرفه ، وذَلق كل شيء تحديد طرفه ، يقال : حرفٌ اذلق ، وحروف ذُلق ، وذَوْلق اللسان كذَوْلق السنان[١٣] .

والفاء والباء والميم شفهية ، وقال مرة : شفوية ، لان مبدأها من الشفة . والواو والياء والالف اللينة والهمزة ، هوائية ، في حيز واحد ، لانها في الهواء لا يتعلق بها شيء .

نسبَ كل حرفٍ الى مدرجته

وكان الخليل يسمي الميم مطبقه لانها تطبق الشفتين في خروجها إذا لفظ بها[١٤] .

هوامش الباب الثامن والعشرون

(١) ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٢ ، المقتضب : ١ / ١٩٢ والحروف عنده (٢٨) حرفاً .

(٢) وهي الالف الجانحة نحو الياء وسميت بالف الترخيم لان الترخيم : تليين الصوت . شرح كتاب سيبويه ٦ / ٤٤٦

(٣) عبارة سيبويه : « والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٢ ، شرح كتاب سيبويه ٦ / ٤٤٢ ، سر صناعة الاعراب ١ / ٥١ ، النشر في القراءات العشر ١ / ٢٥١ وللدرس الصوتي الحديث رأي فيها » ينظر « اللغة العربية معناها ومبناها : ٥٣ - ٥٦ ، في البحث الصوتي : ٣٤

(٤) قال سيبويه (الكتاب ٤ / ٤٣٢) وتكون اثنين واربعين حرفاً ثم ذكر الحروف الثمانية التي اوردها المؤلف ، وذلك يقتضي ان يكون المجموع ثلاثة واربعين ، حاصل جمع (٢٩ + ٦ + ٨ = ٤٣) ويظل كلام سيبويه يحتاج الى تعليل . هامش محقق كتاب الموضح في التجويد : ٨٤

(٥) هو ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي النحوي ، من اكابر الفضلاء ، وأفاضل الادباء ، لا نظير له في العربية ، صنف تصانيف كثيرة ، اهمها شرح كتاب سيبويه . (ت ٣٦٨ هـ) . (نزهة الالباء : ٣٠٧)

(٦) ينظر : شرح كتاب سيبويه : ٦ / ٤٤٢ - ٤٥٠ ، الموضح في التجويد : ٨٧ ، النشر ١ / ٢٠٢

(٧) ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٤ ، التحديد : ١٠٤ ، مخارج الحروف وصفاتها : ٩٣ ، التمهيد : ١١٣ وفي عددها خلاف ، ويذهب الدرس الصوتي الحديث الى ان عدد مخارج الحروف عشرة . ينظر : الاصوات اللغوية : ٤٥ ، في البحث الصوتي : ١٩ المدخل الى علم اللغة : ٣٠

(٨) مخارج حروف طرف اللسان فيها خلاف بين العلماء ، للتفصيل ينظر : الدراسات الصوتية : ٢٠٩ - ٢١١

(٩) للدرس الصوتي الحديث رأي في مخارج الحروف ، فصّل القول فيه د . حسام النعيمي ، ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ٢٩٧ - ٣٢٤ .

(١٠) هو الخليل بن احمد الفراهيدي ، البصري النحوي ، الإمام المشهور ، صاحب العروض وكتاب العين ، روى عن عاصم بن ابي النجود ، وعبد الله بن كثير ، مات سنة (١٧٠) هـ وقيل (١٧٧ هـ) ينظر : غاية النهاية : ١ / ٢٧٥ .

(١١) سقطت من الناسخ ، ينظر العين ١ / ٥٧ .

(١٢) سقطت من الناسخ ، ينظر العين ١ / ٥٧ .

(١٣) هذه رواية الازهري . ينظر : تهذيب اللغة : ١ / ٤٨ ، الرعاية : ١٤٠

(١٤) ينظر : العين ١ / ٥٧ ، تهذيب اللغة ١ / ٤٨ ، الرعاية : ١٣٩ التمهيد : ٩٥ وكان كان ابن جني قد وصف المدرج الصوتي للفراهيدي بان فيه (خطل واضطراب) ينظر : (سر صناعة الاعراب ١ / ٥١) .

الباب التاسع والعشرون
في ذكر اجناس الحروف واصنافها وصفاتها

اصناف حروف العربية وما تتميز به بعد خروجها من مواضعها ثمانية عشر صنفاً :[١]

وهي : المجهورة ، والمهموسة ، والشديدة ، والرخوة ، وما بين الشديدة والرخوة ، والمنطبقة ، والمنفتحة ، والمستعلية ، والمُستَفِلَة ، وحروف الصفير ، والحروف الذائبة ، وهي حروف المد واللين ، وحروف الغنة ، وحروف التفشي ، وحروف القلقلة او اللقلقة ، والمستطيل ، والمكرر ، والمنحرف ، والهاوي .

فالحروف المجهوره تسعة عشر حرفاً ، يجمعها قولك : (أطلقن ضرغم عجز ظبي ذواد)[٢] . سميت بذلك لانها حروف اشبع الاعتماد في مواضعها ، فمنع النَّفَس ان يجري معها حتى ينقضي الاعتماد ، فيجري النفس .

والحروف المهموسة عشرة ، يجمعها قولك : (ستَشْحثُكَ خَصَفَةٌ) ، وان شئت ، (شخصه حثفتَسك) وإن شئت قلت : (حثَّ فسَكت شخصه) سميت بذلك لانها حروف أضعف الاعتماد في مواضعها ، فجرى معها النَّفس[٣] .

وبعضها اهمس وبعضها اجهر ، وامتحان الهمس والجهر بان تقول : إتْ ، إدْ وفي نحوهما ، فما جرى فيه النفس فمهموس ، وما منعه أن يجري فيه فمجهور[٤] .

وقال علي بن عيسى[٥] : معنى (مجهور) : حرف قوي الاعتماد في موضعه ، فقوي الصوت لقوة الاعتماد . ومعنى (مهموس) : حرف ضُعِّف الاعتماد في موضعه فضعُف الصوت لضعف الاعتماد ، وانت اذا اعتبرت ذلك وجدته ، تقول :(أصْ) فترى الاعتماد للصاد ضعيفاً ، ثم تقول (إزْ) فترى الاعتماد للزاي قويا ، والصوت بالزاي اقوى من الصوت بالصاد ، وهما من مخرج واحد .

وكذلك تقول : (إثْ) للثاء اعتماداً ضعيفاً ، وكذلك تقول (إذْ) فتعمد للذال اعتماداً قوياً ، والصوت بالذال اقوى من الصوت بالثاء وهما من مخرج واحد[٦] .

والحروف الشديدة ثمانية يجمعها قولك : (أجدُك قطبتَ) وإن شئت (أجَدْتَ طَبَقَك) وإن شئت (أجدتك قطب) ، وإن شئت (أقبجتك طد) ، سميت بذلك لانها تمنع الصوت من أن يجري فيها لشدتها وصلابتها .

وقال علي بن عيسى : معنى الشديد : حرف أشتد لزومه لموضعه حتى منع الصوت ان يجري فيه نحو : (أجْ) فليس يجري في الجيم صوت ، وكذلك لو قلت : (الحقْ والمشطْ) ثم رمت مدَّ صوتك في القاف والطاء لكان ممتنعاً .

قال : والفرق بين المجهور والشديد ، ان المجهور يقوى الاعتماد فيه بشدة الوقع ، والشديد ، يشتد الاعتماد .. فيه بلزوم موضعه لا بشدة الوقع[٧] .

والحروف التي بين الشديدة والرَّخوة ثمانية ايضاً ، يجمعها قولك (لم يَرْوعِنَا) ، وان شئت : (لم يَرْعُونا)

وما عداها (رِخْو) ، وهي ثلاثة عشر ، سُميت بذلك لانها لا تمنع الصوت ان يجري فيها لرخاوتها ، الا ترى انك تقول : (المس والرش) ونحو ذلك ، فتجد الصوت جارياً مع السين والشين[٨] .

وانما صارت الثمانية الاخر بين القبيلين لان العين يجري فيه الصوت ، وتصل الى الترديد فيه لشبهه بالحاء ، ولم يمتنع امتناع غيره ، واللام يجري الصوت في حافتيه لانحراف اللسان مع الصوت ، فهو وان كان حرفاً شديداً منحرفاً لم يعترض على الصوت كأعتراض الحروف الشديدة ، لانك إن شئت مَدَدْتَ فيه الصوتَ من غير موضع اللام بل ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك ، فلا هو مثل الرَّخوة لان طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه ، ولا مثل الشديدة فمنع الصوت . والراء يجري فيه الصوت لتكريره وأنحرافه الى اللام فهو حرف شديدٌ مكرّر لكنّه يتجافى للصوت كالرَّخوة ، ولو لم يُكرّر لم يجر فيه الصوت . والنون والميم يجري معها صوت وهو غنة من الانف بعد لزوم اللسان موضع الحرف ، فلو امسكت انفك لما جرى معه الصوت ، وهما حرفان شديدان[٩] .

والواو والياء يتسع لهما مخرجهما لهواء الصوت ، اشد من اتساع غيرها ، فإن شئت اجريت الصوت فيهما ومددت لانهما لينان .

والالف يتسع مخرجه لهواء الصوت اشد اتساعاً من الواو والياء لانك قد تضم شفتيك في الواو ، وترفع لسانك قِبَل الحنك في الياء ، وليس الالف كذلك ، فهو هاوٍ ، ليّن .

وهذه الثلاثة اخفى الحروف لاتساع مخارجها ، واخفاها الالف لانه اوسع مخرجا ثم الياء ثم الواو[١٠] .

والحروف المنطبقة اربعة احرف : الصاد والضاد والطاء والظاء سميت بذلك لانه ينطبق اللسان بها على الحنك كقولك : (قَط . أظ) .

وما عدا المنطبقة ، منفتحة ، سميت بذلك ، لانه لا ينطبق اللسان بها على الحنك بعد اعتمادك على مخارجها ، بل يكون الصوت محصوراً في مواضعها فقط[١١] .

والحروف المستعلية سبعة : الخاء والغين والقاف وحروف الاطباق يجمعها قولك : (ضغط خُصَّ قظ) ، سميت بذلك لتصعد الصوت ، واستعلائه بعد اعتمادك على مخارجها .

وقال علي بن عيسى : سميت مستعلية لان اللسان يستعلي بها الى الحنك إلّا ان منها ما يستعلي ثم ينطبق ، ومنها ما يستعلي ولا ينطبق كالقاف ، اذا قلت : (إقْ) لم ينطبق اللسان على الحنك ، وإن استعلى اليه ، فإذا قلت : (إط) إستعلى ثم أنطبق .

وما عداها (مُستفل) على مراتب .

ومنهم من الحق (العين والحاء) بالمستعلية من القراء دون النحاة ، وكان الخليل يسمي (الميم) مطبقه ، لانها تطبق الشفتين عند خروجها[١٢] .

وحروف الصفير ثلاثة وهي الاسلية : الصاد والسين والزاي ، سميت بذلك لانها تصفر بعد اعتمادك على موضعها ، اي تصوت[١٣] .

والحروف الذائبة ثلاثة : الياء المكسور ما قبله ، والواو المضموم ما قبله ، والالف ، ولا يجيء الا مفتوحاً ما قبله . وهذه الحروف حروف المد واللين ، سميت بذلك ، لانها تذوب وتلين وتمتد ، وما عداها جامد ، لانه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد[١٤] .

والاغنّ حرفان : النون والميم ، سميتا بذلك لان لهما غنّة من الخياشيم ، وهي الصويت الذي يخرج من الانف ، وقيل : حروف الغنة ستة ، يجمعها قولك : (يرملون)[١٥] .

وحروف التفشي اربعة ، يجمعها (مشفر) ، سميت بذلك لما فيها من التفشي والتكرار ، وقيل المتفشي هو الشين وحدها ،

كانه يخرج من مشط [الاسنان][16] . اذا قلت (إشْ) تبينت ذلك عند الاسنان[17] .

وحروف القلقلة او اللقلقة خمسة يجمعها (قدْ طبج)[18] ولا ادري ما هي ، سميت بذلك لظهور نبوة في اللسان في النطق بها ، اي ارتفاع ، سواء وقعت وسطاً او متطرفة ، لانها ضغطت من مواضعها ، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ، وقيل (اللام) ايضاً منها[19] .

والمستطيل هو الضاد وحدها سميت بذلك لانها تخرج من اقصى حافة اللسان ثم تستطيل الى ادناها .

والمكرر هو الراء وحدها سميت بذلك لانها تصير بمنزلة راءين .

والمنحرف هو اللام وحدها سميت بذلك لانها تنحرف الى ناحية طرف اللسان وفي الراء انحراف قليل الى ناحية اللام ولذلك يجعلها الالثغ لاما .

والهاوي هو الالف وحدها ، سميت بذلك لانها تهوي الى ناحية الحلق كأنها تخرج من جُبٍّ[20] .

فاما حروف الزيادة ، وحروف الابدال فليست مما نحن فيه بشيء ، غير اني اذكرها ليكون الباب اجمع .

حروف الزيادة عشرة[21] يجمعها (اليوم تنساه) وان شئت (هَويت السُّمان) ، ويحكى ان ابا العباس المبرد[22] سال ابا عثمان المازني[23] عن حروف الزيادة ، فانشد ابو عثمان :

هَــــويتُ السُّمـــــانَ فَشَيَّبْنَني
وما كنتُ قِــدْماً هَـويتُ السِّمـانا

فقال ابو العباس : الجواب ، فقال : قد أجبتك دفعتين ، يعني قوله (هَويت السمانا)[24] .

وحروف الابدال أحد عشر حرفاً يجمعها (وَطئنا جدتهم) وإن شئت (أتومين طاجه)[25] .

وانما ذكرت مخارج الحروف واصنافها ، لان حاجة قارىء القرآن الى معرفة ذلك في كل حرف ماسة ليخرجه من مخرجه ، ويؤدي حقه بتمامه على اللغة التي انزل الله تعالى القرآن بها ، ولان بعدها باب الادغام ولا بد لمن اراد معرفة تفصيله منها لانه يحتاج اليها فيه ليعلم المتباعد من المتقارب ، والمتشاكل من المتنافر حتى يظهر ما يجوز ان يدغم مما لا يجوز فيه ، فإنه لا يدغم في المتباعد ولا المتنافر ، ويدغم مع المتقارب والمتشاكل ، الا ترى ان حروف الحلق لا تدغم في حروف الفم لتباعدها منها ، لهذا يحتاج الى معرفة مخارج الحروف واصنافها في معرفة الادغام ووجوهه ، والله ولي التوفيق .

هوامش الباب التاسع والعشرين

١ . في الرعاية : ١١٦ (٢٤) لقباً ، وفي التحديد : ١٠٧ ستة عشر صنفاً .

٢ - عبارة التحديد : ١٠٨ (ظل قهد بضغم زر بطا واذ نمج)

٣ . هذا تعريف سيبويه للصوت المجهور والمهموس (الكتاب ٤ / ٤٣٤) ، وقد نقله عنه جمهور علماء العربية والقراءة من المتقدمين .

وللمحدثين من علماء الاصوات تعريف له اكثر وضوحاً وهو : « إن الصوت المجهور هو الذي يتذبذب معه الوتران الصوتيان الكائنان في الحنجرة عند النطق به ، والصوت المهموس لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان » . ينظر (كمال بشر : الاصوات : ١٠٩ احمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي : ١٠٧) وقد عدّ سيبويه الهمزه والطاء والقاف مجهورة ، وهي ليست كذلك في نطق العربية المعاصره .

٤ . ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٤ ، شرح كتاب سيبويه ٦ / ٤٥٨ ، الموضح : ٨٨

٥ . هو علي بن عيسى بن الفرج الربعي النحوي ، كان من اكابر النحويين ، أخذ عن ابي سعيد السيرافي وعن ابي علي الفارسي ، شرح كتاب الايضاح للفارسي ، ويحكى انه شرح كتاب سيبويه ثم غسله . (ت ٤٢٠ هـ) ينظر (نزهة الالباء : ٣٤١) .

٦ . ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٤ ، الاصوات اللغوية : ٢١ .

٧ . ينظر : الرعاية ١١٧ ، الموضح : ٨٩ ، كشف المشكل في النحو ٢ / ٢٨١

٨ . ينظر : سر صناعة الاعراب : ١ / ٦٩ - ٧٠

٩ . ينظر : الكتاب ٤ / ٤٣٥ ، التحديد : ١٠٨ والبينية عنده خمسة احرف يجمعها (لم نرع)

١٠ . ينظر : الرعاية : ١٢٧ ، الموضح : ٩٧

١١ . المصادر نفسها ، وهناك فرق بين الاطباق والطبق ، فالاطباق : صفة للحروف الاربعة ، اما (الطبق) فهو : اقصى الحنك ، وهو الجزء المتحرك الرخو من سقف الحنك . ينظر : في البحث الصوتي : ١٨ ، مناهج البحث في اللغة : ١١٢ .

١٢ . ينظر : الكتاب ٤ / ١٢٨ ، سر صناعة الاعراب : ١ / ٧١ ، الموضح : ٩٠ وقد استخدم مصطلح (الانخفاض والاستعلاء) .

١٣ . ينظر : الكتاب ٤ / ٤٦٤ ، قال الدكتور غانم في دراساته الصوتية : ٣١٤ « لم يذكر سيبويه هذه الصفة » وقد وهم فيما ذهب اليه ، والصواب ما اثبتناه .

١٤ . لمزيد من التفصيل عن هذين المصطلحين (الجامد والذائب) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ١٥٨ - ١٦٠

(١٥) ينظر : الرعاية : ١٣١ ، التحديد : ١٣٠

(١٦) ساقطه ، ولا يستقيم المعنى الا بها .

(١٧) وصف علماء التجويد المتقدمون (الشين والضاد والفاء) بالتفشي ، اما اطلاق هذه الصفة على صوتي الميم والراء ، فهو من عمل المتاخرين ، وفيه توسّع لا يحتمله التصنيف الدقيق للاصوات .

ينظر : الرعاية : ١٣٤ ، التحديد ، ١٠٩ ، الدراسات الصوتية : ٣١٩

(١٨) في الاصل (قد ضبج) وهو تصحيف من الناسخ .

(١٩) ينظر : الكتاب ٤ / ١٧٤ ، سر صناعة الاعراب : ١ / ٧٢ النشر ١ / ٢٠٢ الدراسات الصوتية : ٢٠٦

(٢٠) ينظر : التحديد : ١١٠ .

(٢١) وتسمى (المتذبذبة) لانها لا تستقر على حال ، تقع مرة زوائد ، ومرة اصولاً ، ينظر : الرعاية : ١٢١ .

(٢٢) ابو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، من اعلام اللغة والادب ، صنف كتباً كثيرة من اهمها : المقتضب في النحو والكامل في اللغة والادب (ت ٢٨٥ هـ) . (نزهة الالباء : ٢١٧)

(٢٣) هو ابو عثمان بكر من محمد البصري ، نحو لغوي اديب . روى عن ابي عبيدة والاصمعي وابي زيد الانصاري ، واخذ عن المبرد ، له مصنفات منها كتاب « التصريف » الذي شرحه ابن جني . توفي بالبصرة عام ٢٤٨ هـ (ينظر طبقات الزبيدي : ٩٢ ، وإشارة التعيين : ٦١)

(٢٤) ينظر: سر صناعة الاعراب: ١/ ٧٢ المنصف ١/ ٩٨، شرح المفصل: ٩/ ١٤١

(٢٥) ينظر: المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها، وقد ذهب صاحب الرعاية: ١٢٢ والتحديد: ١١١ الى ان حروف البدل اثنا عشر حرفاً يجمعها قولك: طال يوم انجدته وللدرس الصوتي الحديث رأي في صفات الحروف واصنافها، ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣١٢ وما بعدها، الاصوات اللغوية: ٧٥ وما بعدها، في البحث الصوتي: ٥٢ وما بعدها.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الايضاح في القراءات (مخطوط): لأبي عبد الله احمد بن ابي عمر المعروف بالاندرابي (ت بعد ٥٠٠ هـ) تحتفظ مكتبة المجمع العلمي العراقي بنسخة مصورة (رقم ١٣٥٧ علوم القرآن)

٣. اصوات العربية بين التحول والثبات: د. حسام النعيمي. سلسلة بيت الحكمة.

٤. الاصوات اللغوية: د. ابراهيم انيس، الطبعة الثالثة، ١٩٦١

٥. الاقناع في القراءات السبع: لابن البانش (أبي جعفر احمد بن علي ٥٤٠ هـ) تح: عبد المجيد قطامش، ط ١، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ.

٦. التحديد في الاتقان والتجويد: لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤ هـ)، تح د. غانم قدوري حمد، ط ١/ ١٩٨٨.

٧. التمهيد في علم التجويد: لشمس الدين محمد بن محمد المشهور بابن الجزري (٨٣٣ هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة.

٨. التيسير في القراءات السبع: للداني (ابي عمرو عثمان بن سعيد)، صححه: ابو تويرتزل، مطبعة الدولة، استانبول، ١٩٣٠.

٩. جمال القراء واكمال الاقراء: علم الدين السخاوي (علي بن محمد ٦٤٣ هـ) تحقيق: د. علي حسين البواب، ط ١، ١٩٨٧.

١٠. تهذيب اللغة - الازهري - المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، دار الطباعة القومية

١١. جهد المقل: محمد بن ابي بكر المرعشي (١١٥٠ هـ) دراسة وتحقيق: سالم قدوري حمد (طبع رونيو)، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، الاداب، ١٩٩٢

١٢. الدرس الصوتي والنحوي عند الداني: احلام خليل محمد (رونيو)، رسالة دكتوراه جامعة بغداد، الاداب، ١٩٩٧.

- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: د: غانم قدوري حمد، مطبعة الخلود، بغداد ١٩٨٦ وزارة الاوقاف

١٣. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد، ١٩٨٠

١٤. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق: د. احمد حسن فرحان، ط ٢، الاردن، ١٩٨٤

١٥. كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد، احمد بن موسى (٣٢٤ هـ) تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ١٩٧٢.

١٦. سر صناعة الاعراب: ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تح، مصطفى السقا وآخرين، ط ١، القاهرة، ١٩٥٤

١٧. شرح كتاب سيبويه (مخطوط): لابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، الجزء السادس، يحتفظ الدكتور غانم قدوري حمد بنسخة مصورة، اطلعت عليها.

١٨. شرح المفصل: ابن يعيش (موفق الدين بن يعيش بن علي (٦٤٣ هـ) الطباعة المنيرية/ مصر

١٩. شرح الواضحة في تجويد الفاتحة: ابن ام قاسم المرادي (٧٤٩ هـ) تح: عبد الهادي الفضلي دار القلم، بيروت.

- طبقات النحويين اللغويين: للزبيدي (محمد بن الحسن)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الخانجي ١٩٥٤

٢٠. عبقري من البصره: د. مهدي المخزومي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢

٢١. علم اللغة العام - الاصوات -: د. كمال بشر، ط/ ٤، دار المعارف بمصر/ ١٩٧٥

٢٢. العين: الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) تح: د. مهدي المخزومي والسامرائي بغداد، ١٩٨٠.

٢٣. غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري محمد بن محمد (٨٣٣) عني بنشره: برجستراسر، الخانجي، ١٩٣٢.

٢٤. في البحث الصوتي عند العرب: د. خليل ابراهيم العطية، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣

٢٥. قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين: للاندرابي، تح، احمد نصيف الجنابي نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥ وهو في الاصل الباب الثاني والثلاثون من كتاب (الايضاح في القراءات).

٢٦. الكتاب: سيبويه (عمرو بن عثمان ت. ١٨٠ هـ) تح، عبد السلام هارون، عالم الكتب القاهرة

٢٧. اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، ط/ ٢، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩

٢٨. مخارج الحروف وصفاتها: ابن الطحان (عبد العزيز بن علي الاندلسي ٥٦٠ هـ) تح د. محمد يعقوب تركستاني، ط/ ١، مكة المكرمة، ١٩٨٤

٢٩. المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ط/ ٢، ١٩٨٥

٣٠. معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥

٣١. المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي

- معرفة القراء الكبار شمس الدين الذهبي، تح محمد جهاد الحق، ط ١

٣٢. المقتضب: ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ) تح محمد عبد الخالق عضيمه، مصر

٣٣. الموضح في التجويد: عبد الوهاب بن محمد القرطبي (٤٦٢ هـ)، تح: د. غانم قدوري حمد معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٠.

- نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي البركات - كمال الدين الانباري تح. محمد ابن الفضل ابراهيم دار النهضة مصر/ الفجالة

٣٤. النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، تصحيح علي الضباع، دار الكتب العلمية

المجلات:

- مجلة المجمع العلمي العراقي:

- رسالة التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: ابو الحسن علي بن جعفر السعيدي (٤١٠ هـ) تح: د. غانم قدوري، المجلد ٣٦، الجزء الثاني، ١٩٨٥.

- مجلة معهد المخطوطات العربية في الكويت/ المجلد ٢٩، الجزء الاول/ ١٩٨٥

- (الايضاح في القراءات) دراسة وعرض: د. احمد نصيف الجنابي

- مجلة المورد، وزارة الثقافة والاعلام، جمهورية العراق:

- منهاج التوفيق الى معرفة التجويد للسخاوي، تح، صالح مهدي عباس مج ١٧، ع ٤، ١٩٨٨

- القصيدة الخاقانية في القراءة وحسن الاداء للخاقاني، تح د. علي البواب. مج ١٤، ع ١، ١٩٨٥

شعر الحزين الكناني

جمع وتحقيق
عبدالعزيز ابراهيم

شخصية الشاعر
إسمه ونسبه

هو عمرو بن عبيد بن وُهَيب بن مالك بن حريث بن جابر بن بجير ـ راعي الشمس الاكبر ـ بن يعمر بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة[1] بن خزيمة[2] .

وقد أجمعت المصادر التراثية[3] على إسمه إلا المؤتلف[4] ولسان العرب[5] فذكر صاحباهما أنه عمرو بن عبد . وأعتقد أنه تصحيف جاء بفعل النُساخ . أما نسبه فإنه ينتهي عند كنانة . فإذا قيل في النسب كناني فهو من ولد كنانة بن خزيمة غير النضر ، مثل ليث والدِّيل وضمرة بني عبد مناة ابن كنانة فيقال كناني ليثي كُما يذكر ذلك صاحب اللباب في تهذيب الانساب[6] .

الحزين الكنانيّ إذن عربي النسب خالصه يؤيد ذلك ما رواه الواقدي[7] من أنه صليبة . وهذا الرأي يدحض ما جاء به عمر بن شبه منسوباً للواقدي[8] يزعم أن الحزين مولى وانه (بن سليمان) ونقله ابن ماكولا في كِتَابه[9] ، ولكنه قال : (ويقال بل اسم ابيه سليمان مولى بني الدِّيل) . وهذه الكلمة ـ يقال ـ عندما تتصدر الجملة فإن معناها يكون أميل لرواية ضعيفة يدحضها ما ذكره بالنص المصعب الزبيري (ت / ٢٣٦ هـ) في كتابه[10] من أن الحزين أحد بني الدَّيل بن بكر (بكر) . ولم يقل الرجل الذي يعده الاستاذ المحقق أحمد[11] محمد شاكر من أقدم المؤلفين وكتابه من المصادر الاولى المعتمدة . ويؤيد ما ذهبت اليه ان الامدي[12] نقل عن الزبير بن بكار في ترجمته للحزين قوله : إنما سموا ـ يقصد جد الحزين ابن بجير الملقب براعي الشمس الاكبر ـ رعاة الشمس لان الشمس لم تكن تطلع في الجاهلية الا وقدورهم تغلي للضيف وفي ذلك يقول الحزين .

أنـــا ابن ربيـــع الشمس في كـــل شتـــوة
وجـــــدي راعي الشمس وابن عـــــريب

وهذا لا يدعيه مولى .

لقد تباينت المصادر في نسبه كناني وديلي حتى أوهم المعاصرين أن الحزين الدئلي غير الشاعر مما أوقع هذا الوهم الى الاختلاف في ترجمته ، ولكنها لم تذكر تعليلًا لِمَ لقُب الشاعر بـ(الحزين) سوى تعليق صاحب الاغاني[13] عن رواية نسبت الى عروة بن أذينة قوله (كان الحزين صديقاً لابي وعشيراً على النبيذ ، وكان كثيراً ما يأتيه وكان بالمدينة قينة يهواها الحزين وأكثر غشيانها ، فبيعت واخرجت من المدينة فاتى الحزينُ أبي وهو كئيب حزين كاسمه ..) فربما يكون واقع الحزن صفة لازمته حتى غلبت عليه ، فكانت لقباً له .

أما غير صاحب الاغاني ، فإن ابن ماكولا حاول ضبط اسمه لغةً فقال[14] :

حَزِين بفتح الحاء وكسر الزاي التي يليها وآخره نون فهو الحزين الشاعر . أما كنيته فقال عنها صاحب الاغاني[15] : ويكنى أبو الشعثاء ، وأبو الحكم . وأورد له السيوطي[16] كنية ثالثة هي (أبو تكتم) وأظنها تحريف للحكم .

ولادته ووفاته

أجمعت المصادر التي ترجمت للحزين أنه من شعراء الدولة الاموية[١٧] أو عصر بني أمية[١٨] وانه من التابعين كما صنفه البعض[١٩]، ولكنها لم تذكر سنة ميلاده ـ وهذا شأنها في اكثر التراجم ـ مما خلق للمتاخرين موقفاً تقديرياً نراه سنة (٥١ هـ) على اعتبار العصر الذي بدأ قبل هذه السنة بعشر، أي سنة (٤١هـ).

أما وفاته فلم تسعفنا هذه المصادر ايضاً بسنتها ولكنها لا تخرج عن سني هذا العصر، ونذهب الى سنة (١٢٥ هـ) ودليلنا الى ذلك رثاء الحزين للإمام زيد بن علي (رض) الذي قتل سنة (١٢٢ هـ) كما يؤكد ذلك الطبري في تاريخه[٢٠]. فيكون الشاعر حياً بعد وفاة المرثي وعمره تجاوز السبعين، ولا نوافق الزركلي[٢١] الذي قدّر سنة ٩٥ هـ تاريخاً لوفاته للسبب الذي ذكرناه، يؤيدنا معاصرته لكثير من الشعراء الامويين امثال جرير والفرزدق اللذين توفيا في العقد الثاني من القرن الثاني الهجري وكُثير بن عبدالرحمن قبلهما كما يذهب لذلك صاحب الاغاني[٢٢].

يبقى موطن الشاعر الذي أجمعت عليه المظان التراثية، هو الحجاز[٢٣] ويحدد ذلك الدارقطني في كتابه بانه مدينيّ[٢٤] ـ نسبة الى المدينة المنورة ـ وهذا ما دفعه الى تصنيفه بالتابع.

صفاته الخَلْقية :

نقل صاحب الاغاني[٢٥] ما ذكره الخليفة الاموي عبدالملك ابن مروان لابنه عبدالله قوله : سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة وهو ذربُ اللسان، فاياك أن تحتجب عنه وارضه. وصفته أنه أشعر ذو بطنٍ عظيم الانف .. ». وذكر ايضاً انه (كان طويلاً أيداً) ولم تسعفنا المصادر الاخرى عن صفاته شيئاً ينفعنا عن الشاعر غير ما ذكرناه.

اخلاقه :

ألحق صاحب الاغاني وصفاً ـ يقربه من الحطيئة ـ على الحزين ـ فقال[٢٦] : بأنه « خبيث اللسان ساقطاً، يُرضيه اليسير ويتكسب بالشرّ وهجاء الناس » ولكنه يستدرك بانه « ليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح » مخالفاً بذلك شعراء عصره لكنه يضيف قائلاً[٢٧] : كان الحزين سفيهاً نذلاً يمدح بالنّزر إذا أعطيته ويهجو على مثله إذا مُنع ».

شعره :

لايختلف شعر الحزين الكناني عن غيره من شعراء عصره الذين عاشوا البيئة ذاتها وبين المجتمع نفسه، فكان شعرهم خالياً من وحشي الكلام يكثر فيه التشبيب الذي عاشته المدينة في العصر الاموي التي عُرفت بـ « اللهو والغناء »[٢٨] وكان الحزين الكناني من هذه المدينة فلا عجب ان اتجه بشعره الى هذا الاتجاه، ولكن ذلك لا يعني شيوع هذا اللون دون الهجاء أو المدح بل إنّ هذه الاغراض تجتمع في شعره اضافة الى الوصف الذي تجده في أبيات قصائده.

أما مكانته الشعرية فيقول عنها صاحب الاغاني[٢٩] : الحزين الكناني من شعراء الدولة الاموية، حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته ». وحاول المعاصرون أن يحددوا للشاعر طبقة فكان أن وضعه جرجي زيدان مع الشعراء الخلعاء والسكيرين الى جانب الاقيشر الاسدي وبكر بن خارجة والشمردل بن شريك والوليد ابن يزيد (الخليفة) ويعلل ذلك بقوله[٣٠] : وانما نعني بهذه الطبقة الشعراء الذين غلب عليهم السكر والتهتك والمجون ».

والسؤال الذي يعترضنا هل ان شعر الحزين لم يلتفت القدماء لجمعه في ديوان ؟ وجواباً عن هذا التساؤل فإن المظان التراثية لم تذكر شيئاً عن ديوان الشاعر ومن هذه ـ المتوفرة لدينا ـ الفهرست لابن النديم وفهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير الاشبيلي، لكن اشارة ياقوت الحموي في معجمه[٣١] تفيدنا وهو يترجم لابي سعيد السكري فيقول : وأما أشعار القبائل فانه عمل منهم اشعار ... بني كنانة » دون أن يفصل ما اشتمل عليه هذا المجموع. وعلق الدكتور يحيى الجبوري في مقدمة تحقيقه لشعر المتوكل الليثي فقال[٣٢] وقد عُرف ابو سعيد السكري (ت/ ٢٧٥ هـ) خاصة بصنعة أشعار القبائل، فقد صنع اشعار بني كنانة، وفي راجح الظن أن فيه شعراً للمتوكل وعروة بن اذينة والحزين الكناني وغيرهم ».

صنيعي في هذا المجموع :

إنّ جمع شعر الحزين الكناني لم يسبقني احد اليه من المعاصرين ـ كما أعلم ـ ولذا وجدت دافعاً يشدني الى صنع شعره للاهمال الذي اصاب الرجل الذي عُرف بانه ذرب اللسان أتعب معاصريه إنْ هجاهم وآنسهم إنْ مدحهم. فكانت خطواتي التي سرت عليها تشكل نهجاً تمثل في ركائز هي :ـ

١ ـ لما كان شعر الحزين الكناني ضائعاً في المظان التراثية، تاريخية أو أدبية فقد اتخذت من الرواية الثانية سبيلاً الى هذا الجمع تخريجاً واختلاف رواية، مضيفاً الشرح والتعليق إن احتاجه النص.

٢ ـ تمّ ترتيب المجموع حسب حروف الهجاء وقد وزعته في

خمس وثلاثين مقطوعة مع ذكر البحر العروضي الذي نُظمت عليه .

٣ ـ رُتبتْ مصادر التخريج وفقاً لقدمها مع الاشارة الى عدد الابيات المذكورة فيها .

٤ ـ في حالة تدافع النص الشعري له او لغيره ذكرت المصدر الذي أشار اليه مع التنبيه الى اسم الشاعر .

٥ ـ حذفت بعض الالفاظ التي لم يتحرج القدماء من ذكرها في مصادرهم وأشرت الى ذلك الحذف بنقاط ، فمن أراد الاصل فإن الكلمة في مصدرها المنقول عنه .

٦ ـ أفضت بالتعليق على القصيدة الميمية التي تزاحم على قولها الشعراء وتداخلت قصائدهم أبياتاً فيها ، ومن هؤلاء الفرزدق وداود بن سلم وخالد بن يزيد ، اضافة الى الحزين الكناني ، وقد حققت قصيدة الحزين بما قطع به صاحب الاغاني في كتابه .

الهوامش

١ ـ الاغاني ٥ / ٣٢٢ .

٢ ـ المؤتلف والمختلف (للامدي) ٨٨ .

٣ ـ يُنظر الاكمال ٢ / ٤٦٢ ، تبصير المنتبه ١ / ٤٣٦ .
الاغاني ١٥ / ٣٢٢ ، تاج العروس (حزن) ٩ / ٩٧٥ .
المغني ١ / ٣٦٠ ، سمط اللالئ ٣ / ٤٧ .

٤ ـ المؤتلف والمختلف (للامدي) ٨٨ .

٥ ـ لسان العرب (حزن) ١ / ٦٢٨ .

٦ ـ اللباب في تهذيب الانساب ٢ / ١١٢ .

٧ ـ الاغاني ١٥ / ٣٢٢ .

٨ ـ المصدر نفسه .

٩ ـ الاكمال ٢ / ٤٦٢ .

١٠ ـ نسب قريش ١٦٤ .

١١ ـ الشعر والشعراء (هامش المحقق) ١ / ٦٤ .

١٢ ـ المؤتلف والمختلف (للامدي) ٨٨ .

١٣ ـ الاغاني ١٥ / ٣٢٣ .

١٤ ـ الاكمال ٢ / ٤٦٢ .

١٥ ـ الاغاني ١٥/ ٣٢٢ وينظر الاكمال ٢ / ٤٦٢ .

١٦ ـ شرح شواهد المغني ٢ / ٧٣٥ .

١٧ ـ الاغاني ١٥ / ٣٢٢ ، سمط اللالي ٣ / ٤٧ (هامش) والاعلام ٢ /١٨٧ .

١٨ ـ تبصير المنتبه ١ / ٤٣٦ .

١٩ ـ الاكمال ٢ / ٤٦٢ ، والمؤتلف (للدارقطني) ١ / ٣٦٠ .

٢٠ ـ تاريخ الطبري ١٧ / ١٨٠ ، الموسوعة العربية ١ / ٩٣٧ .

٢١ ـ الاعلام ٢ / ١٨٧ .	٢٢ ـ الاغاني ٩ / ٤ .

٢٣ ـ الاغاني ١٥ / ٣٢٢ ، شرح الشواهد ٢ / ٧٣٥ ، الاعلام ٢ / ١٨٧ .

٢٤ ـ المؤتلف (الدارقطني) ١ / ٣٦٠ .

٢٥ ـ الاغاني ١٥ / ٣٢٤ ويُنظر ٩ / ٨ .

٢٦ ـ المصدر نفسه ١٥ / ٣٢٢ ، سمط ٣ / ٤٧ ، الاعلام ٢ / ١٨٧ .

٢٧ ـ الاغاني ١٥ / ٣٣٩ .

٢٨ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ١ / ٢٣٤ .	٢٩ ـ الاغاني ١٥ / ٣٢٢ .

٣٠ ـ تاريخ اداب اللغة العربية ١ / ٢٩٥ .

٣١ ـ معجم الادباء ٨ / ٩٨ ـ ٩٩ .

٣٢ ـ شعر المتوكل الليثي ٤٦ .

شعر الحزين الكناني

(١)

(طويل)

١ ـ ألا طــرقَتْنــا آخــرَ الليــلِ زينبُ
عليــكَ ســلامٌ ، هــل لمــا فــاتَ مطلبُ

٢ ـ فقلتُ لهــا : حييتِ زينبُ خــدنكم
تحيــةَ مــوتى ، وهــو في الحيِّ يشــربُ

التخريج : محاضرات الادباء ٢ / ٤٠٥ .

(٢)

(طويل)

١ ـ نَشــدْتُــكَ بــالبيتِ الــذي طِيفَ حــولَــه
وزمــــزمَ والبيتِ الحــــرامِ المحجَّبِ

٢ ـ لِــزانيــةٍ صفــوانُ أم لعفيفــةٍ
لاعلم مــــا آتي ومــــا أتجنبُ

التخريج : الأغاني ١٥/ ٣٣٠ .

(٢) في البيت إقواء .

ـ قدَّم صاحب الاغاني لهذين البيتين قائلاً : كان على المدينة طائف يقال له صفوان مولى لآل مخرمة بن نوفل ، فجاء الحزين الى شيخ من أهل المدينة ، فاستعار حماره وذهب الى العقيق فشرب ، وأقبل على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحمار حتى وقف به على باب المسجد كما كان صاحبه عوّده اياه ، فمرّ به صفوان فاخذه ، فحبَسه وحبس الحمار ، ثمَّ ردَّ الحمار ، وضرب الحزين الحدَّ » .

(٣)

(طويل)

١ ـ أنــا ابنُ ربَيــع في كــلّ شتْــوَة
وجَــدي رَاعي الشَمسِ وابن عــريبْ

التخريج : المؤتلف والمختلف (للامدي) ٨٨ .

ـ نقل صاحب المؤتلف عن الزبير بن بكار قوله : إنّما سموا رعاة الشمس ، لأنّ الشمس لم تكن تطلع في الجاهلية الا وقدورهم تغلي للضيف وفي ذلك يقول الحزين » .

(٤)

(طويل)

١ ـ لَعلّكَ بــالجــربــاء أو بحكِــاكــةٍ
تُفــاخِــرُ أمَّ الفضــل وابنــة مِشْــرح

٢ ـ ومــا منهمــا الاحصــانُ نَجيبــةٌ
لهــا حَسَبٌ في قــومهــا مُتسرجَــحُ

التخريج : تاريخ الرسل والملوك (للطبري) ٧ / ٥٢٢ .

(١) في البيت اقواء .

ـ جاء في تقديم الطبري للنص قوله : قال الحزين الدُيلي لعبدالله بن الحسن ينعى عليه ولادة الجرباء . والجرباء هذه بنت قَسامة بن رومان من طيّ سميت بالجرباء لحسنها عن بقية النساء ـ يُنظر الاغاني ٢١ / ١١٤ .

(٥)

(متقارب)

١ ـ أقــولُ لَــهُ حينَ واجهْتُــهُ
عَليــكَ السّــلامُ أبــا جَعْفَــرِ

٢ ـ فــأنتَ المهــذّبُ من غــالبٍ
وفي البيتِ منهــا الــذي تُــذْكَــرُ

٣ ـ فهــذِي ثِيــابي قــد أخلقتْ
وقــد عضّني زَمَنٌ منكــرُ

التخريج : مكارم الاخلاق / ١٠٨ ، الاغاني ١٢ / ٢١٧ ، المؤتلف والمختلف (للدارقطني) ١ / ٣٦٠ ، لباب الاداب / ٩٣ .

(١) (ألفيته) بدلًا من (واجهته) في المكارم ، والبيت فيه اقواء . وقد أهملت حركة القافية في الاغاني وكسرت في لباب الاداب ، وسكنت في المكارم ، علماً أن الابيات الاخرى مضمومة الراء .

(٢) (هاشمَ) بدلًا من (غالب) في اللباب . وروي الشطر الأول :

(وأنت كريم بني هاشم) . (منه) بدلًا من (منها) في الشطر الثاني في اللباب .

(٣) (وهذي) بدلًا من (فهذي) في المكارم .

ويروى الشطر الاول في المؤتلف : فهذان ثَوبان قد أخْلقَا .

ـ ذكر الدارقطني ان الحزين خرج فلقي عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهو على بغلٍ عليه مقطعات خزٍّ فقال :ـ

أمّا صاحب مكارم الاخلاق فقد حوّل الأبيات الى شواهد حكاية دون ان يذكر صاحبها فقال : إنّ (عبدالله بن جعفر كان في سفر له فمرّ بفتيان يوقدون تحت قدر لهم فقال اليه أحدهم فقال :

أقــول لــه حين ألفيتــه
عليــك الســلام أبــا جعفــر

فوقف وقال : السلام عليك ورحمة الله وقال :

وهــذي ثيــابي قــد أخلقت
وقــد عضّني زمن مُنكــرْ

قال : فهذي ثيابي مكانك . وعليه جُبّة خزٍّ وعمامة خزٍّ ، ومطرق خزٍّ تعينك على زمنك المنكر قال :

وأنت كــريمٌ بني هــاشم
وفي البيت منهــا الــذي يُــذكــر

قال : يا ابن أخي ، ذلك رسول الله (ﷺ) :

وقد نسب الابيات باسناد عن مصعب الزبيري أن الذي أنشد هذا الشعر الحزين الكناني .

وتبقى رواية الاغاني فهي لا تختلف كثيراً إلا في الدافع الذي كان وراء استجداء عبدالله بن جعفر ، فقال ان الحزين قُمِر في العقيق ـ أي غُلب في القمار ـ في غداةٍ باردةٍ ثيابه ، فمرّ به عبدالله بن جعفر وعليه مُقطعَات خزٍّ ، فاستعار الحزين من رجل ثوباً ، ثمّ قام اليه فقال :ـ اقولُ .. الابيات .

(٦)

(وافر)

١ ـ يــا أهــل المــدينــة خبّــروني
بــأيّ جــريــرة حُبسَ الحمــارُ

٢ ـ فمــا للعيــر من جُــرمِ اليكم
ومــا بــالعيــر إنْ ظُلِم إنتصــارُ

التخريج : الاغاني ١٥ / ٣٣٠ .

قال صاحب الاغاني في تقديمه البيتين : كان على المدينة طائفٌ يقال له صفوان ، مولى لال مخرمة بن نوفل ، فجاء الحزين الدُيلي الى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حماره وذهب الى العقيق فشرب ، وأقبل على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحمار حتى وقف به على باب المسجد كما كان صاحبه عوده إياه ، فمرّ

به صفوان فاخذه فحسبه وحبس الحمار، فاصبح والحمار محبوس معه فانشا يقول :ـ (الابيات) . فردّوا الحمار على صاحبه وضربوا الحزين الحدّ ـ » .

(٧)

(طويل)

١ ـ صحبتُك عاماً بعد سعد بن نوفل
وعمرو فما أشبهتَ سعداً ولا عمرا
٢ ـ وجاذا كما قصرت في طلب العلا
فخرت به نمأ وحازا به شكرا
٣ ـ أولاك الجماد البيض من آل مالكٍ
وأنتم بنو قين لحقتم به نزرا
٤ ـ نسوق بيعورا أميرا كأنما
نسوق به في كل مجموحةٍ وبرا
٥ ـ فإن يكن البيعورا ثمّ رفيقه
فراه فقد كانت إمارته نكرا
٦ ـ ومتبع البيعورا يرجو نواله
فقد زاده البيعورُ في فقره فقرا

التخريج : الاغاني ١٥ / ٣٣٥ .

(٣) نصب (نزرا) على الحال كانه قال « لحقتم به نزراً قليلًا من الرجال » .

(٤+) بيعورا : (ابو بعرة من بني عامر) عبث باسمه هجاءً له .

وبرا : دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء يشبه بها الشخص احتقاراً .

ـ يذكر الاصفهاني في اغانيه حكاية لهذه الابيات فيقول : صحب الحزين رجلًا من بني عامر بن لؤي يلقب أبو بعرة ، وكان استعمل على سعاياتٍ فلم يصنع اليه خيراً ، وكان قد صحب قبله عمرو بني مساحق وسعد بن نوفل فاحمدهما فقال له » .. فكانت هذه الابيات هجاءً لابي بعرة .

(٨)

(متقارب)

١ ـ فإن تك يا طلح أعطيتني
عذافرةً تستخفُ الضفارا
٢ ـ فما كان نفعك لي مرّةً
ولا مرتين ولكن مرارا
٣ ـ أبوك الذي صدّق المصطفى
وسار مع المصطفى حيثُ سارا

٤ ـ وأمك بيضاء تيمية
إذا نُسِبَ الناس كانت نُضارا

التخريج : نسب قريش / ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، المُحبر / ١٥٢ ، البيان والتبيين ٣ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥ (الاول والثاني) .

ـ ويُنظر المنمق لابن حبيب ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

(١) ـ (وإنْ) بدلًا من (فإن) في نسب قريش والمحبر .

العذافرة : الناقة الشديدة العظيمة ، الضفارا : الضفيرة التي تشدّ بها الناقة . وروي عجز البيت في البيان : « جمالية تستخفّ السفارا » والجمالية : الناقة ، والسفارا : حبل يشدّ طرفه ، على خطام البعير .

(٤) المقصود بالتيميّة هي عائشة بنت طلحة بن عبدالله التيمي .

أجمعت مصادر التراث التي ذكرت هذه الابيات أنّ الحزين الكناني (الديلي) قالها في طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق (رض) وكان معطاءً .

(٩)

(طويل)

١ ـ لحا اللهُ من قريش تحالفوا
على البُخل بالمعروف والجودِ بالنكْرِ
٢ ـ فصاروا لخلق الله في اللؤم غاية
بهم تضرب الأمثال في النثر والشعرِ
٣ ـ فيا عمرو لو أشبهت عمراً ومصعبا
حُمِدتَ ولكنْ أنت منقبضُ البشرِ
٤ ـ بني أسدٍ، سادتْ قريش بجودها
معاً وسادتكمْ مقدَ يدَ الدهرِ
٥ ـ تجود قريشٌ، بالندى ورضيتم
بني أسد باللؤم والذلّ والغدرِ
٦ ـ أعمرو بن عمرو، لست ممن تعدّه
قريشٌ إذاً ما كاثروا الناس بالفخرِ
٧ ـ ابتْ لك يا عمرو بن عمرو دناءةٌ
وخلق لئيم أن تريش وأن تبري

التخريج : الاغاني ١٥ / ٣٣٩ .

(٤) يَد الدهر : طول الدهر .

(٦) ما كاثروا الناس بالفخر : الادعاء بالفخر باطلًا .

ـ ذكر الاصفهاني في أغانيه فقال : لقي شبان من ولد الزُّبير الحزينَ ، فتناولوه بالسنتهم وهمّوا بضربه ، فحال بينهم وبينه ابن

لمصعب بن الزبير، فقال الحزين يهجوهم، ويهجو جماعة من بني أسد ابن عبدالعزي سوى بني مصعب الذين منعوهم منه.

(١٠)

(وافر)

١ - حَلَفتُ وما صَبَرتُ على يَمينٍ
ولو أُدعى الى ايمانِ صَبرِ

٢ - بِرَبِّ الراقصاتِ بِشُعثِ قومٍ
يُوافونَ الجمارَ لصُبحِ عشرِ

٣ - لوَ أنَّ اللؤمَ كانَ مع الثريّا
لكانَ حليفَهُ عُمرو بْنُ عمرو

٤ - ولو أنّي عَرفتُ بأنَّ عمراً
حليفُ اللؤمِ ما ضيَّعتِ شِعري

التخريج: المعارف (البيت الثالث) / ٢٢١، الاغاني ١٥ / ٣٣٦.

(٢) الراقصات: الإبل ترقص في سيرها.

شُعث: جمع أشعث وهو المغبّر الرأس / مختار الصحاح / شعث ٣٣٩.

- يروي صاحب الاغاني أنّ الحزين دخل (على عمرو بن عمرو بن الزُّبير بن العوام منزله: فامتدحه وساله حاجةً. فقال له: ليس الى ما تطلبُ سبيل، ولا نقدر أنْ نملا الناس معاذير، وما كلُّ من سألنا حاجة استحقَ أنْ نقضيها، ولرُبّ مُستّحق لها قد منعناه حاجته. فقال الحزين: أفمِن المستحقين أنا؟ قال: « لا والله، وكيف تكون مستحقاً لشيءٍ من الخير وأنت تشتم أعراض الناس وتهتك حريمَهم، وترميهم بالمعْضِلات، إنّما المستحق من كفّ أذاه، وبذل نداه، ووقم - بمعنى قهر - أعداه. فقال له الحزين: أفمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تُبعدني لا امّ لك من هذه المنزلة وأفضلَ منها! فوثب الحزين من عنده وأنشا يقول: الأبيات..

(١١)

(طويل)

١ - هِلالُ بن يحيى غُرَّةٌ لاخفا بها
على الناس في عُمرِ الزمانِ ولا اليُسرِ

٢ - وسعدُ بن ابراهيم ظفرُ موسَّخٌ
فهل يستريحِ الناسُ من وسَخِ الظفرِ

التخريج: الاغاني ١٥ / ٣٤٠.

قال صاحب الاغاني إنّ الحزين قالها لهلال بن يحيى بن طلحة.

(١٢)

(متقارب)

١ - عَلَيْكَ السَّلامُ أبا جَعْفرٍ
ولَستُ بِهِسرٍ لَدى المَخْضَرِ

التخريج: محاضرات الادباء ٢ / ٤.

ذكر الإصبهاني في كتابه ما نصه: « دخل الحسن بن الكناني على عبدالله بن جعفر فانشده .. البيت. فقال أخطات، حييتني بتحية الموتى وقد امكنك أن تقول: سلام عليك أبا جعفر ».

● والإسم قد حدث فيه تحريف، ربما يعود للنُساخ. والصحيح هو الحزين الكناني لان رواية الاغاني وغيرها من كتب التراث تؤكد العلاقة بينهما وخاصة بعد ان اكرمه.

(١٣)

(متقارب)

١ - تبَغَين الجِقابَ وبطنَ بُرَمٍ
وقُنّعَ من غجاجتهنّ ضَارِ

التخريج: معجم البلدان (برم) ١ / ٤٠٣.

١ - البُرَم: موضع بين ضرية والمدينة.

نسب ياقوت الحموي البيت الى الكناني دون ذكر اسمه، ولكون المكان قريب من المدينة والتي عاش بها الحزين، فإني رأيت نسبته اليه دون غيره.

(١٤)

(بسيط)

١ - ما بالُ سِنّيكَ أمْ ما بَالُ كَسرِهِما
أهكَذا كُسِرا في غيرِ ما بَاسِ

٢ - ام نَفْخةٌ من فتاةٍ كنتَ تَالَفُها
أم نالها وسط شربٍ صدمة الكاسِ

التخريج: الاغاني ١ / ٢٣١.

قال صاحب الاغاني أنّ عمر بن أبي ربيعة قد خرجت اليه امرأة فضربته بظاهر كفّها، فاصابت الخواتيم - وكان النساء إذ ذاك يتختمن في أصابعهن العشر - ثنيته العُليين وكادت تسقطان، فقدم البصرة فولجتا، فثبتتا واسوّدتا، فقال الحزين الكناني يُعيّره بذلك...

(١٥)

(منسرح)

١ - هَلّا شهيلًا أشبهتَ أو بعض أعما
مكَ يا ذا الخلائقِ الشكسة

٢ ـ ضُيِّعت نَـدمـانـك الكـريمَ ولم تُشـ
ـفِقْ عليـــه من ليلـةٍ نَحِيسَـة
٣ ـ ثم تعـــالَلتَ إذ أتـــاك لــــه
صُبحـاً رســولٌ بعلـةٍ طِلفِسـة
٤ ـ لكنّ سفيـــانَ لم يكن وَكِــلاً
لمـا أتتنــا صِـلاتـهُ سَلِسَـة
٥ ـ سمـا بـــه أروعٌ ونفسُ فتىً
أروعَ ليست كنفســك الـدنِسَـة

التخريج : الاغاني ١٥ / ٣٢١ .
(٣) الطفسة : القذرة .
(٤) الوَكِل : الضعيف العاجز الذي يتكل على غيره .
ـ قال الإصفهاني في مناسبة النص : إنّ الحزين الكناني خرج مع ابن لسهيل بن عبدالرحمن بن عوف ، الى متنزه لهم ، فسكر الحزين وانصرف ، فبات في الطريق وسُلِب ثيابه ، فارسل الى سُهيل يخبره الخبر ويستمدحه فلم يمدحه ، وبلَغ الخبر سفيان بن عاصم بن عبدالعزيز بن مروان ، فارسل اليه بجميع ما يحتاج اليه ، وعوّضه ثمن ثيابه ، فقال الحزين في ذلك : الابيات .....

(١٦)

(طويل)

١ ـ كُـلُّ قُـرَيش قـد حَبَـاني بِنِعمـةٍ
وأحسَنَ إلّا ثـــابتَ بـنَ سِـبـاعِ
٢ ـ فَجِينُ لئيمٌ لا يقــوم بَيتُـه
وليس بـذي فضــل ولا بشُجــاعِ

التخريج : ذيل أمالي القالي / ١٠٠ .
ذكر القالي في أماليه : قال الزبير ، قال الحزين لثابت بن سباع بن عبدالعزيز حليف بني زهرة .

(١٧)

(بسيط)

١ ـ لا بــاركَ الله في كعبٍ ومجلسهم
مــاذا تجمَّـعَ من لـؤمٍ ومن ضَـرَعِ
٢ ـ لا يَـدرسُــون كتـابَ الله بينهم
ولا يصــومـون من حِـرصٍ على الشبـعِ

التخريج : الاخبار الموفقيات / ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ، الاغاني ١٥ / ٣٢٢ .

(١) (يُجَمّع) بدلًا (تَجمّع) في الاخبار الموفقيات .
الضَرَع : الذل والمهانة .
ـ قال الإصبهاني في أغانيه : حدثنا الصولي ـ قال« مرّ الحزين الدُّيلي على مجلس لبنيْ كعب بن خُزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال ـ الابيات . فوثب اليه مشايخهم فاعتذروا منه ، وسالوه الكفّ وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله فاجابهم وانصرف .

(١٨)

(بسيط)

١ ـ لا تُـــزرِعَنَّ من الخــلائق جـدولًا
هيهـــات إنْ رُبعَتْ وإنْ لمْ تُـــربـــغ
٢ ـ أمـا إذا جـاد الـربيـع لبئرهـا
نُـــزحت ، وإلا فهي قـــاعٌ بَلقَـــعُ
٣ ـ هـــذي الخلائق قـد أطرّتْ شِرارهـا
فلئن سلمتُ لا فُـــزرَعَنَّ لِيَنْبُـــعُ

التخريج : معجم البلدان (جرم) ٢ / ٣٨١ .
قال ياقوت الحموي في معجمه ، كان لعبدالله بن احمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بنواحي المدينة ، فقال بها الحزين الدّؤلي . (الديلي) .

(١٩)

١ ـ شَـرُّ ابنِ عمـرو حـاضِـرٌ لصـديقـه
وخَيـر ابن عمـرو بـالثـريّـا معلَّقُ
٢ ـ ووجـهُ ابن عمـرو بـاسـرٌ إنْ طلبته
نَـوالًا إذا جـادَ الكـريم المـوفَّقُ
٣ ـ فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غَـدتْ
كتـائب هيجـاء المنيّـة تبـرقُ
٤ ـ فـلا زال عمــروٌ للبـلايـا دريّـةً
تبـاكِـره حتّى يمـوت وتطــرقُ
٥ ـ يهـزّ هـريـرَ الكلب عمـروٌ إذا رأى
طعـامـاً فمـا ينفـكُّ يبكي ويَشهقُ

التخريج : الاغاني ١٥ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .
(٢) باسر : كالح .
(٣) الدريّة : مَسهل أو لين يُنظر مختار الصحاح (دري) ص ٢٠٤ .
تطرق : تجيئه ليلًا .
هذه الابيات ، وأبيات اخرى هي ما هجا به الحزين عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام بعد أن مدحه وساله حاجة فلم يجبه .

وذكر صاحب الاغاني أنّ محمد بن مروان الذي أجزل له العطاء بعد أن مدحه طلب منه أن يكفّ عن هجاء عمرو، فقال الحزين: لا والله ولا بُحْمر النَّعم وسُودها، لو أعطيتَها ما كففتُ عنه، لانه ما علمت كثيرُ الشرِّ، قليل الخير، متسلّط على صديقه فظّ على أهله «وخير ابن عمرو بالثريا معلق». فقال له محمد بن مروان: ـ هذا شعر، فقال الحزين: بعد ساعة يصير شعراً، ولو شئت لعجّلته ثمّ قال: ـ الابيات ـ.

(٢٠)

(طويل)

١ ـ فما كانَ من شاني وشان ابن نوفل ... وشــان بكــائي نَــوْفَــل بن مُسَــاحق
٢ ـ بلى إنهـا كـانت سوابق عبـرة ... على نَـوْفَـل من كـاتب غَيْـرَ صـابق
٣ ـ فَهـلا على قبر الـوليـد بَكيتمَـا ... وقبـــر سليمـــان الـــذي دُونَ دَابق
٤ ـ وقَبْـــر أبي حَفص أخي وأخيكمـــا ... بَكَيْتُ بحُـــزنٍ في الجـــوانـــح لاصق

التخريج: ذيل الامالي / ١٠٠.

(٣) يعني بالوليد وسليمان إبني عبدالملك بن مروان. دابق: بكسر الباء وقد روي بفتحها قرية قرب حلب. معجم البلدان ٢ / ٤١٦.

(٤) أراد بأبي حفص عمر بن عبدالعزيز. وقيل أراد بأبي حفص سَهْل بن عمرو بن عبدالرحمن بن عمرو بن سهيل العامري. والرأي الأول أقرب الى معنى النصّ.

ويريد بقوله أخي واخيكما يزيد بن عبدالملك.

ـ قال القالي في الذيل: كان الحزين ساله سليمان بن نوفل بن مساحق أن يرثي أباه نوفلًا، ففعل، فلم يُثِبْهُ شيئاً ـ فقال الحزين: ـ

(٢١)

(طويل)

١ ـ إذا لم يكنْ للمـرء فضـلٌ يَـزِينُـه ... سِـوى ما ادَّعَى يـومـاً فليس لـه فَضـلُ
٢ ـ وتَلْقَى الفتى ضخمــاً جميـــلا رواؤه ... يَـرُوعـك في النّـادي وليس لـه عقـلُ
٣ ـ وآخـرُ تنبـو العين عنـه مهـذّب ... يجـــود إذا مـــا الشُّحّ نَهْنَهَـهُ البخـلُ
٤ ـ فيــا راجيـاً عمـرو بن عمـرو وسيبَـه ... أتعـرف عمـراً أم أتـاهُ بــك الجهـلُ
٥ ـ فإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطيء الفتى ... وإنْ كنتَ ذا حـزم إذاً حـارت النبـلُ
٦ ـ جهلتَ ابن عمـرو فالتمس سيبَ غيـره ... ودونـك مـرمىً ليس في جِـدِّه هـزلُ
٧ ـ عليـك ابنَ مـروان الاغـرَّ مُحمَّـداً ... تجـدْه كـريمـاً لا يطيش لـه نَبْـلُ

التخريج: الاغاني ١٥ / ٣٣٧، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون / ٣٤ (٢ ـ ٣).

(٣) (جِنّتُه) بدلًا من (نهنه) (نَهْنَه) في التمام.

(٤) أي أتى بك الجهل اليه.

(٥) حارت النبل: أي ضلت سِهامك سبيل القصد.

قدّم الاصبهاني للنص قوله إنّ الحزين هجا عمرو ومَدَحَ محمد بن مروان بن الحكم.. فلما أنشد الحزين محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم.

(٢٢)

(طويل)

١ ـ لعمـرك مـا عمـرو بن عمـرو بماجـدٍ ... ولكنّـــه كـــزُّ اليـــدين بخيـــلُ
٢ ـ ينـام عن التقـوى ويُـوقِظه الخنـا ... فيخبطُ أثنـــاء الظـــلام يجـــولُ
٣ ـ فـلا خيـرَ في عمـرو لجـارٍ ولا لـه ... نِمـــامٌ ولكنْ للئـــام وصـــولُ
٤ ـ مـواعيـدُ عمـرو تُـرّهـاتٌ ووجهُـه ... على كـلِّ مـا قـد قلت فيـه دليـلُ
٥ ـ جبـــانٌ وفحـــاشٌ لئيمٌ مُـــذمَّمٌ ... وأكـــذبُ خَلْق الله حين يقـــولُ
٦ ـ كـلام ابنِ عمرو صُـوقـةٌ وسطَ بَلقع ... وكفُّ ابن عمـرو في الـرّخـاء تطـولُ
٧ ـ وإنْ حـزّبتـه الحـازبـاتُ تَشنّجتْ ... يـداه ورمـحٌ في الهيـاج كليـلُ

التخريج: الاغاني ١٥ / ٣٣٨.

ـ قال الاصبهاني: قال الحزين الدِّيلي يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير ـ فبلغ شعره عمراً فقال: ما له لعنه الله، ولعن من ولده، لقد هجاني بنية صادقة ولسان صنع ذَلق، وما عداني الى غيري. قال: فلقي الحزين عروة بن اذينة الليثي فأنشده هذه الابيات فقال له: وَيْحَك بعضها كان يكفيك، فقد بذّيتها ولم تُقم

أودها وداخلتها وجعلت معانيها في أكمتها . قال الحزين : ذلك والله أزغب للناس فيها . فقال له عروة : خيرُ الناس من خلم عن الجّهال ، وما أراه إلا قد خلم عنك . فقال الحزين : خلم والله علي شاء أو أبى ، برغمه وصَغره » اي بذلة ومهانة .

(٢٣)

(طويل)

١ ـ أتيتُ هـــلالًا أرتجي فَضْـلَ سَيبِـه
فـــأفلتَني ممّـــا أحبُ هِـــلالُ

٢ ـ هــلال بن يحيى غُـرّةٌ لا خفـا بهـا
لكـــلُ أنـــاسٍ غُـــرّةٌ وهِـــلالُ

التخريج : الاغاني ١٥ / ٢٤٠ .

ذكر الاصبهاني في كتابه أنهما قيلا في هلال بن يحيى بن طلحة .

(٢٤)

(بسيط)

١ ـ كـــأنمـــا خُلقَتْ كفّـــاه من حَجَـــرٍ
فليسَ بين يـــديـــه والنّـــدى عَمَـــلُ

٢ ـ يَـــرى التيَمّم في بَـــرٍّ وفي بَحـــرٍ
مخـــافـــةً أن يُـــرى في كفّـــه بلَـــلُ

التخريج : الاخبار الموفقيات / ٣٧٧ ، أمالي القالي ١ / ٤٨ ، روضة العقلاء / ٢٤١ ، المؤتلف والمختلف (الامدي) / ٨٩ ، سمط اللالي (الاول فقط) ١ / ١٩٤ شرح مقامات الحريري ١ / ١٥٧ ، لسان العرب (حزن) ١ / ٦٢٨ ، تاج العروس (حزن) ٩ / ١٧٥ .

ـ نسبة النص :ـ في الأخبار الموفقيات والمؤتلف والمختلف ولسان العرب وتاج العروس نُسب للحزين الدئلي (الكناني) . وفي شرح مقامات الحريري وأمالي القالي وسمط اللالي لجرير الديلي وهو تحريف وقع لاسم الحزين يؤيد ما ذهبتُ اليه المرحوم الاستاذ عبدالعزيز الميمني في تحقيقه للسمط . أمّا في روضة العقلاء فكان النص دون نسبة وهما في الهجاء .

(٢٥)

(وافر)

١ ـ إذا مـــا كنتَ مُفتخـــراً بجَـــدٍ
فعـــرِّج عن أبي لهبٍ قليـــلا

٢ ـ فقـــد أخـــزى الإلـــه أبـــاك دهـــراً
وقلّـــد عِـــرســـه حبـــلا طـــويـــلا

التخريج : الاغاني ١٦ / ١٧٧ .

قال الإصبهاني في أغانيه : وحدثت أنَّ الحزين الدّيلي مرّ بالفضل (بن العباس) يوم جمعة ، وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين : أتنشد الشعر والناس يذهبون الى الصلاة ؟ فقال الفضل : ويْلَك يا حزين ! أتتمرض لي ، كأنك لا تعرفني ، قال : بلى والله ، إني لاعرفك ويعرفك معي كل من قرأ سورة (تبّت يدا أبي لهب » وقال يهجوه :ـ فاعرض عنه الفضل ، وتكرم عن جوابه وكان الحزينُ مُغرى به وبهجائه .

(٢٦)

(طويل)

١ ـ فلَمـــا تَـــرَدّى بـــالحمـــائـــل وانثنى
يَصـــولُ بـــأطـــراف القَنيّ الـــذّوابـــلِ

٢ ـ تيقّنتِ الأعـــــداءُ أنّ سِنـــــانَـهُ
يُطيـــلُ حَنينَ الأمهـــاتِ الثّـــواكـــلِ

٣ ـ تُبيِّن ـ فيـــــه ميْسَم العِـــــزّ والتقى
وليـــداً يُفـــدّي بين أيـــدي القـــوابـــلِ

التخريج : أمالي المرتضى ١ / ٤٦٢ ـ ٤٦٣ ، الحماسة الشجرية ١ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

(١) « ولَما » بدلًا من (فلما) في الحماسة الشجرية .

« القنا والذّوابل » بدلًا من « القَني الذّوابل » في الحماسة .

(٢) « تيقّنت » بدلًا من « تبيّنت » في الحماسة .

ـ هذه الابيات قالها الحزين في رثاء زيد بن علي بن الحسين (رض) .

يرى الشريف المرتضى في أماليه أنّ ابن هَرْمة أخذ قوله :

« ولا كذبت فيك الرّجاءَ القَوابلُ » من قول الحزين الكناني :ـ

فلمـــا تـــردّى بـــالحمـــائـــل وانثنى
يَصـــولُ بـــاطـــراف القَنى الـــذّوابـــلِ

وصدر بيت ابن هرمه ، فاقسِمُ ما أبكى زنادك قادحٌ .

ـ ينظر ديوان ابراهيم بن هرمة / ١٦٨ .

(٢٧)

(طويل)

١ ـ لَعمـــرُكَ لا يـــاتي وان كـــانَ مُغـــرقـــاً
.. الـــزِّنـــج عُثمـــانُ بن عمـــرو بطـــائـــلِ

٢ ـ ولـــو تعلمُ الصّفـــراء أنـــكَ رَبُّهـــا
بَكَتْ أسفـــاً منهـــا العـــذاق الاطـــاولُ

التخريج : نسب قريش / ١١٢ ـ ١١٣ .

(١) حذفت كلمة من الشطر الثاني لكونها غير لائقة .
(٢) في البيت اقواء .

(٢٨)

(طويل)

١ - ومـــا زالَ يَنْمـــوُ جعفــرُ بنُ مُحمّــدٍ
إلى المجـــد حتّى عَبَهلْتـــه عـــواذِلُـــه

٢ - وقُلن لـــه هَـــلْ مِن طـــريفٍ وتـــالـد
من المـــالِ إلّا أنت في الحقّ بـــاذلُـــه

٣ - يُحـــاولنَـــه عن شيمـــةٍ قـــد علِمتهـــا
وفي نفســـه أمـــرٌ كـــريمٌ يُحـــاوِلُـــه

التخريج : الاغاني ١٥ / ٣٢٤ .

(١) عبهلته : تركته وأهملته .

(٢) الحقّ : ما يحق على المرء ويجب . والقصد واحد الحقوق . قال الاصبهاني : « مرّ الحزينُ على جعفر بن محمد ابن عبدالله بن نوفل بن الحارث ، وعليه أطمار ، فقال له : يا ابن أبي الشعثاء ، الى أين أصبحت غادياً ؟ قال : أمتع الله بك ، نزل عبدالله بن عبدالملك الحرّة يريد الحجّ ، وقد كنت وفدت اليه بمصر فاحسنَ إليّ ، قال : أفما وجدتَ شيئاً تلبسهُ غير هذه الثياب قال : قد إستعرت من اهل المدينة فلم يُعرني أحد منهم غير هذه الثياب ، فدعا جعفر غلاماً فقال : ائتني بجبّه صوف ، وقميصٍ ورداء ، فجاء بذلك فقال : أبْلِ وأخلِق . فلما ولّى الحزين ، قال جلساء جعفر له : ما صنعتَ ؟ إنّه يعمد الى هذه الثياب التي كسوتَه إياها فيبيعها ، ويُفسد بثمنها ، قال : ما أبالي أذا كافاتهُ بثيابه ما صنع بها . فسمع الحزين قولهم وما رَد عليهم ، ومضى حتّى أتي عبدالله بن عبدالملك فاحسن اليه وكساه . فلما أصبح الحزين أتي جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشده :- (الابيات) ثمّ قال له : بابي أنت وامّيَ ، سمعتُ ما قالوا وما ردتُ عليهم .

(٢٩)

(بسيط)

١ - الله يعلمُ أنْ قـــــد جُبت ذا يمنٍ
ثمّ العـــــراقَين لا يثنيني الســـــأمُ

٢ - ثُمّ الجـــزيـــرة أعـــلاهـــا وأسفلهـــا
كـــذاك تَسـري على الاهـوال بي القـدمُ

٣ - ثُمّ المـــواسِمَ قـــد أوطنْتُهـــا زمنـــاً
وحيث تَحلقُ عنـــد الجمـــرة اللِّمَمُ

٤ - قـــالـــوا بمشقَ يُنبّيك الخبيـــرُ بهـــا
ثم ائت مصـــرَ فثمّ النـــائـــلُ العَمَمُ

٥ - لمّـــا وقفت عليهـــا في الجمـــوع ضُحىً
وقـــد تَعـــرضت الحُجـــابُ والخَـــدَمُ

٦ - حَيّيتـــه بســـلام وهـــو مـــرتَفِقٌ
وضَجّـــةُ القـــومِ عنـــد البـــاب تَـــزدحمُ

٧ - في كفّـــه خيـــزران ريحهـــا عَبِقٌ
من كفّ أروعَ في عِـــرنينـــه شممُ

٨ - يُغْضِي حيـــاءً ويُغضَى مِنْ مَهـــابتـــه
فمـــا يكلّم إلا حينَ يبتسمُ

٩ - تـــرى رؤوس بني مَـــروان خـــاضعـــةً
يمشُـــون حـــولَ ركابَيـــهِ ومـــا ظُلمـــوا

١٠ - إنْ هَشّ هشّوا لـــه واستبشـــروا جذلًا
وإنْ هُم آنســـوا إعـــراضـــه وجَمـــوا

١١ - كلتـــا يـــديـــه ربيـــعٌ عنـــد ذي خُلفٍ
بحـــرٌ يَفيض وهـــادِي عـــارضٍ هـــزِمُ

التخريج : ديوان الحماسة / ٥٣٠ (٧ - ٨) ، نسب قريش / ١٦٤ (٧ - ٨) ، الاخبار الموفقيات / ٦٣٤ (٧ - ٨) ، الشعر والشعراء ١ / ٦٥ (٧ - ٨) ، مكارم الاخلاق / ٥٤ (٧ - ٨) تهذيب اللغة ٦ / ٧٣ (٨ فقط) ، الف باء البلوي ٢ / ٣٠٠ (٧ - ٨) ، نقد الشعر / ١٠٧ - ١٠٨ (٥ / ٦ / ٧ / ٨ / ١١) الاغاني ١٥ / ٣٢٨ - ٣٢٩ (٥ / ٦ / ٧ / ٨ / ١١) وكرر (٧ - ٨) في ١٥ / ٣٢٢ - ٣٢٥ ، وفي ٢١ / ٣٧٦ (٧ - ٨) ، المؤتلف والمختلف / ٨٨ - ٨٩ (٥ / ٦ / ٧ / ٨) ، الموازنة بين الطائيين ٢ / ٣٦٦ (٨ فقط) ، أمالي المرتضى ١ / ٦٨ (٨ فقط) ، العمدة ٢ / ١٣٨ (٧ - ٨) ، زهر الاداب ١ / ١٠٥ (٧ - ٨ - ١١) ، المحاسن والمساوىء / ٢١٢ (٧ - ٨) ، بهجة المجالس ٢ / ٥٩٣ (٨ فقط) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤ / ١٦٧ - ١٦٩ (٧ - ٨) ، محاضرات الادباء ٤ / ٣٧٦ (٨ فقط) البديع في البديع / ٤٠٨ (٧ - ٨) ، لباب الاداب / ١٠٨ (٧ - ٨) ، شرح مقامات الحريري ١ / ١٩٣ (٧ - ٨) ، تحرير التحبير / ٢٨٢ ، ٢٩٢ (٥ / ٦ / ٧ / ٨ / ١١) ، وفيات الاعيان ٦ / ٩٥ - ٩٦ (٧ - ٨ / ١١) ، لسان العرب (حزن) ١ / ٦٢٨ (٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .) ، شرح شواهد المغني ٢ / ٧٣٥ (٧ - ٨) ، انوار الربيع ٤ / ٣٥ - ٣٩ (٨) وجزء من (١١) تاج العروس (حزن) ٩ / ١٧٥ - (٧ - ٨) وكرر (٨) في مادة (خزر) ١١ / ١٥٩ .

اختلاف رواية الابيات .

(٥) - (عليه) بدلًا من (عليها) في نقد الشعر

والمؤتلف والتحرير وزهر الآداب . (وعليهم) في لسان العرب)
(٦) - (الناس) بدلًا من (القومْ) في التحرير .
(٧) - (بكفه) بدلًا من (في كفه) في مكارم الأخلاق .

(في كف) بدلًا من (من كف) في نقد الشعر والمؤتلف وزهر الآداب واللسان (نشره) بدلًا من (ريحها) في لباب الآداب . و (ريحه) في التاج والمحاضرات . و (من نشر أبيض) بدلًا من (من كف أروع) في نسب قريش .

ويروى صدر البيت في التهذيب : بكفّه جُهنيُّ ريحه عبقٌ .
(٨) - (فلا يكلم) بدلًا من (فما يكلم) في شرح المقامات وشرح شواهد المغني والوساطة وبهجة المجالس . و (لايتكلم) في انوار الربيع .

(١١) - يروى البيت في نقد الشعر .

كلتـا يـديـه ربيـع غيـر ذي خلف
هـذي خـروج وهـذي عـارض هَمُ

وفي وفيات الأعيان .

كلتـا يـديـه غيـاث عمّ نفعهمـا
تستـوكفـان ولا يعـروهمـا عـدمُ

ولا تختلف الرواية في انوار الربيع عمّا جاء في الوفيات إلا في (العدم) بدلًا من (عدم) .

اللغة :-

(٦) - مُرتفق : متكىء على مرفقه .
(٧) - أروع : الأروع ، الشجاع .
العرنين : الأنف ، والشمم هنا : الأنفة والعزة .
(١١) - الهادي : المقدّم .
العارض : السحاب الذي يعترض الأفق .
الهزم : يقال غيث هَزِم : اي لا يستمسك كانه منهزم عن مائه - ينظر لسان العرب (هزم) ٣ / ٨٠٥ - والدلالة انه كريم ، معطاء .

نسبة الأبيات :-

١ - للحزين الكناني في الأغاني ونقد الشعر والمؤتلف والمختلف وتحرير التحبير وزهر الآداب ولسان العرب ومكارم الأخلاق ونسب قريش والأخبار الموفقيات وديوان الحماسة والعمدة ، وشرح شواهد المغني ، وتاج العروس ، والوساطة بين المتنبي وخصومه ، والموازنة بين الطائيين .
٢ - للفرزدق في وفيات الأعيان وديوان الحماسة والعمدة وشرح مقامات الحريري ، والف باء البلوي ، والمحاسن والمساوىء ، وانوار الربيع وأمالي المرتضى وبهجة المجالس .
٣ - للفين المنقري في العمدة .
٤ - لداود بن سلم في العمدة .
٥ - لخالد بن يزيد في الأغاني .
٦ - لأبي دهبل في محاضرات الأدباء .
٧ - للمتوكل الليثي في لباب الآداب .
٨ - دون نسبة في الشعر والشعراء والبديع في البديع والكامل في اللغة ومحاضرات الأدباء .

قيلت في :-

١ - عبدالله بن عبدالملك بن مروان في الأغاني ونقد الشعر والمؤتلف والمختلف وزهر الآداب ولسان العرب ونسب قريش والأخبار الموفقيات وتاج العروس (حزن) .
(٢) علي بن زين العابدين (رض) في وفيات الأعيان وديوان الحماسة والعمدة وشرح الحماسة للتبريزي وانوار الربيع وأمالي المرتضى وتاج العروس (خزر) .
٣ - عبدالعزيز بن مروان في الأغاني ومكارم الأخلاق ولباب الآداب .
٤ - قثم بن العباس في الأغاني والعمدة .
٥ - في بعض بني أمية في الشعر والشعراء .
٦ - في بعض بنيه في ديوان الحماسة .
٧ - دون ذكر . في البديع ومحاضرات الأدباء ، والف باء البلوي ، والمحاسن والمساوىء ، وتهذيب اللغة وبهجة المجالس ، وتحرير التحبير .

نسبة النص للحزين :

هذه الميمية التي تتداخل مع قصائد أخرى لختلف شعراؤها ومن قيلت فيهم حتى أشكل على الرواة قديماً فكُ هذا التداخل وأثر على المعاصرين من المحققين القطع في القصيدة عامة وهذين البيتين خاصة .

في كفـه خيـزران ريحهـا عبق
من كفّ اروع في عـرنينـه شمم
يُغضي حيـاءً ويُغضَى من مهـابتـه
فمـا يكلّم الا حين يبتسمُ

ومردّ هذا اللبس هو القافية الواحدة والوزن ايضاً وسياق المعنى في أبياتها . اقول من هؤلاء المعاصرين د . حفني محمد شرف محقق كتاب ابن أبي الاصبع المصري (تحرير التحبير في صناعة الشعر/ ص ٤٨٢) الهامش فلا يقطع برأي ، انما يعرض لهذا التداخل مبيناً مطلع القصيدة المختلف في قائلها وممدوحها وفاته ما قاله صاحب الاغاني بنسبة هذين البيتين للحزين الكناني .

فإذا حاولنا أن نقطع بنسبة النص للحزين فإننا نستند الى خمسة ادلة :-

الأول : قدّم الاصبهاني للقصيدة قائلاً : « والصحيح أنها للحزين في عبدالله بن عبدالملك وقد غلط ابن عائشة في ادخاله البيتين في تلك الابيات ، وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة ، تنبيء عن نفسها » .

وابن عائشة هذا هو: عبيدالله بن محمد بن حفص (الإبن) يقال له ابن عائشة نسبة الى عائشة بنت طلحة ، ت / ٢٢٨ هـ (ينظر البيان والتبيين ١ / ١٠٢ ، الحيوان ٢ / ١٢ ، المعارف/٤٥٣ ، ٥٠٣) .

يُزيد الاصبهاني قائلاً (الاغاني ١٥ / ٣٢٥) (والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن ابي طالب (رض) التي أولها :

هــذا الــذي تعـرف البطحــاء وطـأتــه
والبيتُ يعــرفــه والحِــلُّ والحــرمُ

وهو غلط ممن رواه فيها . وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المُتعالم ما ليس لاحد).

لكن الملاحظ على الاصبهاني أنه درج هذين البيتين ضمن قصيدة الفرزدق نفسها في مدحه لعلي بن الحسين (رض) « الاغاني ٢١ / ٣٧٦ » . وربما يعود ذلك الى وهم وقع فيه أو سهو ، وقد يكون للنساخ يد في هذه الاضافة !

الثاني : أخرج الزبير بن بكار في الاخبار الموفقيات / ٦٣٤ عن مصعب بن عبدالله : أن إبن عبدالملك بن مروان حجّ فقال له أبوه : إنه سيأتيك بالمدينة الحزين الشاعر وهو ذرب اللسان ، فاياك أن تحتجب عنه وارضه . فلما قدم المدينة أتاه ، فلما دخل عليه ورأى جماله ، وفي يده قضيب خيزران وقف ساكناً ، فامهله عبدالله حتى ظنَّ أنه قد أراح ، ثم قال له : السلام - رحمك الله - اولاً ، فقال : عليك السلام ، وجه الامير ، أصلحك الله ، إني قد كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك رهبتُك ، فانسيت ما قلت ، وقد قلت في مقامي هذا بيتين . قال : ما هما ؟ فقال :

في كفــه خيــزرانٌ ريْحهــا عبقٌ
من كف أروعَ في عــرنينـــه شممُ
يُغضي حيــاءً ويُغضى من مهــابتــه
فــلا يُكلَّم إلا حين يبتسمُ

بهذه الحكاية يرويها صاحب الاغاني (١٥ / ٣٢٤) مع اختلاف يسير يتلاءم وطريقة الاصبهاني في كتابه .

الثالث :- علق الاستاذ أحمد محمد شاكر محقق كتاب ابن قتيبة (الشعر والشعراء) وهو ينسب هذين البيتين للحزين الكناني فقال : والبيتان ايضاً ضمن أبياته في المؤتلف .. وكذلك نسبهما المصعب الزبيري في (نسب قريش) للحزين الكناني والمصعب من أقدم المؤلفين وكتابه من المصادر الاولى المعتمدة . (ينظر الشعر والشعراء ١ / ٦٤) الهامش . علماً بأن ابن قتيبة قال عنهما في المصدر نفسه : لم يُقل في الهيبة شيء أحسن منه « الشعر والشعراء ١ / ٦٥ .

الرابع : اجماع من استشهد بابيات هذه القصيدة أنها للحزين قالها في عبدالله بن عبدالملك وان اختلفوا في المكان ، المدينة أو مصر ، ومنهم قدامة بن جعفر والمصعب الزبيري والآمدي والإصبهاني صاحب الاغاني وابو اسحاق الحصري . القيرواني وابن رشيق وابن منظور ومرتضى الزَّبيدي وهو ما يؤيد ما ذهبنا اليه .

الخامس : لم يُذكَر البيتان في شرح ديوان الفرزدق بتحقيق عبدالله الصاوي (ص ٨٤٨ - ٨٤٩) الذي نشر فيها ستة ابيات لتحفظ الصاوي على هذه القصيدة وربما لم يجد في مخطوطة الديوان هذين البيتين ، مع العلم أن نشرة ايليا حاوي قد ضمنت هذين البيتين ضمن قصيدة بلغت سبعة وعشرين بيتاً (ينظر شرح ديوان الفرزدق ٢ / ٣٥٣ - ٣٥٦) . وهذه الطبعة تجارية اكثر منها علمية .

ويبقى المكان الذي قال فيه الحزين الكناني قصيدته وهو كما قدمت مختلف فيه ما بين الحجاز (المدينة) ومصر . وقد ذكرنا ما أخرجه الزبير بن بكار في اخباره عن مقابلة الحزين في المدينة لعبدالله بن عبدالملك وهو ما ذكره الاصبهاني ايضاً . ونقل الاصبهاني نفسه رواية اخرى عن وفادة الحزين الى مصر ومقابلته عبدالله بن عبدالملك فيها فقال (الاغاني ١٥ /٣٢٩) : وفد الحزين على عبدالله بن عبدالملك ، وفي الرقيق أخوان ، فقال عبدالله للحزين : أيّ الرقيق أعجب اليك ؟ قال : ليختر لي الامير ، قال عبدالله : قد رضيتُ لك هذا - لاحدهما - فإنيّ رأيته حسن الصلاح ، قال الحزين : لا حاجة لي به فاعطني أخاه ، فاعطاه اياه ، قال : والغلامان مزاحم مولى عمر بن عبدالعزيز وتميم ابو محمد بن تميم ، وهو الذي اختاره الحزين ، قال : فقال في عبدالله

يمدحه : الله يعلم ان قد حييت ذا يمن » وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل » .

والذي أراه ما ذكره صاحب الاغاني نفسه في بداية ترجمته « اخبار الحزين ونسبه » (الاغاني ١٥ / ٣٢٣) قائلاً : ولا كان يَريم الحجاز حتى مات » فكيف تكون وفادته مصر أو الشام وهو لم يترك المدينة حسب هذه الرواية ، وعليه فإن الرواية الاولى التي ذكرها الزبير بن بكار في اخباره وكررها الإصبهاني في أغانيه التي تؤكد مقابلة الحزين لعبدالله بن عبدالملك في المدينة ومدحه اياه ، هي الرواية التي تحدد المكان الذي قيلت فيه هذه القصيدة .

(٣٠)

(طويل)

١ - لَقَـــد عَلِقتْ ـ الذِّبَـــابِ كُثَيِّـــراً
أســـــاودُ لا يُطْنِينَـــــــه وأراقمُ

٢ - قصيرُ القميص فــاحشٌ عنــدَ بيتِــه
يَعَضُ القُـــرادِ ـ وهـــو ـقائــــمُ

٣ - ومــــا أنتُمُ منّـــا ولكنكم لنـــا
عَبيــدُ العصا مـــا ابتلَّ في البحــر عــائمُ

٤ - وقـــد عَلم الاقـــوامُ أن بني ـ
خُـــزاعـــة أذنـــابٌ وأنّـــا القَـــوائمُ

٥ - ووالله لـــولا الله ثُم ضِـــزابُنا
بـــأسيـــافنـــا دارتْ عليهـــا المقَـــاسمُ

٦ - ولـــولا بنـــو بكـــر لـــذلّتْ وأهلكتْ
بطعنٍ وأفنتْهـــا السيـــوفُ الصــوارمُ

التخريج : الحيوان ٥ / ٤٤٠ ، البديع / ٦٦ ، الاغاني ٩ / ٧ - ٨ ، شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي ٤ / ١٨٨٠ ، سمط اللآلي ١ / ٦١٣ - ٦١٤ (الاول والثاني) : محاضرات الادباء ٢/ ٢٨٥ ،معاهد التنصيص ٢ / ١٣٧ (الثاني فقط) ، خزانة الادب ٥ / ٢٢٣ - ٢٢٤ (الثاني فقط) وكرره البغدادي في الخزانة ٨ / ٣٨٦ .

- وكرر الاصبهاني في أغانيه ٩/ ١١، ١٥/ ٣٢٣، البيتين الاول والثاني .

(١) - الاساود : الحيات .

لا يُطنينه : لا يبقين عليه ، يقال رماه الله بافعى لا تطني ، أي لا يفلت لديغها .

الاراقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس .

(٢) - « الثياب » بدلًا من « القميص » في سمط اللآلي .

وروي صدر البيت في الحيوان : يكاد خليلي من تقارب شخصه » .

وفي محاضرات الادباء «رأيت خليلي من تقارب شخصه » وفي شرح ديوان الحماسة « أظن خليلي من تقارب شخصه » .

ولهذه الابيات حكايتان يذكرهما صاحب الاغاني دون أن يرجح الواقعة منها من المختلقة فيقول في الأولى : (الاغاني ٩ / ٧) .

« التقى كُثيِّر والحزين الديّلي بالمدينة في دار ابن أزهر في سوق الفدم ، فضمهما المجلس . فقال كُثيّر للحزين : ما أنت شاعر يا حزين ، إنما تُوصل الشيء الى الشيء : فقال له الحزين : أتأذن لي أن أهجوك ؟ قال نعم . وكان كُثيّر قال قبل ذلك وهو ينتسب الى بني الصلت بن النّضر بن كنانه :

أليس أبي بـــالنّضـــر أو ليس إخـــوتي
بكـــلّ هجـــانٍ من بني الصلت أزْهَـــرا

فإن لم تكونـــوا من بني الصّلت فـــاتـــركوا
أراكـــا بـــأذيـــال الخمـــائـــل أخضـــرا

قال : فلما أذِن كُثيّر للحزين أن يهجوه قال الحزين : لقد علقت .. الابيات » .

أما الثانية فيقول :- (الاغاني ٩ / ١٠) ويكررها في (الاغاني ١٥ / ٣٢٣) « كان الحزين الكناني قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر . منهم ابن أبي العتيق . فجاءه لاخذ درهميه على حمارٍ له أعجف .. قال : وكُثيّر مع ابن ابي عتيق - فدعا ابن أبي عتيق الحزين بدرهمين - فقال الحزين لابن أبي عتيق : مَنْ هذا معك ؟ قال : هذا أبو صخر كُثيّر بن أبي جمعه - قال : وكان قصيراً دميماً -

فقال له الحزين : أتأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر ؟ قال : لا لعمري لا آذنُ لك أن تهجو جليسي ، ولكني اشتري عِرضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما فاخذهما ثم قال : لابدّ من هجائه ببيت . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ، ودعا له بهما ، فاخذهما ثم قال . ما أنا بتاركه حتى أهجوه ، قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين . فقال له كُثيّر . أيذن له ، ما عسى أن يقول في بيت ! فاذِن له ابن ابي عتيقٍ فقال :

قصير القميص فاحش عند بيته ... البيت

قال : فوثب كثيّر اليه فلكزه ، ... الخ » .

وكلا الحكايتين فيهما التلفيق اكثر من الواقع ، لان كُثيراً كان معاصراً للحزين ولا يحدث بين شاعرين متعاصرين لقاءً مصنوعاً كهذا . وفات على القدماء حتى عُدّ موقف كهذا امراً مُسلماً به واقعاً فقال البكري في سمطه ما نصه : قول الحزين الكناني وقد جمعه مع كثيّر ، وكان كثير قصيراً لا يبلغ ضروع الإبل ، وكان إذا دخل على عبدالملك قال له : تطاطا لا يُصيب رأسك السقف ،

ولذلك قال له لما رآه: تسمع بالمعيدي ولا أنْ تراه) لقماءته، فقال كثير للحزين: انك لا تحسن ان تهجو، فقال له الحزين: ان أبحث لي أن اقول قلت، قال وما عسى ان تقول، فقال - الابيات، وهو هنا يعتمد الحكاية الاولى لتقديم النص.

(٣١)

(كامل)

١ - نَزْرُ الكلامِ من الحياءِ، تَخالُهُ
ضَمِناً وليس بجسمِهِ سُقْمُ

٢ - مُتَهالِ بِنَعَمْ بلا متباعدٍ
سِيّانِ منه الوَفْرُ والعُدْمُ

٣ - عُقِمَ النساءُ فلنْ يَلِدْنَ شبيهه
إنّ النساءَ بمِثْلِهِ عُقْمُ

التخريج: عيون الاخبار ١ / ٢٧٨ - ٢٧٩، الاشباه والنظائر ١ / ١٣١ - ١٣٢ (١-٢)، ديوان المعاني ١ / ١٣٩ (١ - ٣)، المحاسن والمساوىء / ٤٠١ - ٤٠٢ (٣) سمط اللآلي ١ / ٥٤٤ (الاول فقط)، الحماسة البصرية ١ / ١٦٨ مع اختلاف في ترتيب الابيات، لسان العرب (عقم) ٢ / ٨٤٨.

(١) - « صمتاً » بدلاً من « ضمناً » في ديوان المعاني.

(٢) - « متقارب » بدلاً من « متهال » في الحماسة البصرية.

« للاء مجانب » بدلاً من « بلا متباعد » في عيون الاخبار.

نسبة النص:

انفرد ابن منظور في لسان العرب بنسبة الابيات للحزين الكناني إضافة الى أبي دهبل في مدحه عبدالله بن الأزرق المخزومي، في حين أجمعت المصادر التي ذكرت النص على نسبته الى أبي دهبل ومنهم ابن قتيبة في عيون الاخبار وصاحب الحماسة البصرية وصاحب ديوان المعاني والبيهقي في محاسنه والبكري في السمط وإن اختلفوا في الممدوح، والذي ذكر قسم منهم أنها قيلت في مدح رسول الله (ﷺ) يؤيدهم في ذلك ما جاء في ديوان أبي دهبل الجمحي برواية أبي عمرو الشيباني (يُنظر ديوان ابي دهبل / ٦٦) وديوان الحماسة ص ٥٢٤ ».

(٣٢)

(طويل)

١ - نَهيتُكَ عن أمرٍ فلمْ تَقْبَلِ النُّهى
وَحَذَّرْتُكَ اليومَ الغُواةَ الاشائما

٢ - فضرتَ الى ما لم أكنْ منه آمِناً
وأشمتَّ أعدائي وأنطقتَ لائِما

٣ - وما بهمْ مِن رغبةٍ قلْ لهم
فإن تسألوني تسألوا بيَ عالما

التخريج: الاغاني ١٥/ ٣٣١.

(١) - النُّهى - جمع نهية بالضم: وهي اسم من النهي.

قدم صاحب الاغاني لهذه الابيات قوله: إنّ ابن عمّ للحزين استشاره في امرأة يتزوجها، فقال له: إنّ لها اخوة متشائم وقد زنّوا عنها غير واحد، وأخشى أن تخطبها أن يرتوك فتُطلِق عليك ألسُناً كانت عنك خُرساً، فخطبها، ولم يُقبل منه فردّوه، فقال الحزين:

(٣٣)

(كامل)

١ - حتى انتَفَضَ مِنْ هاشِمٍ في مَحْتِدٍ
أكْرِمْ بذلك مُحْتداً وضَيفاً

التخريج: أمالي للقالي ٢ / ١٧ (بدون نسبة)، سمط اللآلي، ٢ / ٦٤٨.

(٣٤)

(طويل)

١ - سِيروا فقد جُنّ الظلامُ عليكم
فـ الذي يرجو القِرى عند عاصِمِ

٢ - ظَلِلْنا عليه وهو كالتَّيس طاعماً
نُشُدّ على الذي أكبادِنا بالعمائِمِ

٣ - ومالِيَ مِنْ ذَنبٍ اليهِ عَلِمْتُهُ
سِوى أنّني قد جِئتُهُ غَيرَ صائِمِ

التخريج: البيان والتبيين ٣ / ١٠٥، (البخلاء / ٢١٩، الاغاني ١٥ / ٣٤٠ - سمط اللآلي ٣ / ٦٠ (الثالث فقط).

(١) - (فسيروا)، بدلاً من (سيروا) في البيان.

(امرىء) بدلاً من (الذي) في البيان، و (فبئس امرؤ) في البخلاء.

(٢) - يروى صدر البيت في البيان والبخلاء: دَفعنا اليه وهو كالذِّيخ حاظياً ».

- نسبت الابيات لمصعب بن عمير الليثي في البخلاء وبدون نسبة في البيان، والثابت أنها للحزين الكناني كما أكد صاحب الاغاني الذي قال: كان الحزين سفيهاً نَذلاً يمدحُ بالنَّزر إذا أعطيتَه، ويهجو على مثله إذا مُنع، فنزل بعاصِم بن عمرو بن عثمان فلم يقره، فقال يهجوه بقوله: -

(٣٥)

(طويلا)

١ - إليك ابن عثمان بن عفان عاصم بـ
منَ عمــرو سرَتْ عَنْسِى فخابَ سُراهــا

٢ - فقـد صـادفتْ كـزَّ اليـديْنِ مبخَّـلا
جبــانــاً إذا مــا الحــرب شُبَّ لظــاهــا

٣ - بخيــلاً بمــا في رحلــهِ غيــر أنــهُ
إذا مــا خَلتْ عِــرسُ الخليــل أتــاهــا

التخريج : الاغاني ١٥ / ٣٤٠ .

(١) - العنس : الناقة الصلبة .

(٢) - كزُّ اليدين ، (الكزازه بالفتح الانقباض واليُبس) مختار الصحاح (كزَ) / ٥٦٩ أي شحيح أو بخيلٌ .

قال صاحب الاغاني : إنّ الحزين الكناني (نزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يقرّه فقال يهجوه » . ويضيف قائلاً : فقيل له : إن عاصماً كثيراً ما تُسمّى به قريش فقال : أما والله لابيّننّه لهم ، فقال : - الأبيات .

مصادر البحث والتحقيق

١ - الاخبار الموفقيات / للزبير بن بكار . تحقـ ، د . سامي مكي العاني . ديوان الاوقاف بغداد ١٩٧٢ م .

٢ - الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين / للخالديين تحقـ - د . السيد محمد يوسف . لجنة التاليف والترجمة القاهرة / ١٩٥٨ م .

٣ - الاعلام . لخير الدين الزركلي ، بيروت ط ٢ د . ت .

٤ - الاغاني لابي الفرج الاصبهاني . تحقـ . لجنة بدار الكتب المصرية . مؤسسة جمال بيروت .

٥ - الف باء لابي الحجاج يوسف البلوي . بيروت . دار الكتب .

٦ - الإكمال للحافظ ابي نصر (ابن ماكولا) تصحيح الشيخ عبدالرحمن . مطبعة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ ط ٢ .

٧ - أمالي القالي والذيل / لابي علي القالي - دار الفكر بيروت د . ت .

٨ - أمالي المرتضى / للشريف المرتضى . تحقـ ، محمد ابو الفضل ابراهيم . دار الكتاب بيروت ١٩٦٧ م ط ٢ .

٩ - انوار الربيع في انوار البديع . للسيد علي بن معصوم المدني تحقـ - شاكر هادي شكر . مطـ . النعمان النجف الاشرف ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

١٠ - البخلاء للجاحظ . تحقـ . طه الجابري ، دار المعارف . القاهرة ١٩٧١ م ط ٤ .

١١ - البديع / لعبدالله بن المعتز - تحقـ . كراتشكوفسكي . دار المسيرة بيروت ١٩٨٢ م ط ٣ .

١٢ - البديع في البديع / لاسامة بن منقذ - تحقـ . علي مهنّا . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ ط ١ .

١٣ - بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبدالبر القرطبي تحقـ . محمد مُوسى الخولي . دار الكتب العلمية بيروت .

١٤ - البيان والتبيين للجاحظ ، تحقـ . عبدالسلام هارون . مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٥ م ط ٥ .

١٥ - تاج العروس للسيد مرتضى الزبيدي طـ . الكويت جـ ٩ تحقـ . عبدالستار احمد فراج و جـ ١١ تحقـ . عبدالكريم العزباوي .

١٦ - تاريخ آداب اللغة العربية . جرجي زيدان - دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٧ .

١٧ - تاريخ الرسل والملوك (الطبري) تحقـ . محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٠ م .

١٨ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه . لابن حجر العسقلاني . تحقـ . محمد علي النجار . المكتبة العلمية بيروت . .

١٩ - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر - لابن أبي الاصبع المصري تحقـ . د . حفني محمد شرف . المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٠ - تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون / لابن أيبك الصفدي تحقـ . محمد ابو الفضل ، دار الفكر . القاهرة ١٩٦٩ م .

٢١ - تهذيب اللغة لابي منصور الازهري . تحقـ . محمد عبدالمنعم والعقدة . الدار المصرية للتاليف ج ٦ .

٢٢ - الحماسة البصرية . لابي فرج البصري - عالم الكتب بيروت ١٩٦٤ م .

٢٣ - الحماسة الشجرية لابن الشجري تحقـ . عبدالمعين الملوحي واسماء الحمصي . وزارة الثقافة دمشق / ١٩٧٠ .

٢٤ - الحيوان . للجاحظ تحقـ . عبدالسلام هارون . المجمع العلمي العربي الاسلامي - بيروت ١٩٦٩ م ط ٣ .

٢٥ - خزانة الادب ولب لباب لسان العرب - لعبدالقادر البغدادي . تحقـ . عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي دار الرفاعي - القاهرة ١٩٨٦ م ط ١ .

٢٦ - ديوان أبي دُهبل الجمحي . تحقـ . عبدالعظيم عبدالمحسن - مطبعة القضاء النجف ١٩٧٢ م .

٢٧ - ديوان الحماسة - لابي تمام . تحقـ : د . عبدالمنعم احمد صالح وزارة الاعلام بغداد / ١٩٨٠ م .

٢٨ ـ ديوان المعاني لابي هلال العسكري تصحيح د . كرنكو / مكتبة الاندلس بغداد ط القاهرة ١٣٥٢ هـ .
٢٩ ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . لمحمد بن حبّان البستي تحقـ . محمد محيي الدين وآخرين دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ م .
٣٠ ـ زهر الاداب وثمر الالباب لابي اسحاق القيرواني تحقـ . د . زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبدالحميد . دار الجيل للنشر بيروت ط ٤ .
٣١ ـ سرح العيون في شرح رسالة زيدون . لابن نباته المصري تحقـ . محمد ابو الفضل ابراهيم منشورات المكتبة الشعرية صيدا ـ بيروت ١٤٠٦ هـ .
٣٢ ـ سمط اللالي والذيل لابي عبيد البكري . تحقـ . عبدالعزيز الميمني ـ مطبعة لجنة التاليف القاهرة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٦ م .
٣٣ ـ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي . تحقـ . أحمد أمين وآخرين ـ لجنة التاليف ط ١ القاهرة ١٩٥٣ م .
٣٤ ـ شرح ديوان الحماسة للتبريزي تحقـ ـ محيي الدين عبدالحميد ـ المكتبة التجارية الكبرى القاهرة .
٣٥ ـ شرح ديوان الفرزدق . ط . الصاوي .
٣٦ ـ شرح ديوان الفرزدق . تحقـ . ايليا حاوي . دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٣ م ط ١ .
٣٧ ـ شرح شواهد المغني للسيوطي . دار مكتبة الحياة بيروت د . ت .
٣٨ ـ شرح مقامات الحريري للشريشي تحقـ ـ محمد عبدالمنعم خفاجي . المكتبة الثقافية بيروت .
٣٩ ـ شعر المتوكل الليثي : تحقـ . د . يحيى الجبوري . مكتبة الاندلس بغداد .
٤٠ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقـ . احمد محمد شاكر ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ م .
٤١ ـ العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني تحقـ . محمد محيي الدين . دار الجيل بيروت ط ٤ .
٤٢ ـ عيون الاخبار لابن قتيبة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٥ م . (صورة طبق الاصل) .
٤٣ ـ الكامل في اللغة والادب . للمبرد تحقـ ـ محمد احمد الدالي / مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦ م .
٤٤ ـ الفهرست لابن النديم . تحقـ . رضا تجدد . بيروت ١٩٧١ م .
٤٥ ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير الاشبيلي تحقـ . فرنشكه قدارة وخليان . دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٩ م ط ٢
٤٦ ـ لباب الاداب / لاسامة بن منقذ تحقـ . احمد محمد شاكر . المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٥ م .
٤٧ ـ اللباب في تهذيب الانساب . لابن الاثير . مكتبة المثنى بغداد .
٤٨ ـ لسان العرب المحيط لابن منظور . اعداد يوسف خياط ـ دار لسان العرب ـ بيروت .
٤٩ ـ المحاسن والمساوىء للبيهقي بيروت دار صادر . ١٩٧٠ م .
٥٠ ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء / للراغب الاصفهاني . دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦١ م .
٥١ ـ المُحبّر / لمحمد بن حبيب . تحقـ . د . ايلزه شتير . دار الافاق الجديدة بيروت .
٥٢ ـ مختار الصحاح للرازي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨١ م .
٥٣ ـ المعارف لابن قتيبة تحقـ . ثروت عكاشة . دار المعارف القاهرة ١٩٨١ م ط ٤ .
٥٤ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي . دار احياء التراث العربي ـ بيروت .
٥٥ ـ مكارم الاخلاق لابن أبي الدنيا تحقـ . جيمرا . ايلي . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٧٣ م .
٥٦ ـ الموازنة بين الطائيين . تحقـ . السيد احمد صقر . دار المعارف ١٩٧٢ ط ٢ .
٥٧ ـ الموسوعة العربية الميسرة . لجنة اساتذة باشراف محمد شفيق غربال . دار نهضة لبنان بيروت ١٩٨٠ م .
٥٨ ـ المؤتلف والمختلف اللامدي . تصحيح . كرنكو . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ ط ٢ .
٥٩ ـ المؤتلف والمختلف لدارقطني . تحقـ . د . موفق بن عبدالقادر . دار الغرب الاسلامي بيروت ، ١٩٨٦ م ط ١ .
٦٠ ـ نسب قريش للمصعب الزبيري تحقـ . بروفنسال ـ دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ م .
٦١ ـ نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقـ . د . محمد عبدالمنعم خفاجي . دار الكتب العلمية بيروت .
٦٢ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني . تحقـ . محمد ابو الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربية القاهرة / ١٩٤٥ م ط ١ (مصورة) دار العلم بيروت .
٦٣ ـ وفيات الاعيان لابن خلكان . تحقـ . د . احسان عباس . دار الثقافة بيروت ـ دار صادر .

كتابات من المغرب

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي وأمينه العام

(١)

يكاد الادب المغربي لا يعرف في المشرق العربي إلا قليلًا ، والا ما وصل اليه في الثلث الاخير من القرن العشرين ، من ترجمات لبعض منظري النقد مثل : جاكبسون ، ورولان بارت ، وتودوروف ، وجان كوهين ومَنْ لفَّ لفَّهم من شداة النقد والادب .

لقد مرت على الامة العربية قرون مزّقت وحدتها ، ووضعت الحواجز بين أقاليمها ، وزاد من تمزيقها المستعمرون الذين غزوا المغرب العربي ، وكانوا يطمسون هويته العربية وعقيدته الاسلامية « لولا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » . وكان المغاربة أنفسهم بعيدين عن تراثهم ؛ لان المستعمرين حاولوا أن يبتّوا الصلة بين ماضيهم وحاضرهم ، ويحيلوهم أعاجم يرطنون فما للسانهم العربي قَدْر .

ولكن الروح العربية الوثابة والايمان العظيم بالله وقرآنه الحكيم فوّتت الفرصة على الغزاة ، وحطمت آمالهم على صخرة المحال .

واليوم يشهد المغرب العربي نهضة جبارة تتمثل في إحياء التراث ، وبناء الحاضر الزاهر ، واستشراف المستقبل الباهر

ليكونوا خير خلف لأشرف سلف ، قارعوا الغزاة وردوهم الى نحورهم خائبين بعد جهاد عظيم ومنازلة كبرى حتى كتب الله للمغرب أن ينعم بالاستقلال ويبدأ حياته الجديدة وهو يرفل بالعزة والسلام .

كان التراث المغربي غريباً في دياره ، ومجهولا في المشرق العربي ، حتى إذا نعمت البلاد بالحرية والاستقلال ، بدأت الدراسات تظهر ، والكتب تؤلف وتحقق . وفي المغرب العربي اليوم اعلام تفخر بهم الامة ومنهم الدكتورة نجاة المريني - أستاذة الادب المغربي بكلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة محمد الخامس في الرباط - وهي ممن اهتم بالتراث المغربي دراسة وبحثا وتحقيقا . وكان اول ماعُنيت به شعر عبد العزيز الفشتالي احد شعراء السلطان احمد المنصور السعدي ، إذ جمعته وحققته ودرسته ونالت به (دبلوم الدراسات العليا) سنة ١٩٨٣ م ، وصدر مطبوعا عام ١٩٨٦ م بالرباط .

ومضت الدكتورة في هذه السبيل ، وحصلت على دكتوراه الدولة برسالتها « الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي » سنة ١٩٩٤ م ، وصدرت عام ١٩٩٩ م مطبوعة في الدار البيضاء .

كان عصر السلطان السعدي (القرن العاشر للهجرة) زاهرا ، إذ حفل بالاستقرار والامن بعد القضاء على الفتن الداخلية وردّ الغزاة ، وشهد نهضة فكرية واسعة المدى بتشجيع السلطان الذي كان يرعى العلماء والمفكرين ويثيب الشعراء والمؤلفين .

ولم يكن البحث في ذلك العصر ميسراً للباحثين في الشعر ، إذ ضاع الكثير منه ، ولم يبق إلا النزر القليل ، وكان على الباحثة نجاة أن تعكف على المخطوطات تستقريها وتستخرج منها القصائد والمقطعات والابيات ، وتتابع ما صدر من الكتب المحققة والمؤلفة ، حتى اذا اتضح المنهج واستبان السبيل بدأت تدبج المباحث فصلا فصلا ، حتى استوت رسالتها على سوقها فكانت « الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي » هدية لوالديها ، وثمرة للباحثين .

(٢)

تبدأ الدراسة بمقدمة لاستاذها المشرف الدكتور عباس الجراري الذي أثنى على جهود الباحثة ورسالتها التي تعدّ « متقدمة رسائل جامعية اخرى » . وأبدى سعادته بالاشراف على انجازها إذ بيّنت « حال الشعر العربي في المغرب باعتباره إبداعا لا يخلو من مقدمات تنم (عن) قدرة الشاعر المغربي في هذا المهد - أي عهد المنصور - أو غيره على التعبير . أي الامساك بزمامه وابراز ما فيه من قيم قد تكون ظاهرة حينا ، وخفية اخرى ، دون اغفال ما قد يعلوه من تميز في سياق الشعر العربي على العموم . وما احوج هذا الشعر وما اليه من اجناس وانواع ادبية وفكرية الى جهود مماثلة لاظهار تلك القيم ، وما تكشف من ملامح مشتركة او منفردة ، بتكاملها يكتمل المنظور للابداع في كليته » .

وهذه شهادة حق من استاذ كبير اهتم بالادب المغربي ، واصدر كثيرا من الكتب والدراسات التي كانت سبيلا ممهدا للباحثين ، ومنهم تلميذته نجاة التي اتخذت من كتبه مصدرا تستقي من نبعه الفياض .

افتتحت الباحثة رسالتها بمقدمة بينت فيها صعوبة البحث ؛ لان نتاج الشعراء السعديين لم يحظ بالجمع والتدوين ، اذ لم يصل أي ديوان على الرغم من الاشارات الكثيرة في كتب التراجم والتاريخ الى وجود دواوين لاغلب الشعراء ، وعلى الرغم من أن القصيدة السعدية أكدت حضورها الفاعل وتميزها الواضح .

وهذا مادعا الدكتورة نجاة الى دراسة القصيدة السعدية من حيث موضوعها وبناؤها الفني ، ومن حيث تقيدها بالمثال الشعري القديم او ثورته عليه . ويتجلى سبب هذا الاختيار الى :

١ - أن القصيدة المغربية في عهد السلطان احمد المنصور السعدي كانت قد اكتملت واستوت شكلا ومضمونا ، وهي بذلك تستحق الدراسة بعد أن كاد الشعر المغربي في ذلك المهد يهمل اهمالا عظيما .

٢ - أن الموضوع ياتي تتمة لدراستها عن عبد العزيز الفشتالي ، أشهر شعراء العصر السعدي ومؤلفيه .

٣ - أن عهد المنصور السعدي يمثل حركة فكرية واسعة المدى .

لهذه الاسباب ولرغبتها في التخصص بالادب المغربي القديم عكفت على البحث لتقدم صورة مشرقة لذلك المهد الزاهر .

حاولت الدكتورة نجاة أن تبرز خصيصتين تميز بهما عصر المنصور السعدي ، وهما :

١ - خصوصية سياسية تتمثل في مواجهة العثمانيين لانتزاع الزعامة السياسية الاسلامية ، ومواجهة اوربة والعمل على الحد من استعمارها للشواطىء المغربية .

٢ - خصوصية علمية تتمثل في العمل على خلق نهضة ادبية وعلمية في المغرب ، واهتمام خاص بالتراث الادبي العربي .

ويقوم منهج الدراسة على تحليل مكونات القصيدة وعناصرها الابداعية ووصفها ، بعيدا عن الادوات المنهجية المعاصرة التي تبعد الدراسة عن جو القصيدة في العصر السعدي ، وعن الروح التي تنبعث منها ، فضلًا عن أن الباحثة رأت أن تلك الادوات غير مسعفة في فهم الظاهرة الشعرية في ذلك المهد ، وإبراز خصائصها ، وتحديد ملامحها .

وكان لابد للباحثة من أن تحدد مصادرها - المخطوط منها والمطبوع ، القديم منها والحديث - وهي مصادر لم تكن بعيدة عنها يوم بدأت رحلتها في دراسة الادب المغربي القديم .

وتلا المقدمة مدخل في مراحل ابداع القصيدة ، وكان الهدف منه إلقاء الضوء على تعامل الشاعر مع القصيدة ، وهي مراحل لا تنفرد بها القصيدة المغربية ، وإنما هي خطوات يمر بها الشعراء وهم ينظمون قصائدهم في أجواء مختلفة ومنازع شتى .

حتى اذا ما انتهت الباحثة من ذلك دخلت الى فصول الباب الاول وتحدثت عن مرجعيات المؤثرات في الفصل الاول وهي :

١ - مؤثرات خارجية وداخلية .

٢ - مؤثرات اجتماعية تتجلى في ظاهرة البناء والتشييد، والاحتفال بالاعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية المختلفة .

٣ - مؤثرات اقتصادية طبعت الحياة الفكرية والعلمية .

٤ - مؤثرات ثقافية تتمثل في اهتمام الحكام السعديين بالعلم، وفي تعدد المراكز الثقافية والدينية، وانتشار خزائن الكتب، وتداول العلوم التي كان المغاربة يتناقلونها، وهي العلوم الشرعية والادبية، والبحتة، والتجريبية، والعقلية .

وحددت الباحثة مرجعيات الشعر خاصة، وهي : مرجعية تراثية رفدها المشرق العربي، والاندلس . وكان لهذين الرافدين اثر في الشعر المغربي، ومرجعية محلية تجلت في ظاهرتين : ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي، وظاهرة وصف العمران .

وكان الفصل الثاني : عن البنية الهيكلية، وهو مبحثان :

١ - بنية القصيدة العمودية من حيث المقدمة، وحسن التخلص، والخاتمة، والربط بين هذه الاقسام الثلاثة التي عُني بها النقد القديم .

٢ - هيكل الموشحات، وهو متابعة لبناء الموشحة، وانواعها : الموشحات الغزلية، والمدحية - ومنها مدح الرسول محمد (ﷺ) - والوقوف عند الوزن الذي يمثل عنصرا من عناصر الموسيقى التي تولّد الانسجام بين المقاطع في نظام خاص يتكرر على وفق أجزاء الاقفال والأبيات .

الثالث : عن البنية التركيبية، أي البحث في اللفظ والمعنى، ولغة القصيدة، والمعجم الشعري، وتعدد مستويات الخطاب .

الرابع : الصورة الشعرية، وهي :

١ - الصورة القديمة المتمثلة بالتشبيه، والاستعارة .

٢ - الصورة الجديدة المتجلية في الصور البصرية، والسمعية، والرمزية .

الخامس : البنية الايقاعية، وهي الوزن الذي لم يخرج شعراء العهد السعدي فيه عن البحور العربية المعروفة . والقافية التي تعد الركن الرابع من اركان الشعر القديمة وهي : اللفظ، والمعنى، والوزن، والقافية .

وهذان الركنان : الوزن والقافية يشكلان الموسيقى الخارجية، اما الموسيقى الداخلية فتتجلى في : التناسب بين اللفظ والمعنى، والتجانس، والمزاوجة بين الالفاظ، ورد العجز على الصدر، والتكرار .

السادس : المعارضة والوحدة العضوية، وكانت الباحثة قد تحدثت في الفصل الاول عن تاثير شعراء العصر السعدي بالشعر المشرقي والاندلس، وقد توسعت في هذا الفصل في دراسة المعارضة والتضمين وقارنت بين الاصل وما عُورِض به . اما الوحدة العضوية فقد نظرت اليها بغير منظار الذين اتهموا القصيدة العربية القديمة بالتفكك، وانتهت الى ان وحدة التجربة والعاطفة هي أساس الوحدة على الرغم من تعدد الاغراض والموضوعات في القصيدة السعدية التي احتوت على غرضين في الاقل يصعب الفصل بينهما، ويصعب - احيانا - نعت القصيدة بانها في الوصف او المدح لان الشاعر انصرف الى موضوعه بكليته، بعواطفه، وتجاربه، وانفعالاته، وهو يصبها في قالب شعري معين، ويخضعها لروي معين . وليس هناك من تنافر بين الابيات او استقلال في البيت يحجب العلاقة في التماسك، والانتقال من موضوع الى آخر كثيرا ما يتم في ترابط عجيب، وخروج لطيف .

وتوجت الباحثة رسالتها بخاتمة لخصت فيها جهدها، وبينت اهدافها، وهي تتناول واقع القصيدة المغربية في عصر السلطان احمد المنصور السعدي، من حيث موضوعاتها، وقوالبها، واوزانها، وقوافيها، ومن حيث استقلالها عن القصيدة المشرقية او الاندلسية . وانتهت الى القول بان « القصيدة السعدية لوحة شعرية استقاها الشاعر من بيئته المحلية، ومن موروثه الحضاري والديني فتوافرت له مشاهد تنطق حيوية وحياة، وتنم (عن) رؤية شخصية جديدة ذات تجليات خصوصية، سواء تعلق الامر بمعانيها او اساليبها » .

وكان الباب الثاني من الرسالة ملحقا شعريا جمعت فيه الدكتورة نجاة شعر خمسة شعراء من عصر السلطان السعدي وهم :

١ - محمد بن علي الواحدي العماد (- ١٠٣٣ هـ) .

٢ - الحسن بن احمد المسفيودي (- ١٠٣٢ هـ) .

٣ - علي بن منصور الشياظمي (- ١٠١٢ هـ) .

٤ - محمد بن علي الفشتالي (- ١٠٢١ هـ) .

٥ - محمد بن علي الهوزالي (- ١٠١٢ هـ) .

وكان مجموع شعر هؤلاء الشعراء (١٦٩١) بيتا موزعة على الشعراء الخمسة :

(٣٠١، ٣٠٠، ٤٢٠، ٢٣٧، ٢٢٣) على التوالي .

ولم تكتف الباحثة بالجمع، وإنما حققت الشعر، وخرّجت الابيات، وترجمت لكل شاعر بايجاز، وبذلك وضعت امام الباحثين مادة شعرية تناثرت في بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة .

ان رسالة « الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي » للدكتورة المريني تعد فتحا كبيرا في دراسة الشعر المغربي القديم، ولذلك عدّها الدكتور عباس الجراري من الرسائل المتقدمة التي اشرف عليها . وتتضح ملامح الدراسة جلية في عدة امور، منها :

١ - أنها أول رسالة جامعية في شعر عصر المنصور السعدي .

٢ ـ أنها درست عصرا محددا ، ولذلك جاءت وافية عميقة الغور .
٣ ـ انها تعتمد على الدراسة النصية التحليلية .
٤ ـ انها تستند الى واقع النقد العربي القديم لتكون اكثر التصاقاً بالواقع الشعري في تلك العهود ، على الرغم من ان الباحثة تتقن اساليب النقد الحديث التي هي اكثر قربا اليه من الذين عبدوه وصلوا عليه صلاة الغائب .
٥ ـ انها تعرضت لاهم ما يتصل بالقصيدة العربية من حيث الاغراض ، والبناء ، والايقاع ، والمعارضة ، ووحدة القصيدة .
٦ ـ انها فصيحة اللغة مشرقة الاسلوب ، بخلاف الرسائل التي لا يعرف لها قبيل من دبير .

ويتضح في الرسالة الى جانب هذه الملامح امران :
الاول : تكرار النص الواحد عدة مرات ، ويرجع ذلك الى قلة الشعر الذي عثرت عليه الباحثة ، لان دواوين شعراء العصر السعدي لا تزال مفقودة ، ولم يكن امامها الا ان تستشهد بالنص الواحد عدة مرات .
الثاني : الاطالة في بعض المقدمات ، ويرجع ذلك الى ان كثيرا من المعلومات غير معروفة لدى القارىء العربي ـ ولا سيما المشرقي ـ ولذلك اثبتتها الباحثة لتكون عونا للقراء والباحثين على فهم ما تقرره .

وقد لا يتضح الكلام على الشعر وتحليله ، الا بتلك المقدمات ، وهو ما يفعله الباحثون الذين يحترمون قراءهم .

ويبقى كتاب « الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي » مَعْلَماً من معالم النهضة الفكرية في المغرب العربي ، وانطلاقة نحو الدرس الجاد ، والعمل المثمر البناء ، والبحث الاصيل .

(٣)

لم تقف الدكتورة نجاة المريني عندما اصدرت من كتب ودراسات ، ففي سنة ٢٠٠١م اصدرت كتاب « من نوادر مخطوطات المكتبة المغربية » وهو مجموعة بحوث كانت ثمرة ارتباطها بالخزانة المغربية وهي تنقب في ذخائرها ، وتكتشف مكنوناتها عندما كانت تعد رسالة دبلوم الدراسات العليا ، ورسالة دكتوراه الدولة في الادب المغربي . وزاد في عنايتها بالتراث المخطوط مشاركتها في مؤتمرات وندوات عربية ومغربية ودراسات تراثية .

كان الهدف من نشر البحوث التي تجمعت لديها « تقديم صورة لنماذج متعددة من الموضوعات التراثية التي شغلت فكر الادباء والكتاب في الغرب الاسلامي ، والى التنبيه الى براعتهم اللغوية في تناول اي موضوع بدقة وسلاسة ، وحذق وبراعة » . وقد احتوى الكتاب تسعة بحوث تراثية هي :
١ ـ محمد بن علي الدكالي السلاوي وارجوزته « اتحاف اشرف الملا ببعض اخبار الرباط وسلا » ؛ وهي تاريخية وصفية تشتمل على ثلاثة الاف بيت مزدوج ، او الفين وستة وثمانين بيتا ، كما ورد في بعض نسخ المخطوطة . والارجوزة في اخبار عدوتي الرباط وسلا ، وترجمة من غبر من العلماء والصلحاء والشعراء . وقد اتبعه الدكالي فيها التقسيم الذي اتبعه ابن الخطيب في مقامته : « المفاضلة بين مالقا وسلا » . وتاريخ نظمها سنة (١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م) وهي في عشرة مقاصد غير المقدمة والفذلكة التاريخية ، ولها نسخ مخطوطة في قسم الوثائق والمخطوطات بالرباط ، والخزانة الحسنية ، ومؤسسة علال الفاسي .
٢ ـ تقييد في بناء جامع حسان من رباط الفتح ، لمحمد بن علي الدكالي السلاوي ، وفي هذا الكتاب تحدث المؤلف عن بناء جامع حسان ولمن بني ؟ وخرابه .

ولم تكتف الدكتورة نجاة بالكلام على الكتاب ، وانما حققته ونشرته بعد بحثها ، وهو في صفحات قليلة ، ويعد من الرسائل المعروفة في عالم البحث والتاليف .
٣ ـ التعريف بمختصرات نفح الطيب لاحمد المقري ، وفي هذا البحث تكلمت الباحثة على اهمية شروح الكتب ، والاستدراكات ، والتهذيبات ، والترتيبات ، والاختيارات ، والحواشي ، والمختصرات ؛ لانها تلقي ضوءاً لا يستهان به في تحقيق المخطوطات ، وهذا ما اشار اليه شيخ المحققين المرحوم عبد السلام محمد هارون في كتابه « تحقيق النصوص ونشرها » .
ثم ذكرت الباحثة مختصرات « نفح الطيب » وهي : تغريد العندليب على غصن الاندلس الرطيب او مختصر (اختصار نفح الطيب) لابي الحجاج يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الميلوي (ـ ١١١٤ هـ ـ ١٧٠٢ م) ومختصر او (اختصار نفح الطيب) لابي الحسن علي بن احمد بن محمد الحريشي الفاسي (ـ ١١٤٥ هـ ـ ١٧٣٢ م) ومختصر نفح الطيب لاحمد بن زيني دحلان (ـ ١٣٠٤ هـ ـ ١٨٨٦ م) واللؤلؤ المصيب من نفح الطيب لابي العباس احمد بن محمد الرهوني التطواني (ـ ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٢ م) .
وقفت الباحثة عند هذه المختصرات وحللتها ، واشارت الى ما بينها وبين الاصل من اتفاق وافتراق ، وحذف وزيادة ، وذلك حرصا منها على ان تضع بين يدي الباحث مفتاحا وهو يدرس « نفح الطيب » ومختصراته .
٤ ـ ملحوظات حول الحماستين المغربية والبياسية ، والاولى لابي العباس احمد بن عبد السلام الجراوي (الكراوي) التادلي (ـ ٦٠٩ هـ) . اما الحماسة الثانيه فهي لابي الحجاج يوسف ابن محمد بن ابراهيم الانصاري (البياسي ، (ـ ٦٥٣ هـ) نسبة الى (بياسة) في الاندلس . وقد ضاعت هذه الحماسة ولم تصل منها الا شذرات جمعتها الباحثة من مظان كثيرة وعنونتها بـ « ما تبقى من حماسة البياسي او الحماسة البياسية » ونشرتها في صفحات معدودات على امل ان تحصل على الضائع من

الحماسة في ثنايا المخطوطات او على النسخ التي أشار اليها القدماء .

٥ ـ تحقيق ما تبقى من الحماسة البياسية ، وهو ما اشير اليه آنفاً .

٦ ـ مخطوط سلسلة الانوار في طريقة السادات الصوفية الاخيار لاحمد بن عطية السلوي (ـ ١١٢٩ هـ ـ ١٧١٧ م) .

٧ ـ وصايا وتوقيعات اندلسية من خلال مخطوط « رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير » لابي القاسم محمد بن ابي العلاء ابن سماك العاملي ، وقد ألفه للسلطان النصري المستعين (٧٩٤ ـ ٨١٠ هـ) . وهذا الكتاب من « المؤلفات المتميزة في التراث السياسي الاندلسي ، يحلل ويناقش الاوضاع السياسية والظروف الاجتماعية ، هادفا الى النصح والتوجيه ، مستفيدا من سياسات سابقة في المشرق والاندلس والمغرب [من] دون ان يخل بما يقتضيه المقام من الاداب في مخاطبة ذوي الشان والسلطان » .

٨ ـ بين مخطوط « رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير » وكتاب « الادب الكبير » . وهذا البحث مقارنة بين الكتابين ، وقد انتهت الباحثة الى ان بينهما تقاربا في المعاني والنصائح ، وان اختلفت الصياغة ، وتفرد كل مؤلف باسلوب .

٩ ـ مخطوطة ترتيب ديوان المتنبي في المكتبة السعدية ، وكان المتنبي « قد ملأ الدنيا وشغل الناس » واهتم به الادباء وغيرهم ، ووصل الى المغرب والاندلس ، وكثرت شروحه ، واشهر شارح اندلسي له هو ابو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا القرشي الزهري القرطبي المعروف بـابن الافليلي (ـ ٤١٠ هـ ـ ٤٧٦ هـ) ، واول من اشتغل بخدمته من المغاربة ابو موسى الجزولي . واهتم به السلاطين السعديون ، وتحدث مؤرخ الدولة السعدية عبد العزيز الفشتالي عن ولع السلطان محمد الشيخ المهدي وولده السلطان ابي العباس احمد المنصور بالديوان ، وهذا الاخير كلف الفشتالي بترتيبه على طريقة المغاربة بعد استقصاء شامل لنسخه الموجودة في الخزائن المغربية ، وانجز العمل بدقة وبراعة . ولم يكتف الفشتالي بترتيب الديوان فحسب ، وإنما انجز دراسة وافية له تتمثل في التعليقات والاضافات ، وإبداء الملاحظات ، والتنبيه على السرقات ، مثبتا اسماء الشعراء ونصوص ابياتهم الشعرية ، مذكرا بالغريب ، شارحا الغامض والمبهم . ولهذا الديوان نسختان مخطوطتان احداهما بالخزانة العامة بالرباط ، والثانية بالخزانة العامة بتطوان .

تلمست الدكتورة نجاة في بحثها بعض جوانب تعليقات الفشتالي في قصيدتين :

الاولى : قصيدة المتنبي في مدح كافور ، التي مطلعها :

أوَدّ من الايـــــام مـــــا لا تـــــودّه
وأشكـــو اليهـــا بيننـــا وهي جـــنده

الثانية : قصيدته التي مطلعها :

اين اصبحت أيهـــــذا الهمـــــام
نحن نبت الـــــربى وانت الغمـــــام

وتتبعت ملاحظات الفشتالي ، ثم قالت بعد طوافها في الديوان : « ان عمل الفشتالي في هذا الترتيب هو عمل شاعر ، ناقد مرهف الحس ، رقيق الشعور ، دقيق الملاحظة ، نظر في شعر المتنبي نظرة فاحصة ، وتمعن في معانيه وأساليبه ، وأبدى مجموعة من الاراء والملاحظات في طرر الترتيب ، أبانت عن ثقافة واسعة ، واطلاع على مؤلفات كثيرة في الادب والتاريخ وغيرهما ، وعن إلمام كبير بالقواعد البلاغية والعروضية والنحوية ، كما كشفت هذه الطرر عن متمرس بقواعد النقد الادبي في روية واتزان وضبط . فالفشتالي لم يكن مجرد منفذ لامر ملكي في العمل المنوط به ـ وهو ترتيب ديوان المتنبي ـ وانما كان عالما مدققا ، وشاعرا رقيقا ، ومؤرخا له اطلاع على خفايا الاحداث السياسية والتاريخية التي انعكس بعضها على شعر المتنبي ، وعلى خفايا العلاقات الاجتماعية التي كانت تربطه بغيره من الشعراء ، ومن الممدوحين من الملوك والامراء » .

كان هذا خاتمة كتاب « من نوادر مخطوطات المكتبة المغربية » وقد تجلت فيه :

١ ـ معرفة الدكتورة نجاة المريني بالتراث العربي في المغرب ، ومتابعته في المكتبة المغربية وغيرها .

٢ ـ صبرها على قراءة المخطوطات والنظر في مادتها .

٣ ـ قدرتها على كشف ما فيها من كنوز ، ورفع الحجب عنها .

٤ ـ مهارتها في تحليل المخطوطات والموازنة بينها .

٥ ـ دقتها في تحقيق النصوص وتخريجها .

وبعـــد :

فهذا كتاب يعد دليلا لمن يبحث في التراث العربي بالمغرب ، ولعل البحوث التسعة التي ذكرت فيه تكون حافزا قويا لتحقيق الكتب التي لايزال كثير منها مركونا في الخزائن العامة والخاصة . وهذه مسؤولية لا تخص المغاربة وحدهم ، وإنما تشمل العرب في مشارق الارض ومغاربها ، لان هذا التراث ثمرة الحضارة العربية الاسلامية التي استظلت بها شعوب العالم يوم كانت للعرب والمسلمين دولة كبرى وحواضر واقاليم تعنى بالبحث والتاليف .

والامل معقود على الدكتورة نجاة المريني في ان تستمر في هذه السبيل ، ولعل كتابها الجديد « ما تبقى من رحلة ابن حمويه » يصدر قريبا ، تتبعه كتب اخرى لها او لغيرها من المختصين بالتراث المغربي الذي لا يزال معظمه بعيدا عن الباحثين ، وبذلك تتحقق الوحدة الثقافية مثلما تحققت في العهود السابقة ، وكان من ثمراتها ذلك التراث العريق ، الذي نهل منه الغرب في فجر نهضته الحديثة ، وبنى عليه ما انار السبيل أمام العلماء والباحثين .

الجديد في المكتبة

ديوان عامر بن الطفيل العامري

شرح ابي بكر محمد بن القاسم الانباري



تحقيق د. محمود الجادر و د. عبدالرزاق خليفة محمود الدليمي

عرض وتحليل

أ. د. ايهم عباس القيسي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

صدر حديثا في سلسلة خزانة التراث ديوان عامر بن الطفيل العامري بشرح ابي بكر محمد بن القاسم الانباري قراءة على ابي العباس ثعلب بتحقيق الدكتور محمود عبد الله الجادر والدكتور عبد الرزاق خليفة الدليمي عن دار الشؤون الثقافية ضمن اصداراتها لاواخر عام ٢٠٠١ .

وقبل ان ابدأ بعرض هذا الجهد العلمي المتميز وتحليله ، لا بد من الاشارة الى الجهود الخيرة والمحمودة التي تبذلها دار الشؤون الثقافية في مجال اصدار الكتب التراثية القيمة ، ولا سيما في هذا الظرف الذي يمر به قطرنا الصابر ، اذ استهدف الحصار اللئيم تطويق الثقافة والادب من جملة ما استهدفه الحصار الخبيث . وانها لخطوة مباركة وكبيرة ان تقدم دار الشؤون الثقافية على مواصلة رفد المكتبة العراقية والعربية بالجديد من الاصدارات .

وبذا يأتي ديوان عامر بن الطفيل الذي اصدرته دار الشؤون الثقافية في اكثر من (٣٠٠) صفحة من القطع المتوسط واحداً من هذه الاصدارات النفيسة والنادرة ، التي لا غنى لجميع المعنيين بالتراث من الحاجة اليها ، ولا سيما ان ديوان عامر بن الطفيل لم ينشر من قبل نشرة علمية وافية ، فقد نشر المستشرق لايل ديوان عامر بن الطفيل وشرحه عام ١٩١٣ ، ثم عمدت دار صادر في بيروت الى ديوان عامر ، (فاعادت ترتيب نصوصه على وفق تسلسل قوافيها ، ثم جعلت شرح ابن الانباري هوامش للنص التي استقتها من متن الديوان ، وابتكرت لكل نص عنواناً من عبارة ترد في احد ابياته واصدروا النشرة سنة ١٩٦٢)[١] بتحقيق كرم البستاني ، وهي طبعة سقيمة تفتقد الى المنهج العلمي المعروف في التحقيق ، فضلاً عن خلوها من الشروح والفهارس التفصيلية وغيرها من قواعد التحقيق .

وقد جاءت محاولة المحققين الفاضلين الدكتور محمود الجادر والدكتور عبد الرزاق الدليمي في غاية التوفيق ودقة الاختيار لشاعر من فرسان العرب المشهورين باساً وشدةً ونجدةً ، ترد اسمه في المظان والمصادر في المرحلة التي سبقت الاسلام . فقد كانت ولادته كما يشير الى ذلك ابو الفرج الاصفهاني قبل الاسلام بتسع وخمسين سنة[٢] . وانه ادرك مبعث الرسول (ﷺ) ولكنه لم يسلم . وتشير الروايات الى انه حاول ان يساوم النبي (ﷺ) مقابل دخوله الاسلام . مقترحاً ان تكون له زعامة الوبر . وللنبي (ﷺ) زعامة المدر ، ولكن النبي (ﷺ) رفض ذلك[٣] . وفي طريق عودته اصابه الطاعون في عنقه فمات سنة (٩ هـ)[٤] .

وقد افاض المحققان الفاضلان في متابعة اخبار الشاعر وبيان شاعريته بوصفه واحداً من الشعراء الفرسان الذين حظوا بعناية القدماء ، فقد اختار له المفضل الضبي قصيدتين ، وكذلك عمل الاصمعي في اصمعياته ، وافرد له ابن قتيبة ترجمة في كتابه (الشعر والشعراء)[٥] . هذا فضلاً عن تناثر الكثير من اخباره واشعاره في كتب النحو واللغة والادب والنقد والبلاغة والتاريخ .

واوضح المحققان انهما لم يتوافرا على اية اشارة يمكن الاستفادة منها في تحديد جامع ديوان عامر بن الطفيل ، ولكنهما اعتمدا نسخة فريدة في مكتبة المتحف العراقي ضمت ديوان عامر بن الطفيل وشرحه لابي بكر بن الانباري يرجع تاريخ نسخها الى سنة (٤٣٦ هـ) فضلاً عن نسخة لايل المطبوعة ونسخة دار صادر في بيروت .

ان اعادة نشر ديوان عامر بن الطفيل برواية ابن الانباري التي اضطلع بها المحققان الفاضلان مسألة مهمة حددا بواعثها في تصدير الديوان حيث اوضحا ان نشرة لايل اصبحت نادرة ، كما ان المحققين فازا بمخطوطة غير المخطوطة البيروتية ، وهي مودعة في مكتبة المتحف العراقي كما عمل المحققان على العودة الى مصادر كثيرة ، صدرت او اعيد تحقيقها واصدارها بعد نشرة لايل تضمنت نصوصاً لعامر بن الطفيل بعضها جديد لم تتضمنها نشرة لايل .(٦)

وقد اوضح المحققان الكريمان ان الفهارس التي صنعها لايل للديوان جمعت نصوص المتن والذيل ، وان فهرس الاعلام فيه خلط بين اعلام الرجال والقبائل والارهاط والحيوان والطير ، فضلاً عن افتقاد نسخة لايل الى الفهارس التفصيلية الدقيقة الاخرى .

وتكمن قيمة نسخة مكتبة المتحف العراقي التي اعتمدها المحققان الفاضلان في انها ضمت (٣٢) اثنين وثلاثين نصاً عدد ابياتها (٢٥٨) ثمانية وخمسون ومائتا بيت ، وفائدة هذه النسخة انها عززت رواية نصوص نشرة لايل ، ورفدت نسخة لايل بما سد مواضع كلمات او عبارات ناقصة في المخطوطة التي اعتمد عليها لايل فوضع مواضعها نقاطاً .

ان ما يميز الطبعة الجديدة لديوان عامر بن الطفيل امور عديدة اهمها المصادر الكثيرة التي رجع اليها المحققان في تخريج الابيات ، والاستدراك على الديوان ، وهي موزعة بين كتب التفسير والادب واللغة والنحو والتاريخ وغيرها . كما عمل المحققان على اغناء ذيلي الديوان بالنصوص التي ظفرا بها من المصادر التي صدرت او اعيد تحقيقها بعد صدور نشرة لايل . وقد بلغ عدد النصوص التي اضافاها الى نشرة لايل (٢٩) تسعة وعشرين نصا مجموع ابياتها (٧٠) سبعون بيتا .

كما حرص المحققان على تعيين بحر كل نص قبل روايته ، وذكر التخريجات الوافية للنصوص واتباع المنهج العلمي في الاشارة الى مواضع التخريج وتوضيح الاختلاف في بعض الروايات وتميزت طبعة ديوان عامر بن الطفيل الجديدة بترجمة الاعلام الواردة ترجمة موجزة وافية ، وفضلاً عن كل ذلك تصدير الديوان باضاءة واضحة لحياة ابن الانباري وجهوده واخرى لابي العباس ثعلب .

كما عمد المحققان الكريمان الى اثبات الترجمة الوافية لحياة عامر بن الطفيل ونشأته واستقصاء الاحداث التي خاضها مع قبيلته او خاضها منفرداً . والتي كتبها لايل ، واثبتاها بعد ترجمتي ابن الانباري وثعلب لاهميتها العلمية وقيمتها التاريخية .

وتبقى الميزة الاوضح في عمل المحققين في الديوان هي الفهارس الوافية التي صنعاها ، وتشمل فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الاحاديث النبوية الشريفة ، وفهرس الامثال ، وفهرس قوافي الديوان ، وفهرس الشواهد الشعرية (الابيات) وفهرس الشواهد الشعرية (انصاف الابيات) وفهرس الاعلام ، وفهرس القبائل والامم والجماعات ، وفهرس اعلام الخيل والطير ، وفهرس الايام والاماكن واللغة . وهي بلا شك جهود علمية مضنية تفصح عن جانب من عمل المحققين في تسهيل الوصول الى اي مسألة يروم الباحث او الدارس الحصول عليها بايسر السبل واقل الزمن .

ومما ميز هذا التحقيق الهوامش العلمية الدقيقة والوافية في توثيق الاخبار والنصوص ، وتوضيح المواضع والاماكن والاعلام وشرح المفردات الغريبة ، فضلاً عن الاستقصاء الواسع للمصادر والمظان وتثبيت الاختلاف في الروايات .

ومما يؤخذ على المحققين الفاضلين عدم الاشارة في فهرس الاحاديث النبوية الى كتب الحديث والصحاح لتوثيق الاحاديث الواردة في شعره مثلما فعلا في تخريج الايات القرآنية .

كما أجد ان الديوان كان بحاجة الى اضاءة موجزة تتناول شعر عامر وقيمته التاريخية والفنية مع الاشارة الى اهم اغراضه الشعرية وخصائص شعره استكمالاً للاضاءة التي كتباها عن حياة عامر بن الطفيل .

وعموماً فان هذه الملاحظات اليسيرة لا تقلل من قيمة الجهد الحقيقي والعلمي الذي بذله المحققان الفاضلان بل انه جهد كبير ، واستقصاء دقيق ، وتحقيق علمي رصين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الهوامش

١ - ديوان عامر بن الطفيل - (تحقيق د . محمود الجادر ود . عبد الرزاق خليفة خليفه محمد الدليمي) ٩/

٢ - الاغاني ١١ / ١٤٩

٣ - الشعر والشعراء ١ / ٣٣٥

٤ - المصدر نفسه

٥ - الشعر والشعراء ٣٣٤ - ٣٣٦

٦ - ينظر ديوان عامر بن الطفيل (تحقيق د . محمود الجادر ود . عبد الرزاق الدليمي) / ١٠

اخبار التراث العربي

● حسن عريبي

● الاتجاهات الفنية في رواية الشعر الجاهلي (دراسة نظرية وتطبيقية) ـ صالح محمد صالح الصايلي رسالة دكتوراه باشراف د : زكي ذاكر العاني، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١، ٢٧٣ ص .

● اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل ـ لمحمد بن علي بن محمد بن علان البكري الصديقي القرشي (٦٩٦ ـ ١٠٥٧ هـ / ١٥٨٨ ـ ١٦٤٧ م) تح : ابراهيم شمس الدين بيروت ، منشورات دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ١٢٨ ص .

● اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ـ للمقريزي تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المصري المؤرخ (٧٦٩ ـ ٨٤٥ هـ / ١٣٦٧ ـ ١٤٤١) بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ،
١ ـ ٢ ج في مجلد ، ٧٦٨ ص .

● الاداء القصصي في شعر جماعة ابولو ـ ابتسام لفتة كعيد رسالة ماجستير باشراف د : مصطفى ساجد الراوي ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ١٦٧ ص .

● اعتلال القلوب في اخبار العشاق والمحبين ـ للخرائطي ابي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل المحدث الاديب (٢٤٠ ـ ٣٢٧ هـ / ٨٥٤ ـ ٩٢٨ م) تح : غريد الشيخ بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ٤٤٠ ص .

● الاقناع في القراءات السبع ، لابن البانش ابي جعفر احمد بن علي بن احمد بن خلف الانصاري الغرناطي الاندلسي المقرىء النحوي (٤٩١ ـ ٥٤٠ هـ / ١٠٩٨ ـ ١١٤٥) تح : احمد فريد المزيدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ ، ٥٣٦ ص.

● كتاب الامالي ـ لابي بكر يموت بن المزرع العبدي البصري الراوية الاديب (ت ٣٠٤ هـ) تح : ابراهيم صالح ، ط ـ ١ ، دمشق منشورات دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع طبع دار الشام للطباعة ، ١٤٢١ ـ ٢٠٠١ ، ٢٤٣ ص . نوادر الرسائل(٢) .

● اهل اليمن في المغرب والاندلس حتى قيام الامارات المستقلة ، عن الخلافة العباسية دراسة في التاريخ السياسي . بديع محمد ابراهيم الكربولي . رسالة دكتوراه باشراف الاستاذ د : خالد جاسم الجنابي ، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ٢٩٩ ص .

● بحث في النحو العربي ـ اي وظائفها ودلالاتها ـ رحيم جمعة علي . مجلة كلية المعلمين (بغداد) ع ٢٢ (١٤٢١ ـ ٢٠٠٠) ٢٨٥ ـ ٢٩٨ .

● بحوث تراثية ، د : احمد مطلوب ، ط ـ ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ٣٥١ ص .

● البصائر والذخائر ـ لابي حيان التوحيدي علي بن محمد أبن العباس (... ـ ٤١٤ هـ / ـ ١٠٢٣ م ، تح د : وداد القاضي ، ط ـ ٤ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ ، ١ ـ ٩ ج في ١ ـ ٤ مج + جزء مستقل للفهارس ، ٢٥٢ ص + ٤٥ ص + ١٩١ ص + ٢٤٦ ص + ٢٢٨ ص + ٢٥٣ ص + ٢٩٣ ص + ٢١٠ ص + ٣١٧ ص + ٣٧٤ ص .

● البصرة ودورها في نشأة علم الكلام ـ محمد رمضان عبد الله . الاحمدية (دبي) ع ٦ (١٤٢١ ـ ٢٠٠٠) ١٩٩ ـ ٢٥٢ .

● بهجة الناظرين الى تراجم المتاخرين من الشافعية البارعين ـ لرضي الدين ابي البركات محمد الغزي العامري . ضبطه وعلق عليه : عبد الله الكندري ، ط ـ ١ ، بيروت ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، ... ـ ٢٠٠٠ ، ٢٦٧ ص .

● بيت الحكمة العباسي عراقة الماضي ورؤية الحاضر : ابحاث الاحتفالية المئوية الثانية عشرة على تاسيسه في بغداد ١٢٠٠ عام ـ مجموعة باحثين ، ط ـ ١ ، بغداد منشورات بيت الحكمة ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ١ ـ ٢ مج ، ٦٥٩ ص + ٦٥٦ ص .

● البيهقي ومنهجه في دلائل النبوة سهيلة قربان حسن . مجلة كلية التربية الجامعة المستنصرية / بغداد ، ع ٣ (١٤٢٢ ـ ٢٠٠١) ١٥٦ ـ ١٧٩ .

● التاريخ العظيمي ـ لابي عبد الله محمد بن علي بن محمد التنوخي الحلبي المؤرخ المعروف بالعظيمي (٤٨٣ ـ ٥٣٢ هـ / ١٠٩٠ ـ ١١٣٨) دراسة وتحقيق : خضير مرزوك حسين الجنابي ، رسالة ماجستير باشراف د : حمودي

زين الدين ، مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، اتحاد المؤرخين العرب ، ١٤٢٠ ــ ١٩٩٩ .

● التذكرة السعدية في الاشعار العربية ــ لعماد الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد بن عبد الله العبيدي التبريزي الفقيه (ــ ٧٠٢ هـ حياً) تح د : عبد الله الجبوري ، ط ــ ٢١ بيروت ، منشورات دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١ ، ٦٧١ ص وهي اول طبعة تامة للكتاب .

● التذكرة في القراءات ــ لابي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون المقرىء (ــ ٣٩٩ هـ / ــ ١٠١٠ م) ــ حققه وراجعه وعلق عليه د : سعيد صالح زعيمة ط ــ ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١ ، ٥٦٨ ص .

● التذكير والتأنيث في العربية والاستعمالات المعاصرة ــ محمود اسماعيل عمار . مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٦١ ، س ٢٥ (١٤٢٢ ــ ٢٠٠١) ١٠٥ ــ ١٣٤ .

● التصحيف والتحريف . محمد مولود المشهداني . مجلة التراث العلمي العربي (بغداد) ع ٣ (١٤٢٢ ــ ٢٠٠١) ٦٤ ــ ٧٣ .

● تعريف العلا بمن لم يذكره الذهبي في النبلا ــ للتقي الفاسي تقي الدين ابي الطيب محمد بن احمد بن علي الحسيني المكي المؤرخ (٧٧٥ ــ ٨٣٢ هـ / ١٣٧٣ ــ ١٤٢٩ م) حققه وعلق عليه وقدم له ووضع فهارسه : محمود الارناؤوط واكرم البوشي ، ط ١ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ــ ١٩٩٨ ، ٤٩٣ ص .

● التقرير السنوي عن اعمال مجمع اللغة العربية « دمشق » في دورة عام ٢٠٠٠ ، مجلة مجمع اللغة العربية « دمشق » ج ٢ ، مج ٧٦ ، (١٤٢٢ ــ ٢٠٠١) ٤٥٣ ــ ٤٧٦ .

● تقويم الادلة في اصول الفقه ــ للدبوسي ابي زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفي الاصولي القاضي (٣٦٧ ــ ٤٣٠ هـ / ٩٧٨ ــ ١٠٣٩ م) قدم له وحققه الشيخ خليل محي الدين الميس ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١ ، ٤٧٢ ص .

● تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ونبذ مذهبية نافعة ــ لابن الدهان تح : ايمن نصر الدين الازهري ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١ ، ١ ــ ٢ ج ، ١٠٢٠ ص .

● التكملة والذيل والصلة ــ للصغاني (الصاغاني) رضي الدين ابي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن العمدي العدوي القرشي البغدادي الحنفي (٥٧٧١ ــ ٦٥٠ هـ / ١١٨١ ــ ١٢٥٢ م) تح : عبد العليم الطحاوي . مراجعة عبد الحميد حسن تنبيهات وتصحيحات في شواهده الشعرية ، محمد جواد النوري . مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٦١ ، س ٢٥ (١٤٢٢ ــ ٢٠٠١) ١٣٧ ــ ١٨٤ .

● تلخيص المتشابه ــ للخطيب البغدادي ابي بكر احمد ابن علي بن ثابت المحدث المؤرخ (٣٩٢ ــ ٤٦٣ هـ / ١٠٠٢ ــ ١٠٧١ م) تح : محمد حسن محمد حسن اسماعيل : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١ ، ١ ــ ٢ ج .

● التنبيه في اللغة ــ عبد الفتاح محمد . مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٦١ ، س ٢٥ (١٤٢٢ ــ ٢٠٠١) ١١ ــ ٤٦ .

● التهذيب في الفرائض ــ لابي الخطاب محفوظ بن احمد بن الحسن الكلوذاني البغدادي الحنبلي الفقيه الاصولي (٤٣٢ ــ ٥١٠ هـ ، ١٠٤١ ــ ١١١٦ م) تح : محمد حسن اسماعيل الشافعي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٠٠٠ ــ ١٩٩٨ ، ٤٠٠ ص .

● التهذيب في فقه الامام الشافعي ــ لابن الفراء ابي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي الفقيه المحدث المفسر (ــ ٥١٦ هـ / ــ ١١٢٢ م) تح : علي معوض وعادل عبد الموجود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ــ ١٩٩٧ ١ ــ ٨ ج ، ٤٩٦٠ ص .

● توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته السادسة والستين . د : شوقي ضيف . مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج ١ ، مج ٧٦ (١٤٢١ ــ ٢٠٠١) ١٩٣ ــ ١٩٦ .

● الثوية مقبرة الكوفة الكبرى . د : حسن عيسى الحكيم ، ط ــ ١١ الكوفة ، مركز دراسات جامعة الكوفة ، ١٤٢٣ ــ ٢٠٠٢ ، ٢١ ص

● جهاز النطق عند اللغويين العرب القدامى ــ احمد محمد قدور . مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) مج ١ ، مج ٧٦ (١٤٢١ ــ ٢٠٠١) ٣٩ ــ ٨٤ .

● الحجة في القراءات السبع ــ لابن خالويه ابي عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه النحوي واللغوي (ــ ٣٧٠ ، ــ ٩٨٠ م) تح : احمد فريد المزيدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ــ ١٩٩٩ ، ٢٥٥ ص .

● حقائق التفسير ــ لابي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلمي الازدي النيسابوري الصوفي (٣٢٥ ــ ٤١٢ هـ / ٩٣٧ ــ ١٠٢١ م) تح : سيد عمران ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١ ، ١ ــ ٢ ج ، ٨٩٦ ص .

● حلية الفقهاء ــ لابي الحسين احمد بن فارس اللغوي (ــ ٣٩٥ هـ / ــ ١٠٠٤ م) تح : محمد حسن اسماعيل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ــ ٢٠٠٠ ، ١٦٠ ص .

● حماسة ابي تمام برواية الجواليقي . وضع حواشيه : احمد حسن بسام ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ــ ١٩٩٨ ، ٤٦٢ ص .

● خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ــ عبد القادر بن عمر البغدادي ثم المصري الاديب اللغوي (١٠٣٠ ــ ١٠٩٣م / ١٦٢١ ــ ١٦٨٢ م) تح د : نبيل طريفي باشراف د : إميل يعقوب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ ــ ١٩٩٨ ، ١ ــ ١٣ ج مع الفهارس ، ٦٢٩٠ ص .

● الخصائص ــ لابي الفتح عثمان بن جلي الموصلي الاديب النحوي اللغوي (٣٢٠ ــ ٣٩٢ هـ / ٩٤٢ ــ ١٠٠١ م) تح د : عبد الحميد هنداوي ، ط ــ ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١ ١ ــ ٣ ج ، ١٤٤٨ ص

• خطط بغداد في دراسات المؤرخين المحدثين ، د : عماد عبد السلام رؤوف ، ط ـ ١ ، بغداد ، منشورات المكتبة العصرية ، طبع دار المثنى للطباعة والنشر ، ٠٠٠ ـ ٢٠٠٢ ، ٩٥ ص . سلسلة / ملتقى القاموسي[1] .

• الخطيب البغدادي واثره في مؤرخي اعلام بغداد ـ د : حسن عيس الحكيم ، الكوفة دن ، نم ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ٦٩ ص .

• خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال ـ لصفي الدين احمد بن عبد الله بن ابي الخير الخزرجي الانصاري الساعدي (٩٠٠ ـ ٩٢٣ هـ / ١٤٩٥ ـ ١٥١٧ م) تح : مجدي منصور سيد الشورى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠١ ، ١ ـ ٣ ج ١٦٣٢ ص .

• الدر المنثور في التفسير بالماثور ـ للسيوطي جلال الدين ابي الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن محمد الخضيري المصري الشافعي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ / ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م) اعد فهارسه : طارق فتحي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠٠ ، ١ ـ ٧ ج مع الفهارس ، ٤٤٧٢ ص .

• الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ـ تاليف : زينب فواز : زينب بنت علي بن حسين العاملية الادبية الناثرة (١٢٦٢ ـ ١٣٣٢ / ١٨٤٦ ـ ١٩١٤) تح : محمد ضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ١٩٩٩ ، ١ ـ ٢ ج ، ٨٧٦ ص .

• الدر النظيم في خواص القرآن العظيم ـ لليافعي عفيف الدين ابي محمد عبد الله بن اسعد بن علي اليمني ثم المكي الشافعي (٧٠٠ ـ ٧٦٨ هـ / ١٠٣١ ـ ١٣٦٧) بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠٠ ، ١١٩ ص .

• الدراسات النحوية في تفسير ابن عرفة (ت ٨٠٣ هـ) ـ حسن عبد الله بستاني رسالة ماجستير باشراف د : ندى عبد الرحمن الشايع ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢٠ ـ ٢٠٠١ ، ١٦٣ ص . وتفسير ابن عرفة غير مطبوع وقد اعتمد الطالب على مخطوطة المجمع العلمي العراقي عن الاصل المصور في مدينة الموصل .

• الدرس النحوي في تفسير الميزان ، للطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) ـ رحيم كريم علي حمزة الشريفي رسالة ماجستير باشراف د : صباح عباس السالم ، كلية التربية ، جامعة بابل ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ١٧١ ص .

• دفع المضار الكلية عن الابدان الانسانية ـ لابن سينا الشيخ الرئيس ابي علي الحسين بن عبد الله بن الحسن الفيلسوف الطبيب الشاعر (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ / ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) تح : احمد فريد المزيدي ومنى شلبي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠١ ، ٨٠ ص .

• دلائل الاعجاز في علم المعاني ـ لابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الشافعي النحوي البياني الفقيه (ـ ٤٧١ هـ / ـ ١٠٧٨ م) تح د : عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠١ ، ٣٦٨ ص

• الدلالة على الله ـ لابي القاسم عبد الرحمن الصقلي . حققه وعلق عليه : احمد فريد المزيدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠١ ، ١٦٠ ص

• الدلالة عند العطار الهمذاني (ت ٥٦٩ هـ) (في كتابه الهادي في معرفة المقاطع والمبادىء) ـ رائد داود ابراهيم العيثاوي ، رسالة ماجستير باشراف د : عبد الرزاق احمد الحربي كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ٥٧٢ ص

• دليل فهارس المجلدات الست لمخطوطات اللغة العربية المخزونة في مكتبة / رضا امفور ـ اعداد ابي سعد الاصلاحي ، ٢٣٤ ص قطع كبير ، بومبي (الهند) ، منشورات وقار الحسن الصديقي مكتبة (رضا امفور في بومبي . ثقافة الهند (الهند) ع ٢ ، مج ٥٢ (ـ ٢٠٠١) ١٥٥ ـ ١٥٧ .

• دليل المخطوطات والرسائل الجامعية والكتب العربية المطبوعة ـ اعداد : جهاد بيضون بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠١ دورية تصدر كل ثلاثة اشهر .

• الذخيرة التراثية قائمة وراقية (ببليوغرافيا) منتقاة بالتراث العربي المحقق (مطبوعاً وغير مطبوع) والبحوث التراثية المنشورة في الدوريات العربية الصادرة في العراق والوطن العربي والعالم الاسلامي وفي غيرها وما اشتملت عليه بحوث المؤتمرات والحلقات والبحوث المهداة وكتب التكريم والدراسات التراثية الحديثة والرسائل الجامعية . اعد مادة الذخيرة ورتبها : حسن عريبي الخالدي . وتقع في عشرة اجزاء ضخام . سيقوم على طبعها ونشرها تباعاً ـ متفضلاً ومشكوراً ـ بيت الحكمة في بغداد . وقد فرغ صاحبها من اعداد الجزء الاول منها وسيطبع هذا العام ـ ان شاء الله ـ

• الذخيرة في فروع المالكية ـ للقرافي شهاب الدين ابي العباس احمد بن ادريس بن عبد الرحمن البهنسي المصري الفقيه الاصولي (٦٢٦ ـ ٦٨٤ هـ / ١٢٢٨ ـ ١٢٨٥ م) تحقيق وتعليق ابي اسحاق احمد بن عبد الرحمن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠١ ، ١ ـ ١٠ ج ، ٥١٦٨ ص

• رد التشديد في مسألة التقليد ـ احمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللمفي البكري الصديقي المالكي (١٠٩٠ ـ ١١٥٥ هـ / ١٦٧٩ ـ ١٧٤٢ م) دراسة وتحقيق : عبد المجيد خيالي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠١ ، ٩٦ ص

• رسائل الجاحظ ـ تح : محمد باسل عيون السود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠٠ ، ١ ـ ٢ مج ، ١٢٧٩ ص

• الرسائل الدينية في العصر العباسي حتى نهاية عهد المتوكل ١٣٢ ـ ٢٤٧ هـ ـ عمر وفيق ضياء رسالة دكتوراه ، كلية الاداب ، الجامعة الاردنية ، ٠٠٠ ـ ٢٠٠١ .

• رسالتان في اهل الذمة (مصباح الارواح في اصول الفلاح) و (الاعلام بما اغفله الاعوام) ، ـ لمحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني الفقيه المفسر المحدث (ـ ٩٠٩ هـ / ـ ١٥٠٣ م) وابن عظوم عبد الجليل بن محمد بن احمد بن عظوم المرادي القيرواني (ـ ٩٦٠ هـ / ـ ١٥٥٣ م) دراسة وتحقيق : عبد المجيد الخيالي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ٢٠٠١ ، ٧٩ ص

● رسالتان في الرد على اليهود ـ عبد الحق الاسلامي والسلطان العلوي . دراسة وتحقيق : عبد المجيد الخيالي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ، ٢٠٠١ ، ١٠٤ ص

● رشف الضرب من شرح لامية العرب ـ للسويدي البغدادي جمال الدين ابي البركات عبد الله بن الحسين بن مرعي البغدادي الاديب الشاعر المحدث الفقيه النحوي (١١٠٤ ـ ١١٧٤ هـ / ١٦٩٢ ـ ١٧٦١ م) دراسة وتحقيق : عصام عكلة عبد القهار الكبيسي رسالة ماجستير اشراف د : انقاذ عطا الله محسن العاني ، كلية التربية ، جامعة الانبار ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ٢١٤ ص

● زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ـ لركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار المصري الامير المؤرخ (ـ ٧٢٥ هـ / ـ ١٣٢٥ م) تح : دونالد . س . ريتشاردز ط ـ ١ بيروت ، المعهد الالماني للابحاث الشرقية ، طبع مطبعة مؤسسة حسيب دوغام واولاده ، ١٤١٨ ـ ١٩٩٨ ، ٤٨٨ ص (الكتاب) + ٢٨ ص بالالمانية .

● الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ـ للتقي الفاسي تقي الدين ابي الطيب محمد بن احمد بن علي الحسيني المكي المؤرخ (٧٧٥ ـ ٨٣٢ هـ / ١٣٧٣ ـ ١٤٢٩ م) حققه وعلق عليه : اديب محمد الغزاري قرأه وقدم له : محمد الارناؤوط ، ط ـ ١ ، بيروت دار صادر للطباعة والنشر ، ـ ، ٢٠٠٠ ، ٣١٩ ص

● سر صناعة الاعراب ـ لابي الفتح عثمان بن جني الموصلي الاديب النحوي اللغوي (٣٣٠ ـ ٣٩٢ هـ / ٩٤٢ ـ ١٠٠١ م) تح : محمد حسن اسماعيل واحمد رشدي شحاته عامر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ، ٢٠٠٠ ، ١ ـ ٢ ج

● سفر السعادة وسفير الافادة ـ للعلم السخاوي علم الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي المقرىء اللغوي (٥٥٨ ـ ٦٤٣ هـ / ١١٦٣ ـ ١٢٤٥ م) حققه وعلق عليه ووضع فهارسه د : محمد احمد الدالي قدم له د : شاكر الفحام ، ط ٢ مزيدة ومنقحة بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ ، ١ ـ ٢ ج ، ٥٢٧ ص + ٥٣٣ ص ـ ١١٠٢ ص + ٥ ـ ٢٦٢ فهارس

● شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) ـ لابن مالك جمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني الشافعي النحوي (٦٠١ ـ ٦٧٢ هـ / ١٢٠٤ ـ ١٢٧٤ م) تح : محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ، ٢٠٠١ ، ١ ـ ٣ ج ، ١٤٨٨ ص

● شرح جمل الزجاجي ـ لابن عصفور ابي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي الاشبيلي الاندلسي النحوي اللغوي (٥٩٧ ـ ٦٦٩ هـ / ١٢٠١ ـ ١٢٦٥ م) وضع هوامشه : فواز الشعار باشراف د : اميل يعقوب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ، ١٩٩٨ ، ١ ـ ٢ ج مع الفهارس

● شرح الكافية الشافية ـ لابن مالك جمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني الشافعي النحوي (٦٠١ ـ ٦٧٢ هـ / ١٢٠٤ ـ ١٢٧٤ م) تح : علي معوض وعادل عبد الموجود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ، ٢٠٠٠ ، ١ ـ ٢ ج ، ١٢٦١ ص

● شروح اللمع في العربية لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) دراسة موازنة ـ ازهار حسون محمد الساعدي رسالة دكتوراه باشراف د : قيس اسماعيل الاوسي ، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد ، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ، ٣١٢ ص

● الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ للجوهري ابي نصر اسماعيل بن حماد (ـ ٣٩٣ / ـ ١٠٠٢ م) تح : إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ١٩٩٩ ، ١ ـ ٧ ج مع الفهارس .

● صحيفة بشر بن المعتمد (ت ٢١٠ هـ) واثرها في الدرس البلاغي والنقدي قديماً وحديثاً ـ نهلة حنون سادة الحلفي ، رسالة ماجستير باشراف د : حسن يحيى الخفاجي كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢١ ـ ٢٠٠١ ، ١٤٦ ص .

● عرض كتاب الامارة الايوبية في حلب (٥٧٩ ـ ٦٥٨ هـ / ١١٨٣ ـ ١٢٦٠) تاليف آن ، ماري ، ادبه ، ط ـ ١ ، شتوتغارت (المانيا) ـ ، ١٩٩٩ ، سلسلة دراسات اسلامية ج ـ ٢ ـ ببي المعدني . مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج ٢ ، مج ٧٦ ، (١٤٢٢ ـ ٢٠٠١) ٤٧٧ ـ ٤٨٤ .

● العقد المنظوم في الخصوص والعموم ـ للقرافي شهاب الدين ابي العباس احمد بن ادريس بن عبد الرحمن البهنسي المصري الفقيه الاصولي (٦٢٦ ـ ٦٨٤ هـ / ١٢٢٨ ـ ١٢٨٥ م) تح : علي معوض وعادل عبد الموجود ، بيروت دار الكتب العلمية ، ـ ، ٢٠٠١ ، ٧٧٦ ص

● عقود الزبرجد على مسند الامام احمد ـ للسيوطي جلال الدين ابي الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد الخضيري المصري الشافعي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ / ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م) تح : احمد عبد الفتاح تمام وسمير حسين حلبي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ١٩٨٧ ، ١ ـ ٢ ج ، ٨٩٦ ص

● العمدة في محاسن الشعر وآدابه ـ لابن رشيق القيرواني ابي علي الحسن بن رشيق الشاعر الاديب الناقد (٣٩٠ ـ ٤٦٣ هـ / ١٠٠٠ ـ ١٠٧١ م) تح : محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ، ٢٠٠١ ، ١ ـ ٢ ج في مجلد ٧٢٠ ص

● فلسفة الحكم بين عبد القاهر البغدادي والقاضي عبد الجبار (دراسة مقارنة) سعد خميس الحديثي . الفلسفة (بغداد) ع ١ (١٤٢٢ ـ ٢٠٠١) ٣٠٨ ـ ٣٢٨

● فنون الافنان في عيون علوم القرآن ـ لابن الجوزي جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الصديقي البغدادي الحنبلي المؤرخ (٥١٠ ـ ٥٩٧ هـ / ١١١٦ ـ ١٢٠١ م) تح : محمد حسن محمد حسن اسماعيل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ، ٢٠٠١ ، ١٦٨ ص

● فهارس الكتب المطبوعة (الكتب العربية المطبوعة) ـ CD ROM ، اعداد : جهاد بيضون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـ ، ٢٠٠١ ، نشرة دورية تصدر كل ثلاثة شهور .

• القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي ـــ للشماع الحلبي زين الدين ابي حفص عمر بن احمد بن علي بن محمود المحدث الفقيه الاخباري الاديب (٨٨٠ ـــ ٩٣٦ هـ / ١٤٧٥ ـــ ١٥٢٩) حققه وعلق عليه وصنع فهارسه : اسماعيل مروة وخلدون حسن اسماعيل مروة ، خرج احاديثه وقدم له : محمود الارناووط ، ط ـــ ١) بيروت ، منشورات دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤١٨ ـــ ١٩٩٨ ، ١ ـــ ٢ مج

• القبس في شرح موطا مالك بن انس ـــ لابن العربي ابي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي الاندلسي الحافظ الفقيه (٤٦٨ ـــ ٥٤٣ هـ / ١٠٧٦ ـــ ١١٤٨) تح : ايمن وعلاء الازهري ، ط ـــ ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ، ١ ـــ ٤ ج مع الفهارس ، ٢٠٣٢ ص

• قبول الاخبار ومعرفة الرجال ـــ لابي القاسم عبد الله بن احمد بن محمود البلخي البغدادي المعتزلي (... ـــ ٣١٩ هـ / ... ـــ ٩٣١م) تح : الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠٠ ، ١ ـــ ٢ ج ، ٨٤٨ ص

• كتاب القدرو ما ورد في ذلك من الآثار ـــ لابي محمد عبد الله بن وهيب بن مسلم القرشي المصري المالكي المحدث المقرىء (١١٥ ـــ ١٩٧ هـ / ٧٣٣ ـــ ٨١٣م) تح : محمود نصار بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ١٩٩٩ ، ١٦٧ ص

• قرارات وتوصيات مجلس اتحاد المجامع اللغوية العربية المنعقد في القاهرة يوم الثلاثاء ١٣ محرم ١٤٢١ الموافق ١٨ ابريل ٢٠٠٠ ، مجلة مجمع "اللغة العربية (دمشق) ج ١ ، مج ٧٦ (١٤٢١ ـــ ٢٠٠١) ١٩٧ ـــ ١٩٨ .

• القربة الى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين ـــ لابن بشكوال ابي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الانصاري القرطبي الاندلسي (٤٩٤ ـــ ٥٧٨ هـ / ١١٠١ ـــ ١١٨٢ م) تح : سيد محمد سيد وخلاف عبد السميع ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ١٩٩٩ ، ١٢٨ ص

• الكاشف عن المحصول في علم الاصول ، لشمس الدين ابي عبد الله محمد بن محمود العجلي الاصفهاني الشافعي الفقيه الاصولي المتكلم (٦١٦ ـــ ٦٨٨ هـ / ١٢١٩ ـــ ١٢٨٩ م) تح : علي معوض وعادل عبد الموجود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ١٩٩٩ ، ١ ـــ ٦ ج ، ٣٥٧٦ ص

• الكافي في فقه الامام احمد بن حنبل ـــ لابن قدامة المقدسي موفق الدين ابي محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي الفقيه (٥٤١ ـــ ٦٢٠ هـ / ١١٤٧ ـــ ١٢٢٣ م) حققه وعلق عليه : محمد حسن اسماعيل الشافعي ، بيروت طبعة جديدة ، دار الكتب العلمية ، ١ ـــ ٤ ج ، ١٧٥٢ ص

• الكافي في القراءات السبع ـــ لابي عبد الله محمد بن شريح بن احمد بن شريح الرعيني الاشبيلي الاندلسي المقرىء (٣٩٢ ـــ ٤٧٦ هـ / ١٠٠٢ ـــ ١٠٨٤ م) تح : احمد محمود عبد السميع الشافعي . بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠٠ ، ٢٤٠ ص

• الكامل في اللغة والادب ـــ للمبرد ابي العباس محمد بن يزيد بن الاكبر الثمالي الازدي البصري البغدادي النحوي اللغوي (٢١٠ ـــ ٢٨٥ هـ / ٨٢٥ ـــ ٨٩٨ م) تح د : عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ١٩٩٩ ، ١ ـــ ٤ ج مع الفهارس العامة ، ١٦٠٤ ص

• كتب الاسماء والكنى والالقاب ودورها في التحقيق ـــ د : شاكر محمود عبد المنعم مجلة التراث العلمي العربي (بغداد) ع ٣ (١٤٢٢ ـــ ٢٠٠١) ١١٢ ـــ ١٢٠

• الكتب العربية المطبوعة : دليل الكتب المطبوعة في العالم العربي ـــ اعداد : جهاد بيضون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ، يصدر كل ثلاثة اشهر

• كشف الحال عن الوجوه التي ينتظم منها بيت المال ـــ للشيخ محمد بن المطالب بن سودة الفاسي التاودي الفقيه المحدث (١١٢٨ ـــ ١٢٠٧ هـ / ١٧١٦ ـــ ١٧٩٣) تح : عبد المجيد الخيالي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠٠ ، ٩٦ ص

• الكف عن العمل النحوي بين التعليلات الشكلية والمعنوية ـــ عبد الكريم مجاهد مجلة مجمع اللغة العربية « دمشق » ، ج ١ ، مج ٣٦ (١٤٢١ ـــ ٢٠٠١) ٨٥ ـــ ١٣٤

• اللطف واللطائف ـــ للثعالبي ابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الاديب الناثر الناظم اللغوي (٣٥٠ ـــ ٤٢٩ هـ / ٩٦١ ـــ ١٠٣٨ م) تح د : محمود عبد الله الجادر ، ط ٢ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة ، ـــ ٢٠٠٢ ، ٩٤ ص

• المجاز معياراً في النقد العربي القديم ـــ ارميض مطر حمد الدليمي رسالة دكتوراه باشراف د : حسن يحيى محمد ، رضا الخفاجي ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٢١ ـــ ٢٠٠٠ ١٨٩ ص

• المجالسة وجواهر العلم ـــ لابي بكر احمد بن مروان بن محمد الدينوري المحدث الفقيه المالكي نزيل مصر (٢١٤ ـــ ٢٩٨ هـ / ٨٢٩ ـــ ٩١٠) تح : السيد يوسف احمد ، بيروت دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠٠ ، ١ ـــ ٣ ج ، ١٣٦٠ ص

• المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ـــ لابي الفتح عثمان بن جني الموصلي الاديب النحوي اللغوي (٣٣٠ ـــ ٣٩٢ هـ / ٩٤٢ ـــ ١٠٠١) تح : محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ـــ ١٩٩٨ ، ١ ـــ ٢ ج ، ٩١٢ ص

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـــ لابن عطية ابي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي الغرناطي الاندلسي المفسر النحوي (٤٨١ ـــ ٥٤١ هـ / ١٠٨٨ ـــ ١١٤٧ م) تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ١ ـــ ٦ ج مع الفهارس ، ٣٠٤٨ ص

• المحصول في علم اصول الفقه ـــ للفخر الرازي (ابن خطيب

الري) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ / ١١٤٩ ـ ١٢٠٩) دراسة وتحقيق د : طه جابر فياض العلواني ، ط ٣ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٨ ـ ١٩٩٧ ،

١ ـ ٦ ج ٤٢١، ص + ٤٠٨ ص + ٣٨٤ ص + ٤٨٠ ص + ٤٧٦ ص + ٤٧٢ ص (الفهارس)

● المحصول في علم الاصول ـ للفخر الرازي (ابن خطيب الري) فخر الدين ابي عبد الله محمدبن عمر بن الحسن التيمي البكري الشافعي المفسر المتكلم الاصولي (٥٤٣ ـ ٦٠٦ هـ / ١١٤٩ ـ ١٢١٠ م) (تح : محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٠٠٠ ـ ١٩٩٩ ، ١ ـ ٢ ج ، ١٠٠٠ ص

● المحكم والمحيط الاعظم ـ لابن سيدة ابي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي الاندلسي الضرير اللغوي (٣٩٨ ـ ٤٥٨ هـ / ١٠٠٧ ـ ١٠٦٦ م) تح د : عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠٠ ، ١ ـ ١١ ج مع الفهارس ، ٦٦٤٠ ص

● مختصر عجائب الدنيا ـ لابراهيم بن وصيف شاه المؤرخ (ـــ ٥٩٩ هـ / ـــ ١٢٠٣ م) تح : سيد كسروي حسن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ، ٤١٦ ص

● مخطوط انس المهج وروض الفرج للشريف الادريسي (٤٩٣ ـ ٥٦٠ هـ / ١١٠٠ ـ ١١٦٤ م) عرض وتحليل د : الوافي نوحي . آفاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٣٦ ، س ٩ (١٤٢٢ ـ ٢٠٠٢) ١٢٣ ـ ١٣١ .

● المسالك والممالك ـ لابن خردانبة ابي القاسم عبيد الله بن احمد بن خردانبة المؤرخ الكاتب (ـــ ٣٠٠ هـ / ـــ ٩١٣ م) تح : خير الدين محمود قبلاوي نقد وتعريق : حمد الجاسر . مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج ١ ، مج ٧٦ (١٤٢١ ـ ٢٠٠١) ١٥١ ـ ١٥٦ .

● المستطرف من كل فن مستظرف ـ للابشيهي بهاء الدين ابي الفتح محمد بن احمد بن منصور الابشيهي المحلي الشافعي الاديب (٧٩٠ ـ ٨٥٠ هـ / ١٣٨٨ ـ ١٤٤٦ م) عني بتحقيقه : ابراهيم صالح ، ط ـ ١ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ٠٠٠ ـ ١٩٩٩ ، ١ ـ ٣ مج ، ٦٠٥ ص + ٦٠٢ ص + ٥٧٠ ص

● المصباح في اذكار المساء والصباح ـ محمد بن محمد الصالحي المنبجي الحنبلي تح : احمد فريد المزيدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ، ٣١٢ ص

● المصباح في المعاني والبيان والبديع ـ لابن الناظم بدر الدين ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الطائي الدمشقي الشافعي اللغوي العروضي ، تح وتقديم د : عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ، ٣١٢ ص

● المصطلح الصرفي في كتاب سيبويه ـ خديجة عبد الرزاق الحديثي ، الحكمة (لندن) ع ١٥ (١٤١٩ ـ ١٩٩٩) ٢٩٣ ـ ٣٩٠ .

● المصطلحات والرموز للقراء في كتب القراءات ـ د : حاتم صالح الضامن . آفاق الثقافة والتراث (دبي) ع ٣٦ ، س ٩ (١٤٢٢ ـ ٢٠٠٢) ٦ ـ ١٦

● معالم القربة في احكام الحسبة ـ لابن الاخوة ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد القرشي (٦٤٨ ـ ٧٢٩ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٣٢٩ م) علق عليه ووضع حواشيه ابراهيم شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ، ٢٥٦ ص

● معاني القراءات ـ لابي منصور محمد بن احمد بن الازهر الازهر الشافعي اللغوي (٢٨٢ ـ ٣٧٠ هـ / ٨٩٥ ـ ٩٨٠ م) تح : احمد فريد المزيدي ، بيروت دار الكتب العلمية ، ـــ ١٩٩٩ ، ٣٢٠ ص

● المعتمد في الادوية المفردة ـ للملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني اليمني (٦١٩ ـ ٦٩٤ هـ / ١٢٢٢ ـ ١٢٩٥ م) ضبطه وصححه : محمود عمر الدمياطي بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠٠ ، ٤٣٢ ص

● المعتمد في اصول الفقه لابي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي المتكلم الاصولي البغدادي (ـــ ٤٣٦ هـ / ـــ ١٠٤٤ م) قدم له وضبطه الشيخ خليل الميس ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ١٩٩٥ ، ٨٩٧ ص

● معجم الاعشاب والنباتات الطبية ـ حسان قبيسي ، ط ـ ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ١٩٩٩ ، ٥٦٨ ص

● معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير في كتاب القانون ، لابن سينا ـ وفاء تقي الدين . مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ج ١ ، مج ٧٦ (١٤٠١ ـ ٢٠٠١) ١٣٥ ـ ١٥٠ (١٤)

● المعجم المفصل في الاشجار والنباتات في لسان العرب ـ كوكب دياب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ، ٣٢٨ ص

● المعجم المفصل في تصريف الافعال العربية ـ محمد باسل عيون السود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠٠ ، ٦٧٢ ص

● المعجم المفصل في علوم اللغة (الالسنيات) ـ محمد التونجي وراجي الاسمر ، راجعه د : إميل بديع يعقوب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ، ١ ـ ٢ ج ١٠٢٤ ص

● المعجم المفصل في المذكر والمؤنث ـ اميل بديع يعقوب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠١ ، ٥٦٠ ص

● المعلم بشيوخ البخاري ومسلم ـ لابن خلفون ابي بكر محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن الازدي المحدث الحافظ (٥٥٥ ـ ٦٣٦ هـ / ١١٦٠ ـ ١٢٣٩ م) تح ابي عبد الرحمن عادل بن سعد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠٠ ، ٦٤٠ ص .

● المفيد في القراءات الثمان ـ لابي عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي (حدود ٥٦٠ هـ) دراسة وتحقيق : محمد احمد يوسف الصماني رسالة ماجستير باشراف د : محمد امين الكبيسي ، كلية التربية ، جامعة الانبار ، ١٤٢١ ـ ٢٠٠ ، ٥٠١ ص

● المقنع في علم الشروط ـ لابي جعفر احمد بن مغيث بن احمد بن مغيث الصدفي الطليطلي الاندلسي (٤٠٦ ـ ٤٥٧ هـ / ١٠١٥ ـ ١٠٦٥ م) وضع حواشيه ضحى الخطيب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ـــ ٢٠٠٠ ، ٢٤٨ ص

● الملتقط في الفتاوي الحنفية ـ لناصر الدين ابي القاسم محمد

بن يوسف بن محمد العلوي السمرقندي المدني الحنفي الفقيه المتكلم (ــ ٥٥٦ هـ / ــ ١١٦١ م) تح : محمود نصار والسيد يوسف احمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ــ ٢٠٠٠ ، ٤٨٨ ص

• من اسمه عمرو من الشعراء ــ لابن الجراح ابي عبد الله محمد بن داود بن الجراح الاديب الكاتب الوزير (٢٤٣ ــ ٢٩٦ هـ / ٨٥٧ ــ ٩٠٨ م) تح د : عبد العزيز بن ناصر المانع تقديم علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ، طـ ١ ، القاهرة ، طبع مطبعة المدني المؤسسة العربية السعودية بمصر ، ١٤١٢ ، ١٩٩١ ، ٢٩٤ ص

• من مسائل العربية : هل ينصب ظرف الزمان على المصدر على الظرف ــ محمد احمد الدالي مجلة مجمع اللغة العربية « دمشق » ج ١ ، مج ٧٦ (١٤٢١ ــ ٢٠٠١) ٢١ ــ ٣٨ .

• منازل الاحباب ومنازه الالباب ــ للشهاب الحلبي . شهاب الدين ابي الثناء محمود بن سلمان بن فهد الحلبي (٦٤٤ ــ ٧٧٥ هـ / ١٢٤٦ ــ ١٣٢٥ م) حققه وقدم له د : محمد الديباجي ، طـ ١ ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ــ ٢٠٠٠ ، ٤٤٢ ص .

• المنتقى شرح موطا مالك ــ لابي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد التجيبي القرطبي الباجي الاندلسي (٤٠٢ ــ ٤٧٤ هـ / ١٠١٣ ــ ١٠٨١ م) تح : محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٠٠٠ ــ ١٩٩٩ ، ١ ــ ٩ ج ، ٤٦٨٠ ص .

• المنثور في القواعد ــ للزركشي بدر الدين ابي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الشافعي الفقيه الاصولي (٧٤٥ ــ ٧٩٤ هـ / ١٣٤٤ ــ ١٣٩٢ م) تح : محمد حسن محمد حسن اسماعيل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ــ ٢٠٠٠ ، ١ ــ ٢ ج ٨٨٠ ص .

• المنصف شرح كتاب التصريف ــ لابي الفتح عثمان بن جني الموصلي الاديب النحوي اللغوي (٣٣٠ ــ ٣٩٢ هـ / ٩٤٢ ــ ١٠٠١ م) تح : محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ــ ١٩٩٩ ، ٧٠٤ ص .

• منطقة القادسية دراسة تاريخية جغرافية مستندة الى المصادر التاريخية والادبية والمسح الميداني . الاستاذ : كامل سلمان الجبوري ، ٢٤٦ ص . مستل من مجلة (الذخائر) اللبنانية العدد الثامن للسنة الثانية ، ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١ .

• النابغة النبياني بين ناقديه قديماً وحديثاً ، ايمان محمد ابراهيم العبيدي ، رسالة ماجستير باشراف ، د : صميم كريم الياس ، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد ، ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١ ، ٢٢٠ ص .

• النصب على الخلاف ــ د : خولة الهلالي . الاداب (بغداد) ع ٥٧ (١٤٢٢ ــ ٢٠٠١) ١٨٥ ــ ٢٠٩ .

• نصر بن سيار حياته وشعره ــ سمية محمد سراس . رسالة ماجستير ، كلية الاداب الجامعة الاردنية ــ ٢٠٠١ (تعريف) ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع٦١ ، س ٢٥ (١٤٢٢ ــ ٢٠٠١) ٢٥٣ ــ ٢٥٤ .

• نظرات في سيرة كشاجم وآثاره ــ محمد عبد الله العزام . مجلة مجمع اللغة العربية « دمشق » ج ١ ، مج ٧٦ (١٤٢١ ــ ٢٠٠١) ١٥٧ ــ ١٩٢ ج ٢ ، مج ٧٦ (١٤٢١ ــ ٢٠٠١) ٢٧٥ ــ ٢٨٦ .

• نفائس الاصول في شرح المحصول ــ للقرافي شهاب الدين ابي العباس احمد بن ادريس بن عبد الرحمن البهنسي المصري الفقيه الاصولي (٦٢٦ ــ ٦٨٤ هـ / ١٢٢٨ ــ ١٢٨٥ م) تح : محمد عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ــ ٢٠٠٠ ، ١ ــ ٤ ج ، ٢٥٤٤ ص .

• نقود الدولة البويهية ٣٣٤ ــ ٤٤٧ ــ ناهض عبد الرزاق دفتر . الاداب (بغداد) ع ٥٧ (١٤٢٢ ــ ٢٠٠١) ١٣٥ ــ ١٥٤ .

• نكت الوزراء ــ لابي المعالي المؤيد بن محمد الجاجرمي . تح د : نبيلة عبد المنعم ، طـ ١ ، بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ــ ٢٠٠٠ ، ٢١٠ ص .

• كتاب هواتف الجنان ــ للخرائطي ابي بكر محمد بن جعفر بن محمد السامري المحدث الاديب (٢٤٠ ــ ٣٢٧ هـ / ٨٥٤ ــ ٩٣٨ م) تح : ابراهيم صالح ، طـ ١ ، دمشق ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢١ ــ ٢٠٠١ ، ١٠٧ ص .
نوادر الرسائل ــ ٣

• الهوامل والشوامل (سؤالات ابي حيان التوحيدي لابي علي مسكويه) ــ تح : سيد كسروي حسن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ــ ٢٠٠١ ، ٤١٦ ص .

• وسائل الاسلاف الى مسائل الخلاف ــ لسبط ابن الجوزي شمس الدين ابي المظفر يوسف بن عبد الرحمن قزاوغلي البغدادي الدمشقي المحدث الحافظ المؤرخ (٥٨١ ــ ٦٥٤ هـ / ١١٨٥ ــ ١٢٥٦ م) تح : سيد محمد مهني ، بيروت ، دار الكتب العلمية ــ ١٩٩٨ ، ٦٨٠ ص .

• لمحات الانوار ونفحات الازهار في فضائل القرآن العظيم ــ لابي القاسم محمد بن عبد الواحد بن ابراهيم الغافقي الملاحي الغرناطي الاندلسي (٥٤٩ ــ ٦١٩ هـ) دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي العزاوي طـ ١ ، بغداد ، شركة الخنساء ، ــ ٢٠٠١ ، ١٨٤ ص .

• جامع الانوار في مناقب الاخيار تراجم الوجوه والاعيان المدفونين في بغداد وما جاورها من البلاد ــ لعيسى صفاء الدين البندنيجي القادري . تح : اسامة ناصر النقشبندي ومهدي عبد الحسين النجم ، طـ ١ ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ١٤٢٢ ــ ٢٠٠٢ ، ٦٣١ ص .

• المدائح النبوية في ادب القرنين السادس والسابع للهجرة ــ د : ناظم رشيد طـ ١ بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية (آفاق عربية) وزارة الثقافة ١٤٢٣ ــ ٢٠٠٢ ، ١٣٨ ص .

• الكوفة من الجامع الى الجامعة د : حسن عيسى الحكيم ، النجف الاشرف ، مكتب المناهل ، ١٤٢١ ــ ٢٠٠٠ ، ٢٩ ص .

• الامالي وهي المعروفة بالامالي الخميسية للامام المرشد بالله يحيى بن الحسين بن اسماعيل الحسني الشجري الجرجاني (ت ٤٩٩ هـ) رتب هذه الامالي العلامة محي الدين محمد بن احمد بن علي القرشي العبشمي (ت ٦٢٢ هـ) تح : محمد حسن محمد

اسماعيل بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ - ١٤٢١ - ٢٠٠١ - ٢ مج ، ٣٩٠ ص + ٤٤٠ ص .

● الاستشهاد بشعر المولدين والمعاصرين في المعجم الكبير د : احمد بن محمد الضبيب العرب (الرياض) ج ٧ - ٨ - س ٣٧ (١٤٢٣ - ٢٠٠٢) ٣٠٥ - ٣١٧ .

● تعاليق على مسائل من كتاب « الخاطريات » لابي الفتح عثمان بن جني تح د : عبد الفتاح السيد سليم نقد : وليد محمد السراقبي العرب « الرياض » ج ٧ - ٨ س ٣٧ (١٤٢٣ - ٢٠٠٢) ٣٨٠ - ٣٩٨ .

● خصائص طريقة ابن البواب في الكتابة - الاستاذ هلال ناجي . العرب (الرياض) ج ٧ - ٨ ، س ٣٧ (١٤٢٣ - ٢٠٠٢) ٣١٨ - ٣٣١ .

● رحلتي الى مكة (١٣١٣ / ١٨٩٤) للفرنسي جيل - جرفيه كور تلمون قرأها وترجم منها وعلق عليها د : محمد خير البقاعي العرب (الرياض) ج ٧ - ٨ ، س ٣٧ (١٤٢٣ - ٢٠٠٢) ٣٤٢ - ٣٦١

● شعر عمرو بن مخلاة الكلبي دراسة وتحقيق الاستاذ : قيس كاظم الجنابي العرب (الرياض) ج ٧ - ٨ ، س ٣٧ (١٤٢٣ - ٢٠٠٢) ٣٧١ - ٢٧٩ .

مطبوعات وصلت الى المجلة

● نجلة محمد البكري

منشورات المجمع العلمي

■ **التيار القومي في الشعر العربي الحديث في الجزائر للدكتور رؤوف الواعظ .. بغداد - ٢٠٠٢ م**

تناول الباحث دراسة الادب « الجزائري » الحديث عامة والشعر خاصة مسترشداً بنماذج لشعراء جزائريين كانوا يؤمنون ايماناً عميقاً بامتهم العربية ويؤمنون كذلك بتطلعها المشروع الى تحقيق اسمى هدف من اهدافها الا وهو الوحدة العربية - وبهذا اكد الباحث على ان الشعر الجزائري كان يمثل افكاراً قومية ويعكس عقائد الشعراء في مناحيهم العربية وشعورهم الديني المرتبط بالنزعة القومية ويشد حتى ازرها .

■ **دراسات في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر . تاليف الدكتور ابراهيم خلف العبيدي** - « تناول المؤلف التصوف في العهد الوطاسي والعوامل التي اسهمت في انتشاره وتاثيره على الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . كما تطرق الى حركة الجهاد البحري خلال العهد العلوي وبواكير التنظيمات السياسية للسنوات (١٩١٢ - ١٩٣٠) ثم النضال السياسي في شمالها بين الحربين العالميتين كما تناول اهم شخصية تاريخية مغربية وهو عبد السلام بنونة الذي ترك آثاراً شتى على الصعد السياسية والفكرية والاقتصادية وفي فصوله الاخيرة تناول تاريخ حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ومرحلة التاسيس - والهوية العربية في الفكر العربي المعاصر » .

■ **جغرافية العراق في معجم البكري .. للاستاذ الدكتور علي المياح - بغداد - ٢٠٠٢**

يتناول هذا المعجم ذكر لاماكن وبقاع لا يرد لها ذكر في كتب الجغرافيا الحديثة وفيه شرح لمعاني اسمائها مما يعين على معرفة مواقعها كما ذكر البكري في معجمه ظواهر متباينة من هضاب وتلال ورمال وبطائح وموارد الماء والانهار ومراكز العمران والديارات - وقد عُني البكري وهو اللغوي الفذ بضبط الاسماء وصحة لفظها مجنباً القارىء بغية الخطأ . وقد جاءت كل هذه الظواهر وفق تسلسل هجائي يتتابع ذكرها بغض النظر عن اختلاف انواعها - وبهذا تبرز اهمية دراسة تراث العراق حيث يتواصل العطاء الحضاري ويتكامل بصورة يندر ان نجد ما يضاهيها في مكان اخر - وقد جمع ابو عبيد البكري في معجمه هذا ملامح جغرافية العراق ومواضع قبائله وحركاتها -

■ **صدر العدد الاول / كانون الثاني / ٢٠٠٢ من اوراق مجمعية** متضمناً موضوعات مختلفة منها ابن الهيثم والبصريات - للدكتور بهجة التكريتي واضمامة فلسفية تربوية - للدكتورة مثنى يونس بحري ومعنى الشطب - للدكتور احمد مطلوب -

■ وضم العدد (٢) - شباط / ٢٠٠٢ موضوعات منوعة منها « ذكرى عروس الثورات » بقلم د . نزار الحديثي و « ذكريات عن قيام ثورة الشعب - ثورة ٨ شباط » - للدكتور محمود حياوي و « مذكرات لغوية - الشاشة » بقلم الدكتور احمد مطلوب و « الامن الغذائي والثقافة الحيوية » - للدكتور باسل كامل -

■ اما العدد (٣) / اذار / ٢٠٠٢ فقد احتوى على مواد منوعة ايضاً منها « عز الدين القسام » للدكتور سامي مكي العاني و « اصالتنا ومعاصرتهم » - للدكتور عبد الله الموسوي و « من ذكريات نادي التضامن - من منظمات الواجهة » للدكتور ناجح الراوي .

■ **بحوث تراثية . للدكتور احمد مطلوب / بغداد / ٢٠٠١** يقع الكتاب في (٣٥٠) صفحة - اوضح فيها المؤلف

نظراته في البحوث التي تضمنها كتابه وقال : ان هذه البحوث لا تتحدث عما انقطعت صلته بالعرب ، لانها ليست تاريخاً يسرد وانما هي فكرة تعين ورأي يضيف ، ولولا ذلك ما كان لها ان تكتب او تنشر في كتاب لان التراث هو النسغ النابض والحياة الممتدة والفجر الجديد ... »

وكانت اول البحوث عن « القائد والتراث » وفيه اراؤه ـ حفظه الله ورعاه ـ التي تتصل بالتراث اتصالاً وثيقاً وتلقي الضوء على موقفه من التراث الذي هو منطلق النهضة العربية الحديثة ، ومعالم الطريق اللاحب المفضي بالعرب الى الحياة الحرة الكريمة والمستقبل السعيد ... وتوالت البحوث بعد ذلك فكان بحث « نظرة في تحقيق الكتب » تلاه بحثان تطبيقيان هما « المنجد في اللغة » و « عيار الشعر في تحقيقين » وهما نقد وتوجيه لبعض ما صدر من كتب التراث وخصص لقضية الارقام والشهور العربية بحثان استعرضا المواقف والاراء وانتهيا الى رأي ينزع نحو توحيد الارقام والشهور في دنيا العرب والمسلمين ، كما افرد بحثاً عن « البصرة في تراث الجاحظ » تعبيراً عن عشق الجاحظ لمدينته ، ثم تطرق الى اهتمام العرب وابداعهم واضافتهم على صناعة الالات والادوات ... واخيراً لم ينس الباحث الموصل الحدباء التي انجبت العلماء فكان الوقوف عند « اثار ضياء الدين ابن الاثير » احد ابنائها النجباء اطلالة على التراث العربي الذي ازدهر في كل حاضرة من حواضر العرب والمسلمين ... » .

■ لغة الضاد / الجزء السادس / ٢٠٠٢ ... دائرة علوم اللغة العربية تضمن هذا الجزء محوراً عن « اللغة والادب » اسهم فيه الباحثون منهم الدكتور محمد ضاري حمادي عن « التعدية المباشرة في تحقيقات اللغويين » ..والدكتور نعمة رحيم العزاوي « دلالة الالفاظ في النقد اللغوي القديم » .. والدكتورة نادية غازي « موروثنا واشكالات القراءة الاستشراقية » ... و « القصة والعامية » للدكتور فائق مصطفى .. و « التغير والثبات في اللغة » ... للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

■ **شعر المرأة في العصر الجاهلي موضوعاته وخصائصه الفنية** .. للدكتور جبار عباس اللامي ... صنعاء ـ مركز عبادي للدراسات والنشر / ١٩٩٨ ... « تناول الباحث بيان المكانة المرموقة التي حظيت بها المرأة العربية قبل الاسلام وكيف كان لها الاثر المتميز في حياة العرب ابتداء من اسرتها الصغيرة وانتهاء بما قدمته من معطيات كبيرة في ميادين مختلفة كميدان السياسة ، والحكم ، والحرب ، والسلام ، والاجتماع ، والدين ، والادب ، والشعر ، وهذا ما يؤكد حضور المرأة ورفعة منزلتها ويدحض تلك الصيحات الشعوبية التي حاولت ان تنال من المرأة العربية وتسعى الى التقليل من شأنها ... » وبهذا كشف البحث عن ان شعر المرأة يشكل جانباً مهماً ومساحة واسعة من الشعر العربي قبل الاسلام وقد جاء هذا الشعر متنوع الاغراض بحسب تنوع البواعث والاهداف وكشف عن جوانب كثيرة من حياة المرأة واحوالها التي ربما لم يتعرض لها شعر الرجال .. البحث معزز بالنصوص الشعرية الغزيرة

■ **افاق الثقافة والتراث ... مجلة فصلية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي / دولة الامارات العربية المتحدة .. ع ٣٧ ، س ١٠ ، نيسان / ٢٠٠٢ .**

تصدر العدد افتتاحية بعنوان الاستنباخ ام استنساخ ام ماذا ..؟ « وقفة مع المصطلح » .. بقلم الدكتور عز الدين بن زغيبة ثم كتب الدكتور رياض هاشم النعيمي مقالة بعنوان « حملة ابرهة الحبشي الى مكة : اهدافها ونتائجها » دراسة نقدية » ومقالة بعنوان « جهود العرب في انتشار الاسلام والحضارة العربية في خراسان والمشرق » للدكتور توفيق اليوزبكي و « اصالة القيم الثقافية في المدينة العربية والغزو الثقافي الاجنبي .. » بقلم أ . د . محمد صالح العجيلي ... فضلا عن الابواب الثابتة وهي من فرائد المخطوطات ... « مخطوطة ذكر اعضاء الانسان لبدر الدين الغزي المتوفى سنة ٩٨٤ هـ .. وفي باب المقالات العلمية كتب الدكتور غياث حسن الاحمد عن « امراض الاذن عند الاطباء المسلمين القدامى ... »

الازياء والزينة في دولة الامارات العربية المتحدة ... للباحث عبد العزيز عبد الرحمن ... ابو ظبي ، نادي تراث الامارات

« يهدف مضمون الكتاب الى تقديم دليل للعمل الميداني للباحثين الذين يودون دراسة الازياء .. فهو يقدم ثبتاً باسماء الاقمشة والملبوسات والعطور واشكال الزينة للرجال والنساء ، ويوضح ان دراسة الازياء عمل فني مركب لا يتضمن فقط تقنيات تحوير المواد الاولية بل يشمل بعض العمليات المعقدة والاكثر فنا وحساسية كطريقة الخياطة واشكال التطريز ومسمياتها المختلفة فضلًا عن ذلك يوضح ان دراسة الازياء لا تقتصر على الجانب الجمالي فقط وانما تتعداه الى دراسة جوانب عديدة اخرى ، فهناك كثير من العوامل (الجغرافية والمناخية والاقتصادية والثقافية) التي تجعل شعباً ما يختار زيه المعين من حيث الخامة واللون والتصميم والتفصيل . وقد حاول الكاتب ان يقدم من خلال صفحات كتابه دليلًا شاملًا للأزياء والزينة في دولة الامارات مستعرضاً تقسيم الازياء الى تقسيمات عديدة اهمها ... الملابس اليومية ، العمل ، الاحتفالات والطقوس ، والزواج ، الحداد ... كما ان قطع الزينة والمجوهرات مثل الحلقات والعقود والسلاسل تستخدم مكملة لهذه الازياء وعلى وفق الوظيفة المعينة للملابس